

مستقبل البترول العربي في كازينو العولمة

نهاية التاريخ أم نهاية النظام؟

نظرية المؤامرة هي بذاتها مؤامرة

د. عبد الحي زلوم

مستقبل البترول العربي في كازينو العولمة/ نهاية التاريخ أم نهاية النظام ؟ / نظرية
المؤامرة هي بذاتها مؤامرة / فكر سياسي.

د. عبد الحي يحيى زلوم/مؤلف من الأردن

الطبعة الأولى، 2014

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

المركز الرئيسي: بيروت، الصنائع، بناية عيد بن سالم،

ص.ب 5460-11, تليفاكس: 009611752308/751438

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو
تخزينه في نطاق استعادة المعلومات. أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي
مسبق من المؤلف.

**All rights reserved. No part of this book may be reproduced,
stored in any retrieval system or transmitted in any form or
by any means without prior permission in writing of the
Author.**

التوزيع في الاردن : دار الفارس للنشر والتوزيع

ص.ب 9157، عمان 11191، هاتف 0096265605431 تليفاكس 0096265685501

Email: info@ airpbooks.com; website :www.airpbooks.com

التنفيذ الطباعي: المطابع المركزية /عمان، الاردن

رقم الايداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية (2013/11/4100)

ISBN: 978-614-419-379-2

مستقبل البترول العربي في كازينو العولمة

نهاية التاريخ أم نهاية النظام؟

نظرية المؤامرة هي بذاتها مؤامرة

د. عبد الحي زلوم

صدر للمؤلف:

بالعربية :

- نذر العولمة : هل يستطيع العالم ان يقول لا للمعلوماتية:
- امبراطورية الشر الجديدة: الإرهاب الدولي ضد الإسلام.
- حروب البترول الصليبية : والقرن الأمريكي الجديد.
- أمريكا بعيون عربية.
- أزمة نظام : الرأسمالية والعولمة في مأزق
- أمريكا إسرائيل الكبرى : تاريخ أمريكا الحقيقي في العالم العربي.
- نذر العولمة بعد عشر سنين (امريكا تريد ...والله فعال لما يريد)
- الربيع العربي ثورة أم فوضى(غير) خلاقه
- مستقبل البترول العربي في كازينو العولمة/ نهاية التاريخ أم نهاية النظام ؟
- / نظرية المؤامرة هي بذاتها مؤامرة

بالإنجليزية:

- The Globalization Gospel: Can the World Say No to Infocinancialism.
- Painting Islam As The New Enemy: Globalization & Capitalism in Crisis.
- Oil Crusades: America through Arab Eyes.
- America: A Huge Israel: Israel a Small America
- America in Islamistan

بالألمانية :

- Das Neua Feindbild Islam: Globalisierung and Kapitalismus in Der Krise.

سيصدر هذا الكتاب بالانجليزية بعنوان:

- (The End of a System Not the End of History)

الفهرس

9 تمهيد

21 المقدمة

القسم الاول:

الولايات المتحدة من مُسْتَعْمَرَة الى مُسْتَعْمِرَة

31 الفصل الاول:
شارع المال يواجه الشارع العام

47 الفصل الثاني (التوأمة):
انشاء بنك مركزي باسم آخر
رحلة سرّية الى جزيرة جيكل

59 الفصل الثالث:
مؤسسات قوى الظل :
مجلس العلاقات الخارجية
الجزء الاول

القسم الثاني

في خدمة تكتل الرأسمال العالمي :
امبراطورية أمريكية خلفاً للامبراطورية البريطانية

73 الفصل الرابع:
مجلس العلاقات الخارجية
مؤسسات قوى الظل
الجزء الثاني

83

الفصل الخامس:

التخطيط لأدوات تنفيذ النظام العالمي الجديد
مؤسسات قوى الظل
الجزء الثالث

99

الفصل السادس:

الحرب الباردة: الحرب العالمية الثالثة

القسم الثالث

البترول العربي في النظام العالمي الجديد

125

الفصل السابع:

غطاء الدولار/بترودولار النفط بدل الذهب:
أكبر سرقة في التاريخ
مصائد الديون

139

الفصل الثامن :

خطوة فخطوة من السيطرة إلى الاحتلال :
حرب أكتوبر 1973/ حرب تحريك لا حرب تحرير
الجزء الاول

149

الفصل التاسع:

خطوة فخطوة :
من السيطرة إلى الاحتلال: عقد التسعينات
بناء بنية عسكرية لتثبيت الهيمنة السياسية والاقتصادية
الجزء الثاني

159 **الفصل العاشر:**
خطوة فخطوة : من السيطرة إلى الاحتلال:
عقد تسعينات القرن العشرين :
"وداعاً يا قومية عربية" ونظام عالمي جديد
الجزء الثالث

171 **الفصل الحادي عشر:**
ضجة اعلامية كبرى
زيادة الانتاج الامريكي ومستقبل النفط العربي

187 **الفصل الثاني عشر:**
احتياط النفط والغاز العربي والعالمي

القسم الرابع نهاية نظام

203 **الفصل الثالث عشر:**
اشتراكية الخسائر وخصخصة الأرباح
إفلاس نظام اقتصاد كازينو العولمة

197 **الفصل الرابع عشر:**
السلطة الرابعة الخفية :
حكومة عالمية سرّية ودول منقوصة السيادة

237 **الفصل الخامس عشر:**
نهاية التاريخ أم نهاية النظام
هل نحن بحاجة لنظام عادل جديد ؟

لا أحد أشد عمىً من أولئك الذين لا يريدون أن يبصروا"

قول أمريكي مأثور

هذا ما يقدمه النظام الرأسمالي الانغلو ساكسوني لشعوبه وللعالم
في امريكا ... جاء في مقالين بتاريخ 04/11/2013 و 2013/9/11 في مجلة فوربس Forbes الامريكية المحافظة بعنوان فروقات الثروة هل ستفقد الى ثورة " كل الكلام عن تفاوت الثروة في السنتين الاخيرتين يستحضر السؤال : هل ستفقد فروقات الثروة هذه الى ثورة ؟... ان اغنى 400 امريكي يمتلكون أكثر من ما يمتلكه 150 مليون امريكي أي حوالي نصف سكان الولايات المتحدة ... " وفي المقال الثاني : " يعيش 47 مليون أمريكي على اعانات الدولة للحصول على الاكل (Food Stamps) وحسب احصائيات وزارة الزراعة الاخيرة فإن 15 بالمئة من الشعب الامريكي يمكن اعتبارهم غير واثقين من أين سيحصلون على وجبة غذائهم التالية "

في العالم ... عن مجلة تايم الأمريكية (1 حزيران 1998) " 11 دولاراً : هو المبلغ الذي تدفعه الدول النامية على صورة خدمة الديون مقابل كل دولار تحصل عليه على صورة مساعدات " 30.000 شخص : هو عدد الموظفين الاندونسيين لمصنع نايكي " NIKE " للأحذية الرياضية ، والذين يقل اجمالي رواتبهم السنوية عما يتقاضاه نجم كرة السلة الأمريكي مايكل جوردان (Michael Jordan) لقاء ظهوره في الإعلان عن هذه الأحذية .
علماً أن 20% من الاطفال الامريكين يعيشون تحت خط الفقر .

تمهيد سرقة الموارد العالمية تحت غطاء العولمة

"النفط" الذي يعتبر عماد الإمبراطوريات في العصر الحديث ، قابع تحت أرض وأقدام شعب له عاداته وتقاليده وقيمه الخاصة المختلفة التي لا علاقة لها بأفكار ورؤية وطروحات العولمة التي تغذي الرأسمالية الأمريكية . وعليه وبغض النظر عما إذا كانت أجهزة الاستخبارات الأمريكية الخمسة عشر حينئذٍ ، والستة عشر الآن قد فشلت بالفعل في منع الهجوم على أمريكا يوم 11 سبتمبر، أم أنها تعمدت غض الطرف عن استعدادات المهاجمين للعملية على مدار عام كامل في عقر دارها، فإن ما حصل في ذلك اليوم كان بداية وضع الخطط الأمريكية - المعدة من قبل للسيطرة على مصادر الطاقة، موضع التنفيذ وبخاصة منابع النفط العربية التي اكتسبت صفة الأهمية والاستعجال . وعليه يمكن القول وبكثير من الثقة بأن إشعال الحرب على الإرهاب كان بهدف توسيع المصالح النفطية الأمريكية في المقام الأول.

وكما سنبين في هذا الكتاب فلقد أصبح النفط اضافة الى كونه مصدراً للطاقة غطاءً واقعياً للدولار بعد كشف غطاء الذهب عنه وبذلك سمح للدولار أن يبقى عملة الاحتياط العالمية، وهو أمر أساسي لبقاء أي إمبراطورية .

استراتيجية التحول العالمي

طبقاً لإثنين من أكثر المحللين الاستراتيجيين الأمريكيين تأثيراً ، فإن احتلال العراق "لم يكن محاولة تسوية حسابات قديمة أو مجرد تطبيق لقرارات مجلس الأمن الدولي الخاصة بنزع سلاح العراق ... بل وبدلاً من ذلك فقد جاء أول تطبيق لإستراتيجية إدارة بوش الخاصة بالحروب الاستباقية المثيرة للجدل، ليشكل نقطة تحول تاريخي على طريق امتلاك واشنطن الفعلي للأمن الإستراتيجي في عصر العولمة" كما يقول المحللان ثوماس بي. ام. بارنت Thomas Barnett ، الباحث الاستراتيجي السابق والاستاذ في الكلية الحربية البحرية الأمريكية وهنري اتش. غافني Henry H. Gaffney ، رئيس فريق أبحاث في مركز الدراسات الاستراتيجية في مؤسسة CNA للبحوث في دراستهما المعنونة "استراتيجية التحول العالمي" المنشورة في عدد مايو 2003 من مجلة Military Officer . ومما جاء في الدراسة القول بأن على الولايات المتحدة "أن تتوقع بأنها ستتحمل نصيب الأسد في الجهود الأمنية الخاصة بدعم مسيرة العولمة باعتبار أنها ستكون الأكثر استفادة من مكاسبها التي لن تتوزع بالتساوي..."

على الرغم من أن الأمريكيين لا يشكلون أكثر من 5% من اجمالي سكان العالم ، إلا أن الولايات المتحدة تستهلك ربع الانتاج العالمي من الطاقة وتنتج نفس النسبة من التلوث والنفايات في عالمنا. وكما يقول بارنت وغافني فإن: الولايات المتحدة "تميل إلى استيراد الطاقة وتصدير التلوث ، أو بكل بساطة نحن نعيش بصورة تتجاوز قدراتنا على التحكم بالبيئة". ويضيف الباحثان "وكما يتضح من مؤشرات العجز التجاري المتعاظم الذي نعاني منه ، فإننا نميل للعيش بصورة تتجاوز امكاناتنا الاقتصادية ، فنحن في الأساس نعتمد على العالم في خدمة ديوننا الخاصة وهو ما تقوم به معظم البلدان – مثل اليابان – عن طيب خاطر ... ليس هناك ما يثير قلقنا بشأن هذه الصفقة التي تقوم في الأساس على مقايضة منتجات فعلية بأوراق نقدية ... ومثل هذا النوع من المبادلة التجارية يفسر لماذا استفادت الولايات المتحدة من الارتفاع الحاصل في الاقتصاد العالمي".

وهكذا فإن العالم أجمع بما فيه الدول المنتجة للنفط تبادل سلعها الحقيقية الاستراتيجية كالنفط مقابل سلعة وهمية ورقية يتم طباعتها بكلفة خمس سنتات لكل مئة دولار (ثمن الطباعة والورق) ثم تعاد هذه الأوراق الى طابعيها في واشنطن لاستبدالها بأوراق أخرى هي أوراق الخزينة الأمريكية، والذي يعني تمويل ديون الولايات المتحدة المترتبة عن حروبها للهيمنة على العالم سياسياً والاستيلاء على مصادره الطبيعية بهذه الطرق الخبيثة أو حتى بالطرق التقليدية بالاحتلال المباشر وهكذا ، فطالما أن الولايات المتحدة تجد في العولمة بشكل عام وفي عولمة اقتصادها بشكل خاص "الكثير من الفائدة" ، وفي ظل استحوادها على نصف الإنفاق العالمي على التسليح والحروب ، والقواعد والتواجد البحري لإسطولها العسكري" ، فإن الاستراتيجية الأمريكية في القرن الواحد والعشرين - طبقاً للباحثين بارنت وغافني- ستقوم على "استيراد الاستهلاك وتصدير الأمن" أو بعبارة أخرى تصدير الحروب.

ويُقسّم الباحثان بارنت وغافني العالم إلى : بلدان تسعى لربط نفسها بقواعد العولمة كما وضعها البنتاغون والوول ستريت ، أو كما يطلقان عليها بلدان "البؤرة الفاعلة" ، وأخرى ترفض العولمة لأسباب سياسية أو لأسباب تتعلق بالتعصب الثقافي فيما يطلقان عليه "الثغرة الرافضة للإندماج"، ويندرج العالم الإسلامي تحت المسمى الأخير أي ضمن " الثغرة الرافضة للإندماج". وفي الوقت نفسه فإن الفئة الأولى أي " البؤرة الفاعلة " ، تنقسم بدورها إلى مجموعتين : "البؤرة القديمة" وتضم الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي واليابان ، و "البؤرة الجديدة" وتضم الصين والهند وجنوب شرق آسيا.

ويضيف الباحثان : وباعتبارها "المدير العالمي" تجد الولايات المتحدة نفسها مطالبة بضمان وجود الاشكال الاربعة التالية من "التدفقات" في وقت متزامن، باعتبار أن أي انقطاع أو توقف يصيب إحداها كفيل بأن يعيق الثلاثة الأخرى الباقية ويتسبب بمشاكل للعولمة.

أولاً: تدفق الأمن

يرى بارنت وغافني في بحثهما المذكور بأن المناطق الرئيسية للتدخلات العسكرية والأمنية الأمريكية في النصف الأول من القرن الواحد والعشرين ستكون في وسط وجنوب شرق آسيا ، أو بعبارة أوضح : في العالم الإسلامي. ويقول الباحثان بأنه يتوجب على الولايات المتحدة "تصدير الأمن" لهذه الدول وهذا يعني "إقامة القواعد ونشر الأساطيل والتعامل مع الأزمات والتدريب العسكري".

وإذا كان المنظور الرسمي الأمريكي لمعادلة العولمة ينص على "تصدير الأمن واستيراد المواد الاستهلاكية" ، فإن ما تستورده الولايات المتحدة من أرض المسلمين هو النفط مقابل تصدير الحروب إلى تلك المنطقة . ويضيف الباحثان : وحيث أن الصراع بين الدول الإسلامية والولايات المتحدة سيكون صراعاً طويلاً، فإن الأخيرة قد تقيم قواعد عسكرية دائمة في العراق و غيرها من دول المنطقة . ويورد بارنت وغافني هنا حقيقة أن القواعد العسكرية الأمريكية موجودة في اليابان وألمانيا منذ إقامتها قبل ستين عاماً، وذلك في إشارة إلى النوايا الحقيقية للأمريكيين تجاه العراق وغيرها من بلاد "الثغرة" وهي البقاء هناك إلى مالا نهاية . وفي ذلك يقول بارنيت بطريقة ضمنية "وهنا أصل إلى النقطة الأخيرة حول هذه الإدارة وكل إدارة قادمة لأقول بصدق ووضوح للرأي العام الأمريكي بأننا لن نترك تلك الثغرة وبأننا لن نعيد جنودنا إلى أرض الوطن أبداً".

وهكذا يجب ان يبقى دائماً خطر وهمي يتوهمه أصحاب الدول المنتجة للنفط لكي يرحبوا بالوجود العسكري الأمريكي في بلادهم ، لا بل ولشراء مليارات الدولارات من أسلحة الجيل الثاني أو الثالث التي انتهت صلاحيتها بالنسبة للجيش الأمريكي تحت غطاء التسلح ضد ذلك العدو الوهمي.

مع انتهاء الشيوعية كقوة حقيقية ، تكون فرص نشوب "حروب القوى العظمى" قد انتهت كما يقول بارنت وغافني اللذان يتوقعان بدلاً من ذلك "وقوع حروب في مناطق آسيا الإسلامية التي لا تزال تشكل أخطر مهمة أمنية عالمية (لأمريكا) في المستقبل المنظور" باعتبار أن تصدير "الأمن والحروب ضرورة أمريكية" ويضيف الباحثان "نحن على أعتاب جهد

اندماج رئيسي بعيد المدى في تلك المنطقة ، جهد قد يتجاوز في أهميته إستراتيجية الحرب الباردة في أوروبا".

ثانياً: تدفق النفط

في الوقت الذي سيبقى فيه "الأمن" سلعة التصدير الرئيسية للولايات المتحدة بدلاً من المنتجات الاستهلاكية ، فإن طلب الولايات المتحدة على النفط مرشح للارتفاع التدريجي في العقود القادمة، بينما سيتضاعف فيه حجم استهلاك الصين والهند من النفط مع الارتفاع الكبير في حجم إنتاج البلدين من السلع الاستهلاكية لأغراض التصدير للأسواق الأمريكية . ومن منطلق دورها كمدير للعولمة وكشرطي دولي ، فإن الولايات المتحدة تجد بأن عليها التحكم في حركة تدفق نفط الشرق الأوسط لأصدقائها وأعدائها على حد سواء وكيفما تشاء . وهنا نستذكر تعليق جورج كينان George Kennan مهندس سياسة الاحتواء في سنوات الحرب الباردة بالقول بأنه بإمكان اليابان إطلاق يدها في التصنيع كيفما تشاء ما دامت صمامات النفط اللازم لهذه الصناعات تحت السيطرة الأمريكية . ونفس الشيء ينطبق على الصين والهند – أسرع الاقتصاديات نمواً على مستوى العالم – حيث بإمكانهما تنمية صناعاتهما كما تشاءان ما دامت الولايات المتحدة هي التي تتحكم بتدفق النفط إليهما وفي الجنود الذين يحرسون صمامات وطرق النفط بالقواعد والمنشآت والانتشار البحري في الدول الإسلامية المنتجة للنفط.

تصدّر الصين الكثير من المنتجات للسوق الأمريكي وتسدد الولايات المتحدة ثمنها بالدولارات وبصورة تقود إلى تكديس الصين للمليارات منها من خلال الفائض السنوي الكبير من تجارتها مع الولايات المتحدة. وطالما أن هذه المليارات من الدولارات تعود لأمريكا بشكل أو بآخر بما في ذلك سندات الخزينة الأمريكية ، فإن الصين ستبقى في نظر الولايات المتحدة من مجموعة الدول الملتزمة بالعولمة وسيتم التعامل معها على هذا الأساس . أما إذا فكرت بكين يوماً بطلب استعادة دولاراتها من أمريكا أو التوقف عن تسديد الدين الأمريكي الأمر الذي تشارك فيه بشراء سندات الخزينة ، فستجد نفسها خارج المجموعة المتعولمة. وهنا يقول بارني وغافني "ليس هناك ما نشكو

منه فيما يتعلق بصفقة تقوم في الأساس على تبادل سلع فعلية بقطع ورقية".

تأتي احتياجات الصين والهند المتعاظمة من النفط والمشتقات البترولية كمؤشر على أن مركز الطلب على النفط مرشح للتحويل من أمريكا الشمالية إلى آسيا خلال العقدين القادمين . فهذه البيانات الصادرة عن وزارة الطاقة الأمريكية تشير إلى أن آسيا ستشتري ثلثي انتاج الشرق الأوسط من النفط (من الخليج) وبأن هذا النفط الخليجي سيشكل حوالي 80% من الواردات الآسيوية من النفط بحلول عام 2020 . وعليه فإن أي اعاقاة أو انقطاع لتدفق النفط من الشرق الأوسط من شأنه أن يصيب عملية العولمة الاقتصادية والسياسية بأضرار كبيرة. وفي هذه الحالة، فإن الولايات المتحدة التي نصبت نفسها مديراً للعولمة ستذهب إلى أبعد مدى ممكن لضمان استمرار استغلال الموارد البشرية والطبيعية في أنحاء العالم لصالحها في عملية تفتقر تماماً لأي توازن .

ثالثاً: تدفق الاستثمار

تعتبر الولايات المتحدة ضمان تدفق الاستثمارات الأجنبية المباشرة من رجال المال الأمريكيين والاوروبيين إلى الدول النامية وكذلك تدفق فوائض ميزان مدفوعات الدول النامية إلى خزانة الولايات المتحدة شرطاً أساسياً إن لم يكن المعيار الحقيقي لمدى نجاح العولمة . فالاقتصاديات الآخذة في التعاضم لدول بؤرة العولمة (الجديدة) في آسيا ستكون بحاجة إلى 2 تريليون دولار بحلول عام 2020 . وهذا يعني بأن عملية التنمية الاقتصادية الآسيوية هذه ستعتمد على الممولين الأمريكيين والاوروبيين وعلى نفط الشرق الأوسط الواقع تحت السيطرة العسكرية الأمريكية المباشرة ، وهذان العاملان يضمنان للولايات المتحدة عودة فائض الدولارات التي تكسبها دول البؤرة الجديدة إلى منبعها الأصلي (الولايات المتحدة) لخدمة ديون الولايات المتحدة وسداد العجز في ميزانها التجاري.

رابعاً: تدفق العمالة

تحتاج اقتصاديات بؤرة العولمة (القديمة) – الولايات المتحدة وأوروبا واليابان – للمزيد من العمالة الأجنبية أو تلك القادمة من دول الثغرة . بل إن ظروف هذه الاقتصاديات تحتم اجتذاب أعداد هائلة من العمالة في المستقبل القريب . فطبقاً لتوقعات الأمم المتحدة فإن دول "البؤرة" القديمة ستشهد بحلول عام 2050 تراجعاً كبيراً في معدلات القادرين على العمل مقابل المتقاعدين، الأمر الذي سيحدث بليلة في سوق العمل لن يعالجها سوى استيراد العمالة الأجنبية من دول "الثغرة" . فاليابان ، على سبيل المثال ، ستحتاج إلى أكثر من نصف مليون عامل مهاجر سنوياً إذا ما أرادت الحفاظ على حجم العمالة الحالي عندها ، بينما سيكون على الاتحاد الأوروبي زيادة تدفق الهجرة الحالية إليه بخمسة أضعاف وذلك لسداد الخلل المتعاظم الناتج عن تراجع نسبة العمالة / المتقاعدين من 5 – 1 حالياً إلى 2-1 عام 2050. وبالمقارنة نجد بأن هذه النسبة ستكون في معظم الدول الإسلامية 10-1 في الفترة المذكورة.

وهكذا فإنه وبدون تدفق العمالة من دول "الثغرة" إلى دول "البؤرة" فإن النتيجة ستكون : كثافة سكانية في دول الثغرة ذات الاقتصاد الضعيف يقود إلى أوضاع متفجرة ، مقابل تراجع حاد في دول البؤرة التي تشكو من حجم سكاني قليل ...

إلا أن بارنت وغافني يريان بأن تدفق العمالة المطلوبة من دول "الثغرة" إلى دول "البؤرة" يحتاج إلى إعادة تنظيم .ويقترحان في هذا المجال تطبيق تجربة دول الخليج العربية مع العمالة الوافدة ، أي : عدم منح العمالة المؤقتة جنسية البلد المضيف ولا حتى حق الإقامة الدائمة فيه.

ويختتم بارنت وغافني بحثهما المذكور بالقول بأن السياسة الأمريكية خلال سنوات الحرب الباردة اعتمدت على مبدأ الاحتواء، وهي سياسة لم تعد مجدية في العهد الجديد للعولمة الأمريكية ، حيث يحتاج الخصم الجديد الذي اختارته الولايات المتحدة وهو العالم الإسلامي أكثر من الاحتواء ، فهو بحاجة إلى "انكماش" .

وبدورهما توصل الباحثان بارنت وغافني إلى نتيجة مؤداها : "إذا خسرت دولة ما فرصة الإلتحاق بالعولمة أو اختارت رفض الكثير مما تحمله من أفكار ومتطلبات ، فإن فرصة تعرضها لعمل عسكري أمريكي في مرحلة ما تصبح أعظم بكثير". وبذلك تندرج حروب العراق وافغانستان و الازمة السورية بل والايروانية ضمن هذا السياق.

خريطة عالمية جديدة؟

ويحمل كتاب بارنيت The Pentagon's New Map والذي الفه لوحده بعد نشر الدراسة المذكورة اعلاه مع غافني رؤيته الخاصة بتقسيم دول العالم إلى مجموعتين بالقول "في عصر العولمة نرسم خطأ فاصلاً بين أجزاء من العالم تعمل جاهدة على دمج اقتصادياتها القومية بالإقتصاد العالمي وأخرى تضم الدول العاجزة عن إدماج نفسها في مجموعة اقتصادية أكبر". مثل هذه الطريقة في تصنيف الآخرين لا تختلف بشيء عن قول لورد بالمرستون Lord Palmerston المأثور "علينا المتاجرة بدون اللجوء إلى الحكم (الإستعماري) ما أمكن ، ولكن بالحكم (الإستعمار) عندما يقتضي الأمر". وعليه فإن ما صدر عن بارنت يرقى إلى القول "على الدول تقبل الرأسمالية الأمريكية وتجاريتها (وكذلك منظمة التجارة العالمية) وأخلاقياتها وسائر قوانين الوول ستريت ، وإلا فإن الدولة الرافضة ستعتبر إما خارجة عن القانون أو إرهابية تستحق أن تتحول إلى هدف لسياسة الحروب الاستباقية وهدفاً لصواريخ كروز . ولكن من الذي يقرر معايير الحكم على الدول؟

البنتاغون والوول ستريت

هل اجتماعات سرية بين وول ستريت والبنتاغون لوضع أسس عالمية تفرضها الولايات المتحدة على العالم هي مؤامرة أم نظرية مؤامرة ؟

قد يبدو الأمر أقرب إلى المؤامرة. ومع ذلك فهل أن البنتاغون والوول ستريت يقفان وراء هذه الإستراتيجية؟ كذلك يبدو الأمر ، حيث يتحدث بارنيت عن اجتماعات عقدت بين مسؤولين من البنتاغون وسوق المال الأمريكي عام 2001 للتنسيق حول سبل بسط السيطرة على العالم وبمشاركة فعالة من بارنت نفسه ، وبأن هذه الاجتماعات تمت في مكتب الوسيط المالي

المعروف كانتور فيتزجيرالد Cantor Fitzgerald الواقع في الطابق 107 من
البرج الأول لمبنى مركز التجارة العالمي الذي دُمّر في 11 سبتمبر.

وفي كتابه "خارطة البنتاغون الجديدة" كتب بارنت يقول بهذا الشأن : "كان
مشروع الأبحاث الذي انشغلت فيه بمساعدة كانتور يدور حول تحديد كيف
أن العولمة عملت على تغيير تصورات أمريكا للأمن القومي أو فعلياً تغيير
الحسابات الخاصة بإدارة المخاطر – وقد جمعت ورش العمل التي أقمناها
معاً عدداً من كبار رجال المال والأعمال في الـ 100 ستريت وكبار مسؤولي
الأمن القومي وخبراء معروفين من الجامعات ودور الخبرة والاستشارات
... كان مشروعنا المشترك يعرف بـ : مشروع مجموعة القوانين الجديدة "

مثل هذا التحالف غير العادي بين الـ 100 ستريت والبنتاغون يعكس في الواقع
دور شارع المال في تسيير الأمور في أمريكا وبالتالي في العالم ككل ...
فعندما يتحدث الـ 100 ستريت يبدو أن على العالم الإصغاء وإلا!

فرقة إعلامية

هالت قنوات الاعلام الأمريكية خصوصاً والغربية عموماً لخبر ادعت فيه أن
استقلال الولايات المتحدة النفطي قد أصبح قاب قوسين أو أدنى بعد أن زاد
الانتاج النفطي الأمريكي عن نظيره السعودي خلال سنة 2013 مما يجعل
النفط العربي والسعودي ذا أهمية دنيا بالنسبة لواشنطن. لكن هذا الكلام هو
من باب التمني ولا صلة له بالواقع كما سنبين في الفصل الحادي عشر من
هذا الكتاب.

إن هذه الفرقة الاعلامية مبنية على اسس خاطئة لو احسنا الظن ، او أنها
بنيت على خطأ لغرض في نفس يعقوب عن سابق معرفة وتصميم ولعل هذا
هو الأرجح .

أما انتاج النفط في الولايات المتحدة فهو ما زال أقل من انتاج السعودية :
أمّا لو تمّ إضافة السوائل الخفيفة المصاحبة لانتاج الغاز، والزيادات الناتجة
عن اتحاد الهيدروجين مع النفط في عمليات التكرير، وكذلك الميثانول
المستخرج من النباتات أو المنتجات الزراعية، عندئذٍ يصبح المجموع لهذه
المواد الهيدروكربونية مساوياً أو يزيد قليلاً عن انتاج السعودية سنة 2013
والتي ستزيد انتاجها بدورها 2 مليون برميل خلال سنتين . كذلك فإن

الولايات المتحدة ستبقى مستوردة للنفط الى يوم يبعثون حيث أنّ عجزها اليوم حتى بعد كل الاضافات غير الاحفورية التي ذكرناها ، فإنها بحاجة الى استيراد ما يعادل ضعف انتاج الكويت من النفط يومياً ، هذا بالاضافة الى أن كلفة انتاج البرميل الواحد في الولايات المتحدة يزيد حوالي 20 ضعفاً عن معدّل كلفة انتاج نظيره العربي أو السعودي ، بالاضافة الى أن أكثر عائدات النفط العربي تعود الى الخزانة الامريكية بشكل سندات مما يدعم دور الدولار كعملة الاحتياط العالمي .

ولكن...

من المهم أن نبين هنا أن التكنولوجيا الحديثة تتطور بتسارع كبير خصوصاً في العقدين الاخيرين حيث مكنّ هذا التطور من جعل انتاج الزيت الصخري (Shale Oil) في الولايات المتحدة أمراً ممكناً وذلك نتيجة امكانية الحفر الافقي وتكنولوجيا التكسير الهيدروليكي . كذلك مكنت طرق الاستخراج الحديثة ليصبح الانتاج من الزيت الرملي في كندا ممكناً مما جعل انتاجه مجدياً فنياً واقتصادياً ورفع احتياطيها من البترول أكثر من 15 ضعفاً ومما جعلها ثالث صاحبة اكبر احتياطي عالمي . في الوقت نفسه وبعد تطوير وانتاج البترول من الخام الرملي الثقيل في فنزويلا بطريقة مجدية فنياً واقتصادياً تقدمت فنزويلا على المملكة العربية السعودية لتصبح صاحبة المركز الاول للاحتياط النفطي المثبت عالمياً ولتصبح السعودية صاحبة المركز الثاني .

وعلى سبيل المثال أيضاً يدّعي الدكتور فاينغار أحد كبار علماء الباحثين في الصخر الزيتي في شركة Shell في الولايات المتحدة والذي هاجر بعد تقاعده الى اسرائيل بأن انتاجها من النفط من صخرها الزيتي سيفوق حاجتها سنة 2020 بل ويدّعي أنها ستصبح من الدول الشرق اوسطية المصدرة للنفط . و كذلك فإن احتياطي الاردن من نفس هذا الصخر الزيتي يحتوي على بترول يقدر احتياطيه بما يزيد عن احتياطي الولايات المتحدة وقطر مجتمعين (حسب تقديرات 2013) فيما لو تمّ استغلاله .

نظرية المؤامرة هي بذاتها مؤامرة .
فهي تهدف إلى خنق أي مبادرة لكشف أي مؤامرة
وهي في مهدها .

المؤلف

* * *

كما جاء تعريف الرئيس ريغان Reagan في الامر الاداري 12333
سنة 1984 فإن العمل السري (المؤامرة) covert operation هو " العمل
السري أو الاعمال الخاصة سياسية وعسكرية التي تستطيع ان
تتكر الحكومة مسؤوليتها عنها بطريقة قانونية".

وحسب قاموس وزارة الدفاع الامريكية للاصطلاحات العسكرية فإن
تعريف العمل السري (المؤامرة) covert operation بأنه ذلك العمل الذي
يتم تخطيطه وتنفيذه بطريقة تخفي معرفة فاعلية أو تسمح لفاعليه
بالانكار والتنصل من فعلتهم.

المقدمة

مؤامرة أم نظرية مؤامرة !

شارك بنك التمويل " ن. م. روتشايلد وأبناءؤه المحدودة " N M Rothschild & Sons Limited شاباً اسمه سيسل رودس (Cecil Rhodes) في تأسيس شركة مناجم الماس DE BEERS في جنوب افريقيا حينما كان في الخامسة والثلاثين من عمره . وكانت عائلة روتشايلد اليهودية قد عولمت نشاطها البنكي حيث قام المؤسس مائير روتشايلد بفتح بيوته ومصارفه المالية في فرانكفورت ولندن، و باريس وفي النمسا تحت اشرافه واشراف أولاده، أما وفي الولايات المتحدة عبر وكلاء معتمدين .

كان رودس في الرابعة والعشرين يوم الثاني من حزيران سنة 1877 عندما تم تكريسه في المحفل الماسوني التابع لجامعة أكسفورد. ويدّعي أنه في نفس ليلة تكريسه جاءه هاجس صار حلمه الكبير حيث سطر في تلك الليلة هدفه وطموحه و هو تحفيز وتوسيع الامبراطورية البريطانية وتوحيد الجنس الانغلو ساكسوني بما فيها الولايات المتحدة في ظل امبراطورية واحدة¹. اذا كنا نؤمن أن عصر الانبياء والوحي قد ولى ، فلنا أن نظن أن الوحي قد جاءه ممن كرسوه في محفلهم صباح ذلك اليوم.

البروفيسور كارول كيغلي Carroll Quigley خريج جامعة هارفارد والاستاذ في جامعة جورج تاون بواشنطن ، والذي عمل مستشاراً

¹ (www.cecilrhodes.co.za/secret.php)

لوزارة الدفاع. درّس بيل كلينتون والعديد من طلاب السلك السياسي لخريجي جورج تاون. يروي البروفيسور كيغلي في كتابه (الكارثة والامل Tragedy and Hope) الصادر سنة 1966 أن رودس قد أسس جمعية سرّية تم انشاؤها سنة 1881 علماً بأن عملية الاعداد لها قد استغرق سنيّاً قبل ذلك . وقد تم تسميتها (جمعية المختارين Society of the Elect) . ولقد وضع رودس بالتعاون مع وليام ستيد (William Stead) هيكلية هرمية بالغة التعقيد ربما استوحاها من الماسونية . كان على راس الهرم اللورد روتشايلد ، ورودس وستيد. يلي هؤلاء (دائرة الاوائل Circle Of Initiates) من النبلاء واللوردات ومنهم الكاردينال ماننغ Manning واللورد غراي Grey واللورد آرثر بلفور صاحب وعد بلفور الشهير والذي وجهه الى اللورد روتشايلد وبذلك كان وعد بلفور موجه من رؤوس الى رئيسه في تنظيم سري فهل لنا ان نعتبر ذلك مؤامرة أم نظرية مؤامرة؟ ثم يليهم (جمعية المساعدين) وهم جمهور أعضاء الجمعية والذين تم تنظيمهم سنة 1909 باسم (جمعية المائدة المستديرة). وكان ليونيل كورتيس Lionel Curtis هو المنظم لها ، والتي انشأت بدورها جورنال المائدة المستديرة سنة 1910 ، (وهو أيضاً من قام بتنظيم شبكة العلاقات الانغلو أمريكية في مؤتمر فرساي للسلام).

اذن الهدف من مسلسل هذه الجمعيات السرية والعلنية هو خلق امبراطورية عالمية انغلو ساكسونية تسيطر على مقدرات العالم حيث يقول سيسل رودس: " ولم لا نشكل تنظيماً سرّياً هدفه توسيع الامبراطورية البريطانية واخضاع العالم للحكم البريطاني ولاستعادتنا للولايات المتحدة لنجعل من الجنس الانغلو ساكسوني امبراطورية واحدة؟ " ومن أقواله أيضاً: " علينا أن نكتشف اراض جديدة يمكن استخراج المواد الخام منها بسهولة في نفس الوقت نستعمل العمالة بالسخرة من مواطني المستعمرات كما ستصلح تلك المستعمرات كمنفذ للبضائع الفائضة المنتجة في مصانعنا."

في بدايات العقد الثاني من القرن العشرين بدا واضحاً ان الشيخوخة قد اصاب الامبراطورية البريطانية ، وحيث أن بارونات رأس المال العالمي هم دوماً بحاجة الى امبراطورية ذات يد طويلة لحماية مصالحهم فلقد وجد هؤلاء البارونات الماليون ان الولايات المتحدة هي المؤهلة لقيادة الرأسمالية الانغلو ساكسونية ، فبدأت مراحل الترتيب للانتقال الممنهج والمبرمج الذي بدأ

تنفيذه حتى في قاعات مؤتمر السلام في فرساي كما سنبين في الفصول اللاحقة .

المطلوب إذن امبراطورية عالمية انغلوسكسونية لحماية بارونات المال أصحاب النظام الرأسمالي الذي تم تسميته نسبة لهم، فإذا فقدت الامبراطورية البريطانية مقومات الامبراطورية فلتصبح الولايات المتحدة هي حضان هؤلاء البارونات الجديد، ولتكن الامبراطورية البريطانية هي مستشارها الامبريالي - وهكذا كان.

وسوف نبين بالتفصيل في فصول هذا الكتاب كيف تم إيجاد المؤسسات على طرفي الاطلسي في بريطانيا والدول التابعة لها، وفي الولايات المتحدة حيث اخذت اكثرها طابع السرية وشبه السرية. كان من أهمها في الولايات المتحدة مجلس العلاقات الخارجية (Council on Foreign Relations) والذي خطط اثناء اشتعال الحرب العالمية الثانية لنظام امبراطوري امريكي و كان من بين أعضائه البارزين أشعيا بومان.

توصل بومان في الدراسات السرية التي كان يرأسها إلى أن الامبراطورية الامريكية الانغلوساكسونية يلزمها بعد الحرب ما اسماه المنطقة الكبرى والتي تشمل نصف الكرة الارضية الغربي و أوروبا وآسيا كلها في البداية ثم العالم كله بعد الخلاص من الاتحاد السوفيتي .

مؤل اليهودي إشعيا بومان (Isaiah Bowman) عام 1955 "معهد بحوث السياسة الخارجية" (FPRI) لإصدار نشرة ربع سنوية باسم أوربز (Orbis) عام 1957، والتي تخصصت في الشؤون الدولية. ولقد كان في هيئة التحرير لهذه المجلة وليم ياندل إليوت William Yandell Elliot رئيس كلية سياسات الدولة في جامعة هارفارد، وتلميذه، آنذاك، هنري ألفرد كيسنجر (Henry A. Kissinger)! ولقد كانت المهمة المعلنة لمعهد بحوث السياسة الخارجية المذكور ونشرته ربع السنوية هي الدعوة إلى إقامة إمبراطورية أميركية عالمية دون اتحاد سوفيتي، والتخلي عن سيادة الدول والدولة القومية ، ففي عام 1957 أي قبل 35 سنة من انهيار الاتحاد السوفيتي. جاء في مقالة بعنوان "موازن الغد " Balance of Tomorrow: "إن مهمة الولايات المتحدة هي توحيد العالم بأكمله تحت قيادتها خلال هذا الجيل .

أما سرعة وكفاءة تحقيق الولايات المتحدة لهذا الهدف فسوف يقرر مصير الحضارة الغربية وبالتالي المصير البشري... فهل سيكون النظام العالمي الجديد القادم هو إمبراطورية عالمية أميركية...؟ يجب أن يكون الأمر كذلك لدرجة أن تحمل الإمبراطورية العالمية تلك دمة الروح الأميركية....”

أما التهديد لهذه الرؤيا وهذه الإمبراطورية الأميركية فسيأتي من آسيا كما جاء في مقالة أوربز (Orbis): "أما الإمبراطورية الأميركية والجنس البشري فسوف لن يكونا متضادين".

اذن كان هناك مشروع (نظام عالمي جديد) قبل أن يعلن بوش الاب أن الوقت قد حان لإعلانه بعد موت الاتحاد السوفيتي.

ما جاء في رسالة الستين أميركي ومنهم صامويل هنتنغتون (Samuel Huntington) صاحب "صراع الحضارات" (The Clash Of Civilizations) بعد حوالي خمسين سنة وكذلك ما أتى به جورج دبليو بوش في مبدئه (القرن الأميركي الجديد) كان صدئاً عن مقالة هنري لوس سنة 1942 في مجلة لايف بعنوان (القرن الأميركي) والتي تدعو لتبني القيم والمعايير الأميركية لتكون قيم العالم بأجمعه وهي الرسالة نفسها التي جاءت بها مقالة أوربز المذكورة أعلاه وللعلم فينتهي كل من لوس وبوش الاب والابن الى الجمعية الفائقة السرية " skulls and bones والتي تصل سريتها الى درجة تتطلب أن يترك عضوها أي مجلس يتم ذكرها من غير منتسبها .

لقد كتبت رسالة الستين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 وهي مؤكدة للرسالة التي نشرتها أوربز (Orbis) عام 1957 علماً بأن أكثر خريجي كلية السياسة الحكومية لجامعة هارفارد كانوا أعضاء في المجلس الاستشاري لمعهد أبحاث السياسة الخارجية ومنهم: إليوت Elliot، كيسنجر Kissinger، بريجنسكي Brzezinski، برنارد لويس Lewis Bernard وحتى صامويل هنتنغتون Samuel Huntington نفسه . فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي أصبح النظام العالمي الجديد هو تحقيق إمبراطورية أميركية عالمية تعمها المثل والقيم الأميركية. تم إنشاء العديد من المنظمات والهيئات بالغة السرية كانت تضع الاجندات لتنفيذ النظام العالمي الجديد.

بعد أن بدأت أوروبا تستعيد عافيتها بعد الحرب العالمية الثانية تم إنشاء ملتقى Bilderberg " بيلدبيرغ " في 1956 يضم اساساً قادة السياسة والاقتصاد

والاعلام على جانبي الاطلسي . وعندما استعادت اليابان عافيتها الاقتصادية تم انشاء " اللجنة الثلاثية Trilateral Commission في 1973 ليتم التنسيق مع القوة اليابانية الصاعدة في منطقة شرق آسيا وجنوب شرق آسيا واندماج الاقتصاد الاسيوي مع الاقتصاد الاوروبي الامريكي المتعولم.

أعلن جورج بوش الاب عن قيام " نظام عالمي جديد" بعد انهيار الاتحاد السوفيتي يتم فيه تحويل ذلك الاتحاد من الاشتراكية الى الرأسمالية وليتم أمركة العالم اقتصادياً وسياسياً بقيادة الامبراطورية الامريكية . وفي كل عصر وحقية من الزمن نجد بأن أصحاب رؤوس الأموال هؤلاء قد "لمّعوا" أحد كهنة لنظامهم أسموهم "الاقتصاديين" والذين كانوا ومازالو يزاولون دور وعاط السلاطين بإصدار الفتاوى من نوع "ادفع وارفع"، ليضفوا عليه هالة القداسة ، وأنه إذا "قال فصدقوه". عند انهيار النظام كما حصل أيام الكساد الكبير كان هناك جون مينارد كينز John Maynard Keynes والذي نظر بضرورة تدخل الدولة لتقليم أطافر السوق وكذلك بالانفاق عن طريق العجوزات أثناء الأزمات إلى أن يتم إنقاذ النظام . وما لبث النظام بعد ذلك أن أخرج كبير كهنة جديد، فجاء ملتون فريدمان يقول : **"إن تدخل الدولة هو أبو الشرور والشر المستطير"**، فتم فكفكة ما تم وضعه من قوانين معتمدة على الأورثودوكسية الكينزية خصوصاً في عهد ريغان ثم جاء رئيس البنك المركزي بول فاوكر ومن بعده آلان غرينسبان والذي حكم النظام المالي الأمريكي ومن ثم العالمي 18.5 سنة ليقول لنا أمام لجنة تقصي حقائق في الكونغرس في اكتوبر سنة 2008 **"انني مصاب بالذهول ... فأنا أعرف بأن هناك خطأ ما في النظام ... لكني لا أعرف ما هو ..."** .

جاء المحافظون الجدد منذ عهد جورج بوش الاب ثم استكملوا مهمتهم في عهد جورج دبليو بوش الابن ضمن سلسلة من المؤسسات السريّة وشبه السريّة ومنها " القرن الامريكي الجديد" والذي يدعو جهاراً نهاراً بالقول والعمل السياسي والعسكري الى عولمة العالم تحت قيادة الولايات المتحدة والتي هي بدورها تحت قيادة اصحاب رأس المال العالمي.

يهدف هذا الكتاب أن يبين عورات اقتصاد العولمة وما يحدثه من تشوهات وحالات عدم الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، وبيان ان هناك شبه اجماع على ضرورة تغيير الاسس التي بني عليها هذا النظام . يعتقد المؤرخ العالمي المشهور Eric Hobsbawm كما جاء في محاضرة ألقاها بجامعة هارفارد بتاريخ

20 أكتوبر 2006 انه : "لربما تسبب الإمبراطورية الأمريكية الفوضى والبربرية بدلاً من حفظ النظام والسلام". وقال "إن هذه الإمبراطورية سوف تفشل حتماً"، ثم أضاف "هل ستتعلم الولايات المتحدة الدروس من الإمبراطورية البريطانية، أم أنها ستحاول المحافظة على وضعها العالمي المتآكل، بالاعتماد على نظام سياسي فاشل وقوة عسكرية لا تكفي لتنفيذ البرامج التي تدعي الحكومة الأمريكية بأنها قد صممت من أجلها؟".

يهدف هذا الكتاب ان نعلم ونتعلم كيف يخطط الغرب في المدى القصير والبعيد لعشرات السنين لتحقيق اهدافه بكافة الوسائل المالية والاعلامية والعسكرية والامنية الاخلاقية واللااخلاقية . وكذلك لبيان ان ما يسمى الحرب على الارهاب لا يهدف لمنع المسلمين من الصلاة والصيام فلو كان الامر كذلك لقبل المرابون العالميون و بالتالي وكلاؤهم الامريكيون ان يجعلوا من البيت الابيض مسجداً وان يجعلوا من ساكنه اماماً لهذا المسجد ، و لطلبوا من ساكنه أن يحول اسمه من باراك حسين اوباما الى البركة حسين ابو أمه. أخطر ما في الموضوع هو أن كافة مراكز الابحاث التي تم ذكرها في هذا الكتاب سواء السريّة منها أو العلنية تصرّ على قيام حكومة عالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية وأن تكون المثل الغربية الانغلو ساكسونية الامريكية هي مثل ارجاء العالم قاطبة.

وحسب كتابات صامويل هانتنغتون وغيره فإن الفكر الاسلامي والعالم الذي يحمله هو العائق الاكبر لعولمة عالمية بمثل امريكية . فعلى سبيل المثال لا الحصر اذا أصر المسلمون على تطبيق اقتصاد يخلو من الربا فذلك يعني بكل بساطة انهيار عامود النظام الرأسمالي واصحابه البارونات العالميين بل وتسقط الية سلب الشعوب من مواردها ومقدراتها. ونعني هنا اعتماد نظام أساسه مبدأ دخول رأس المال كشريك حقيقي يشارك في المخاطرة كما في المنفعة وليس على طريقة الالتفاف على المشاركة الحقيقية كما تمارسه بعض البنوك التي تسمى نفسها اسلامية.

هذا مع الاشارة بان تحريم الربا ليس حكراً على الاسلام لان كافة الاديان السماوية من اسلامية او مسيحية او حتى يهودية قد حرمت الربا ما عدا ان سمح اليهود به بينهم وبين الغوييم (غير اليهود).

نهاية التاريخ أم نهاية النظام

كتب فرانسيس فوكوياما (Fukuyama) بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط الشيوعية في بداية عقد التسعينات من القرن العشرين كتاباً أسماه " نهاية التاريخ" ونظر أن التاريخ هو عبارة عن صراع بين العقائد والايديولوجيات وأنه بعد اندحار الفاشية والشيوعية فلقد انتهى التاريخ الى حتمية أن تصبح الرأسمالية الليبرالية الغربية هي المنهج العالمي الوحيد بما فيها من مثل وثقافة والتي بدأت تكتسح العالم اليوم .

ليس فقط أن هذا القول يتناقض مع ما جاء في كتابنا هذا أو أن الولايات المتحدة تشن حرباً على ثقافة وايدويولوجية اخرى تسميها حرب أجيال. لكن هذه النتيجة ايضاً تتناقض مع قناعات واستنتاجات كثير من العلماء والمفكرين الامريكيين . أحد كبار منتقدي فوكوياما كان البروفيسور صامويل هانتغتون صاحب كتاب ونظرية صراع الحضارات والذي جادل يان الصراع هذه الايام هو ليس بين الايدويولوجيات وإنما هو بين الحضارات وأهمها الصراع مع الاسلام . وكذلك جادل بنجامين باربر في كتابه الصادر 1996 بعنوان " **الجهاد ضد الماك ورلد**" كما جاء في كتاب البروفيسور ليستر سي ثورو (مستقبل الرأسمالية):

"إن الأنظمة المنافسة للنظام الرأسمالي من فاشية واشتراكية وشيوعية قد انهارت جميعها . ولكن ، بالرغم من أن المنافسين قد أصبحوا طي الكتمان في كتب التاريخ فإن شيئاً ما يبدو وكأنه يهز أركان النظام الرأسمالي نفسه".

ما نراه نحن هو أننا لسنا في نهاية التاريخ بل في نهاية نظام انتهت مدة صلاحيته.

اقسام هذا الكتاب الاربعة

يتكون هذا الكتاب من اربعة اقسام:

القسم الاول: يبين كيف أن الولايات المتحدة قد تطورت من مُستَعْمَرة تم بناء اقتصادها على اساس العبودية ، وكيف تحولت بعد الاستقلال الى مُستَعْمَرة قامت بما يزيد عن 200 حرب وتدخل خارجي في عمرها القصير.

القسم الثاني: كيف تم بناء الجمعيات السريّة لاقامة دولة عالمية بقيادة تكتل رأس المال العالمي ، وكيف ولماذا تم انتقال حصان التكتل المالي العالمي من بريطانيا الى الولايات المتحدة وما هي قوى الظل التي أُسست لنظام عالمي جديد

القسم الثالث : يبين ان الاستيلاء على البترول العربي قد تمّ خطوة خطوة، وأسبابه كما يبين مستقبل البترول العربي في المتغيرات التكنولوجية ، وكيف للآن ومنذ بدايات السبعينات من القرن الماضي قد اصبح البترودولار(عائدات النفط) غطاء للدولار يسمح لمطابع الخزانة الامريكية بطباعة مليارات الدولار يوميا . كما يبحث عن مستقبل البترول العربي في المتغيرات العالمية اليوم.

القسم الرابع : يبين أنه بعد بروز قوة عالمية مناكفة لمبدأ الاحادية الامريكية ومع فشل نظام اقتصاد العولمة والذي أصبح عبئاً على الاقتصاد المنتج يرى الكثيرون أن النظام الاقتصادي المتعولم والاحادية السياسية قد أصبحتا في نهاية مدة صلاحيتهما قاب قوسين أو أدنى ، كما يبين هذا القسم كيف أن (الديمقراطية) الامريكية قد أصابها الوهن في عقر دارها وكيف أن سلطة رابعة فائقة السريّة تدير مع قوى الظل هذه الامبراطورية والتي ما زالت الاقوى في التاريخ وكيف ان تجربة الاتحاد السوفيتي أثبتت أن امبراطوريات هذا الزمان وإن كان لها أنياب نووية هي في حقيقتها أوهى من خيوط العنكبوت .

القسم الاول

الولايات المتحدة من مُسْتَعْمَرَة الى مُسْتَعْمِرَة

" إن الرأسمالية والديمقراطية تتبعان مبادئ مختلفة ومتنافرة تماماً. إن أهداف هذين المبدأين مختلفة: ففي الرأسمالية الغاية هي الثروة، أما في الديمقراطية فالغاية هي السلطة السياسية. كما أن معايير هذين المبدأين مختلفة: ففي الرأسمالية يعتبر المال هو وحدة القياس، أما في الديمقراطية فهي صوت المواطن. إن مصالح هذين المبدأين مختلفة أيضاً: ففي الرأسمالية تعتبر المصالح الشخصية الخاصة هي الأهم، أما في الديمقراطية فلا شيء فوق صوت المصلحة العامة. وفي الولايات المتحدة، يتمثل هذا التوتر بين الرأسمالية والديمقراطية في الصراع الأزلي بين بارونات المال والشعب".

جورج سوروس George Soros

أزمة الرأسمالية العالمية The Crisis of Global Capitalism

الفصل الاول

شارع المال يواجه الشارع العام

Wall Street against Main Street

يقول البروفيسور رونالد ديفيس Ronald Davis من جامعة ولاية كاليفورنيا في نورث ريدج North Ridge

"لا نبالغ حيث نقول أن الأرباح التي نتجت عن نظام وتجارة الرقيق من 1600 وحتى 1860 قد ساهمت إلى حد كبير لبروز الغرب في غرب أوروبا والولايات المتحدة كالقوى المهيمنة على العالم".

العبودية عماد الاقتصاد حتى 1865

بعد وصول كولومبوس إلى ما ظنه بالهند، كتب لأصحاب حملته بإسبانيا "سأرسل لكم ما تحتاجونه من ذهب، وكل ما تتمنونه من عبيد". وحسب ما كتبه الراهب Bartolome dela Casa برتالومي دي لاكازا الذي عايش تلك الحقبة فيقول أنه بين 1494 و 1508 فقد مات أكثر من ثلاثة ملايين من السكان الأصليين الذين قضوا نتيجة الحروب أو العبودية أو الأشغال الشاقة. وأضاف الراهب "من يصدق هذا في المستقبل؟ فأنا الذي عايشته أكاد لا

اصدقه". وكتب المؤرخ في جامعة هارفارد ساميول ديلوت موريسون "إن السياسة التي بدأها كولومبوس واتبعها الذين خلفوه ، قد أدت إلى إبادة جماعية".

مؤسسات العبودية كانت عماد الاقتصاد الأمريكي حتى نهاية الحرب الأهلية الأمريكية 1865 أي لأكثر من 300 سنة. في العقود الأولى من القرن السابع عشر كان المستعمرون الأمريكيون البيض يستعبدون المواطنين الذين أسموهم الهنود الحمر. وعندما بدأت زراعة القطن بالانتشار السريع منذ 1670 أصبحت اعداد هؤلاء لا تكفي فانطلقت تجارة العبيد الأفريقيين على قدم وساق ، كما تم استعباد الرقيق البيض ممن لم يستطيعوا سداد ديونهم ، فأرسلوا إلى أمريكا كعبيد لفترة سداد الدين . وكان معدل وفيات العبيد أثناء نقلهم بالبحر لا تقل عن الثلث وإن كانت تصل أحياناً إلى النصف . كان المرضى يقذفون في البحر ، أما من يصل إلى بر أمريكا ، فيباع ويشترى ويصبح ملكاً لمشتريه.

اعتبار العبد ثلاثة أخماس رجل

حتى بعد الاستقلال ومناقشة حق الانتخاب ، حرم العبيد من التصويت، ولكن، حيث أن غالبيتهم كان موجوداً في الولايات الجنوبية فقد أخذ أهل الجنوب بتعدادهم حين احتساب عدد السكان لأمر تقرير عدد اعضاء الكونغرس والذي يخضع لكثافة السكان ، عندها قرر المؤتمرين باعتبار العبد ثلاثة أخماس رجل؟! أعطي أهل الجنوب الحق بمطاردة الهاربين من العبيد إلى أي مكان لإعادتهم إلى مزارعهم.

إذا كان العدل أساس الملك في الديانات السماوية فالعبودية هي أساس الملك في الرأسمالية.

الثورة الأمريكية : أسبابها وقادتها

في سنة 1676 ، أي قبل مئة سنة من الثورة الأمريكية سنة 1776، ثار الفقراء من البيض والسود وحرقوا الأخضر واليابس في عاصمة فيرجينيا

واسمها جيمس تاون Jamestown وهرب حاكم فيرجينيا من المدينة. كان أصحاب المزارع الكبرى أمثال جورج واشنطن وتوماس جيفرسون في تلك السنوات المئة قبل الثورة الأمريكية هم من فيرجينيا. قامت 18 ثورة على الحكومة كما ثار العبيد من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال.

المؤرخ الأمريكي الشهير بيرد Beard قال بأن طبقة الأغنياء أصبحت بحاجة إلى حكومة قوية تصون مصالحهم الخاصة ليتمكنوا من السيطرة عليها وإصدار القوانين والتشريعات التي تصون مصالحهم ، ولحماية منتوجاتهم الزراعية . كما أن أصحاب المال قد أصابهم الاستياء نتيجة قوانين لم تعد تسمح لبنوكهم بإصدارات مالية .

أحد من أصبحوا قادة الثورة بنجامين فرانكلين Benjamin Franklin والذي كان متعهداً لطباعة الأوراق النقدية لأحد أكبر بنوك ذلك الزمان ذهب إلى بريطانيا في محاولة لإلغاء قانون 1764 الذي أصدره البرلمان البريطاني تمنع إصدار النقود من قبل بنوك المستعمرات الأمريكية ، ولكن دون طائل . طبقة التجار أيضاً استاءت من قرار ملكي يحصر بيع الشاي في شركة الهند الشرقية البريطانية والتي قامت بتعيين وكلاء لها للبيع المباشر مما أثار حفيظة التجار وكان سبباً مباشراً للانتفاضة حيث حرّض التجار والممولون عموم الشعب ضد الإنكليز وذهب بعضهم ليقذف شاي شركة الهند الشرقية في بوسطن إلى عرض البحر، المؤرخ الأمريكي المعروف هوارد زن Howard Zinn يقول:

"حوالي 1776 اكتشف الأثرياء في مستعمرات بريطانيا في شمال أمريكا اكتشافاً هاماً بأنه إذا ما حققوا الاستقلال لمستعمراتها وأوجدوا أمة جديدة يسمونها الولايات المتحدة فإنهم سيستولون على الأراضي وسوف يحلون محل من تحابيههم بريطانيا في مستعمراتهم ، كما يمكنهم كبح جماح الثورات المتكررة في المستعمرات وتأمين مصالحهم عبر الإستيلاء على قيادة هذه الأمة الجديدة"

قامت الثورة على جبل من الديون أثلجت صدور أصحاب المال العالمي والمحلي . تم طباعة عملة محلية دونما غطاء أسموها بالكونتيننتال Continental فقدت قيمتها بحيث أصبحت تساوي واحد على الألف من قيمتها السابقة وبحيث أصبحت مثلاً للذي لا يساوي شيئاً إذا قيل عنه "لا يساوي كونتيننتال".

كان عدد سكان المستعمرات الثلاثة عشر حوالي 2 مليون ، نصفهم من النساء واللواتي لم يكن لهن حق بالإنتخابات ، وكذلك العبيد وسكان البلاد الأصليين من الهنود الحمر وكذلك الفقراء من البيض حيث كان حق الانتخاب مقروناً بالملكية . أصبح من لهم حق الانتخاب بضع مئات من الألوف لم يمارس أكثرهم حقهم في الانتخاب على كل حال!

يقول المؤرخ بيرد Beard إن الثوار المؤسسين كتبوا دستوراً حافظ على مصالح طبقتهم وليس على مصالحهم فقط. ومن الطريف أن جورج واشنطن قد تم تنصيبه رئيساً للولايات المتحدة في وول ستريت ، حيث حلف اليمين أمام رئيس المحفل الماسوني في نيويورك كونه كأكثر زملائه من الرعيل الأول من دعاة الاستقلال حيث كانوا من الماسون أيضاً.

بدايات بورصة نيويورك

نال رأسماليو الشمال الأمريكي مآربهم ، فإذا لم يستطيعوا أن يلغوا قانون 1764 بالافتناع فلقد ألغوه بالقوة . بدأوا اصداراتهم المالية من جديد . في سنة 1791 اجتمع 24 من كبار تجار وأصحاب المال سراً تحت شجرة البطم حيث وقعوا اتفاقاً بينهم أُسميَ باسم الشجرة التي عقدوا اجتماعهم تحتها – حيث أصبحت الاتفاقية تعرف باتفاقية بوتن وود Buttonwood Agreement . كان فحوى الاتفاقية أنه لن يسمح بتداول الأوراق المالية إلا بين هؤلاء الأربعة والعشرين لا غير . وتطور سوقهم المالي بحيث أصبح يسمى سوق نيويورك المالي New York Stock Exchange وعندها قرروا أنه لا يمكن انضمام أحد إلى هذا السوق في حال اعترض أي ثلاثة من المؤسسين على الانضمام.

تنامت البنوك عدداً وقوة فأصبح عددها سنة 1829 329 مصرفاً ، ووصل ذلك العدد عام 1837 إلى الضعف وأصبحت 40% من التجارة الخارجية يديرها عدد محدود من مصارف مانهاتن في نيويورك.

العبودية بعد الاستقلال

كان عدد العبيد سنة 1790 يقارب 700000 إلا أن عددهم أصبح حوالي 4 مليون بحلول سنة 1860 . وحيث انهم ممتلكات تباع وتشتري كانت قيمتهم

السوقية عام 1805 تساوي 300 مليون دولار لكنها ارتفعت لتصبح 3 مليار دولار سنة 1860 وهي قيمة فلكية في ذلك الحين ، كان 90% منها في الجنوب . ثار العبيد 3 مرات في السبعين سنة قبل الاستقلال لكنهم ثاروا سبع مرات في السبعين سنة بعد الاستقلال.

بدأ اقتصاد الشمال والجنوب يتكونان بطرق مختلفة . فالزراعة كانت عماد الجنوب الرئيسية ، أما الصناعة فكانت من نصيب الشمال ومموليه.

أصبح الشمال بحاجة إلى العبيد كعمال في مصانعه في الشمال وكمستهلكين لبضائعه فبدأت دعوات تحرير العبيد تنتقل من الشمال استناداً على دعاوى إنسانية أو دينية . لكن سرعان ما تم انشاء المجمع المعمداني للولايات المتحدة الجنوبية والذي أفتى سنة 1845 بأن الإنجيل قد حلل العبودية.

الحرب الأهلية: حرب بين الرأسمالية الزراعية و الصناعية

في نهاية عقد الخمسينات للقرن التاسع عشر، تعطلت العملية السياسية. أصبح الكونغرس غير قادر على اصدار القوانين المحابية لأصحاب الأموال ذلك أنهم أرادوا الحماية لمنتجاتهم الصناعية وعارضها أهل الجنوب لأنه سوف ينتج عنها زيادة في الأسعار، كذلك عارضوا مشاريع القوات والسكك الحديدية التي تبناها أهل الشمال ... وهكذا وصل تضارب المصالح لحدّ قرر عنده أهل المصارف والصناعة تغيير الأمر الواقع بالقوة، ولم لا يكون تحرير العبيد (وامتلاكهم جزءاً من قيمتهم السوقية بالمجان) هدفاً نبيلاً يتم الادعاء بأنه سبب رئيسي للحرب؟

كانت الحرب الأهلية الأمريكية هي حرب بين الرأسمالية الزراعية والرأسمالية الصناعية / المالية حيث كانت الغلبة للأخيرة، ولكن على أجساد 620000 أمريكي من "الغلبة" أي ما يعادل 3% من مجموع سكان أمريكا حينئذٍ. بالطبع لم يحارب الأثرياء حيث أن قانون "البديل" كان يعفي من الخدمة من يدفع 300 دولار . ابن الرئيس لينكولن وكذلك البارونات اللصوص الذين جنوا ثمار الحرب لم يحارب أحد منهم. وجاء اكتشاف النفط وانتاجه بكميات تجارية سنة 1859 مما زاد الثورة الصناعية اشتعالاً.

الإضطراب الاقتصادي والسياسي في القرن التاسع عشر

النظام الرأسمالي الغربي عموماً والأنغلوساكسوني / الأمريكي خصوصاً يعيش على دورات من الأزمات الاقتصادية تكون في أغلبها نتيجة ممارسات أصحاب البيوت المالية يجنون منها عادة الفوائد والعوائد صعوداً وهبوطاً. كان هناك 3 أزمات اقتصادية حادة سنوات 1819، 1837، 1857 قبل الحرب الأهلية. كما كان هناك ثلاث كسادات كبيرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وذلك لسنوات 1873، 1884 و 1893. كان آل روتشايلد والممولون الآخرون يتعاملون مباشرة بالإقراض في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، إلا أنهم أصبحوا يتعاملون بالوكالة عن طريق مورغان وأمثاله من بني جلدتهم.

ومع انتهاء الحرب وصل الدين الحكومي إلى 2.8 مليار دولار أكثره من شركتين أوروبيتين هما الروتشايلدز وبارينغ بروذرز. كانت المؤسساتان عربقتان في الحروب والصفقات الاستعمارية ، وكان آل روتشايلدز هم من أقرضوا حكومة ديزرائيلي لشراء أسهم مصر في قناة السويس، كما أقرض بارينغ بروذرز حكومة الولايات المتحدة قرصاً لشراء ولايات لويزيانا من فرنسا ومعها العديد من الولايات الأخرى.

كأكثر الرؤساء الأمريكيين الذين يمارسون الحكمة بأثر رجعي سئم الرئيس لينكولن من ممارسات الشركات أثناء الحرب فقال:

"إني أرى في المستقبل القريب أزمة تلوح في الأفق وهي تقض مضجعي وتسلبني راحتي خوفاً على أمن بلادي، لقد تربعت الشركات على عرش البلاد نتيجة الحرب، وسيتلو ذلك عصر من الفساد في المناصب العليا، وستعمل قوى المال كل ما في وسعها لإطالة أمد ذلك العصر وسيادته وديمومته، من خلال حرمان الآخرين حقوقهم حتى تتركز كل الثروات في أيدي قليلة، ولتؤول هذه الجمهورية إلى الدمار" وقال أيضاً : "لو كان هناك مكان أسوأ من الجحيم فتأكد اني أعيش فيه الآن".

الاضطرابات المالية والاقتصادية

في مايو سنة 1873 انهارت بورصة فينّا . وحيث أن بيوتات المراباة والمال كانت متعولة قبل أن تصبح كلمة العولمة استعمالاً شائعاً، انتقلت العدوى إلى بورصة كل من برلين، وأمستردام وباريس ولندن ووصلت إلى نيويورك في الخريف سنة 1873 لتسبب واحدة من أسوأ الكسادات في الإقتصاد الأمريكي والذي بقي واستمر زهاء عشرين عاماً عجزت فيه شركات سكك الحديد عن سداد ديونها مما أدى إلى إفلاس الكثير من البنوك وانهار مصرف جي كوك، أند كومباني وهو الأكثر تعاملًا مع حكومة الولايات المتحدة في 18/9/1873 تبعه افلاس 57 شركة استثمارية مما اضطّر بورصة نيويورك لإغلاق أبوابها للمرة الأولى في تاريخها في 20/9/1873 ، وأوقف 327 مصرفاً مدفوعاتهم بين 1873 – 1879 وفقدت 10000 شركة كل ما تملك.

في يناير 1874 تفاقمّت الأزمة وتظاهر آلاف المحتجين في نيويورك مطالبين بالعمل أو الخبز ، وفرقتهم الشرطة بالقوة واعتقلت العشرات منهم .

وعندما احتج عمال المناجم على أوضاعهم السيئة رتب أصحاب المناجم أمرهم مع الدولة فحكمت على عشرين من المحتجين بالاعدام . وعندما خفضت شركة بالتيمور أند اوهايو من دخل موظفيها بدأ العمال اضرابين سرعان ما انتهى الإضراب الثاني سنة 1877 باستدعاء قوات اتحادية "لإعادة النظام" وتم قتل مئة من العمال وجرح المئات منهم كذلك.

الفساد سيد الموقف

كانت الأحزاب السياسية والسياسيون بمختلف رتبهم وأماكنهم فاسدين مفسدين، تباع القوانين وتشتري في ردهات الكونغرس وعلى قارعة الطريق. كان وكيل آل روتشايلد في أمريكا اوغست بلمونت August Belmont يشغل منصب رئيس اللجنة القومية للحزب الديمقراطي . أما رئيس اللجنة القومية للحزب الجمهوري وليم تشاندلر William Chandler فكان يتلقى الرشاوي والهبات المالية من أربع شركات مختلفة في قطاع سكك الحديد في الوقت نفسه . أما بعض أعضاء مجلس الشيوخ فكانوا يتلقون اتعابهم مقدماً من الشركات التجارية الكبرى.

في هذه الأثناء طال الفساد أكثر أعضاء إدارة الرئيس غرانت Grant وكما تقول كاتبة سيرة مورغان ، جين ستراوس ، "إنها أكثر الحكومات فساداً في ذلك القرن حيث لطختها الفضائح المالية التي وصمت كل عضو من أعضاء الوزارة فيها" . كما تورط نائب الرئيس في فضية مع المؤسسة المالية كريدت موبيليه Credit Mobilier عام 1872 حيث أصدرت أسهماً بأسماء أعضاء في الكونغرس لمشروع سكك حديد مقابل الموافقة على منح قروض اتحادية.

في عقد السبعينات لهذا القرن استعمل البارونات اللصوص كل الأساليب لخلق الاحتكارات . فخلاله سيطر جون روكيفيلر على النفط بواسطة شركته ستاندرد أويل فأصبح يملك في سنة 1879 90% من صناعة وتجارة تكرير البترول في الولايات المتحدة كما سيطر على سبيل المثال أيضاً اندرو كارنجي Andrew Carnegie على قطاع الفولاذ وشركاته الواحدة تلو الأخرى. وبالمقابل أصبحت الاضطرابات العمالية منتشرة على نطاق واسع، ففي عام 1886 وحده قام العمال بحوالي 1600 اضراب عن العمل ، وشهدت الفترة من عام 1889 حتى نهاية ذلك القرن عدداً كبيراً من الاضرابات والاضطرابات.

العبودية تحت أسماء أخرى

أراد المزارعون أن يتصدوا لنظام حجز محاصيلهم كضمان للقروض من المرابين. يصف لورانس غودوين (Lawrence Goodwyn) في كتابه "الوعد الديمقراطي _ الحركة الشعبية في أميركا (Democratic Promise- The Populist Movement in America) هذا النظام فيقول:

" يقترب المزارع مسبل العينين وهو يحمل قبعته بيده بكل خنوع من التاجر ويقدم له قائمة احتياجاته. يقلّب التاجر خلف الكاونتر دفتر الاستاذ بين يديه، وبعد شد وجذب، يتحرك نحو الرفوف لاختيار بعض البضائع التي تلبى فقط التّزر اليسير من الاحتياجات التي قدمها زبونه المزارع. ونادراً ما كان المزارع يحصل على الكمية التي يطلبها من سلعة واحدة، أو على السلع المختلفة التي يحتاجها كلها. لم تكن هناك أية اموال تنتقل من يد إلى أخرى أو من مالك إلى آخر، كان التاجر فقط يُدوّن بعض الملاحظات في الدفتر الأستاذ الموجود أمامه. وبعد أسبوعين أو حتى شهر من الزمان؛

تتكرر الحكاية بكل تفاصيلها: يعود المزارع، يستشير التاجر الدفتر الاستاذ من جديد، ويحصل الشد والجذب مرة أخرى، وتتكرر عملية اختيار السلع التي يحتاجها المزارع، وتضاف ملاحظات جديدة في الدفتر الاستاذ. ومن مطلع الربيع وحتى انقضاء الخريف، تتكرر هذه الطقوس حتى يلتقي المزارع بالتاجر في أحد حقول القطن، حيث يخضع محصول القطن الذي كدح فيه المزارع طوال عام كامل، إلى عملية الحلج والتكيس والرزم والوزن ومن ثم البيع. وفي تلك اللحظة تحديداً، يقوم التاجر بإعلام المزارع ما جناه محصوله لتلك السنة.... ويخبره التاجر أن الدين الذي تراكم طوال العام قد تجاوز الدخل الذي حققه محصول القطن. لقد باعت جهود المزارع بالفشل ولم يتمكن من "الدفع" وسداد دينه.... وعندها يعلن التاجر نيته مساعدة المزارع خلال الشتاء، ولكن وفق حساب جديد يضطر معه المزارع إلى التوقيع على رهنه محصول السنة القادمة للتاجر. ولدى توقيع هذا الحجز، يستقل المزارع عربته خالي الوفاض ويذهب إلى بيته وفي ذهنه أنه وللمرة الثانية أو الاولى أو الخامسة عشرة على التوالي، قد فشل في دفع ديونه."

حزب الشعب : حلول لا رأسمالية

لعل أحد الامثلة على ان جديد الرأسمالية قديم وقديمها جديد أنه حينما نقرأ ما قاله أحد اعضاء حزب الشعب إيغناطيوس دونيللي Ignatius Donnelly في مؤتمر حزب الشعب في الربع الاخير تظن انه يصف حالة اليوم:

"نعيش في زمن وصل إلى حافة الخراب الأخلاقي والسياسي والمادي. لقد أصبحت الشركات هي التي تهيمن على الانتخابات والمشرعين والكونغرس، حتى وصل هذا الخراب الأخلاقي والسياسي إلى المحكمة العليا.... أما الجرائد فهي إما مُمَوَّلَة منهم أو انها مكتومة الصوت. كما أن الرأي العام قد تم إسكاته. وبينما يزدهر أصحاب الأعمال فإن بيوتنا مرهونة، وعمالنا مُعْدَمُونَ وتسرق الأراضي ليتم بناء ثروات خيالية غير مسبوقة في تاريخ العالم من أناس يحتقرون جمهوريتنا، ويعرّضون الحرية إلى الخطر. ومن رحم اللاعدالة الحكومية تولد طبقتان — المسحوقون وأصحاب الملايين".

في سانت لويس عام 1889، كان أن وضع ماكليون وحزب الشعب خطة تدعو الى المطالبة والمناداة بأن الديمقراطية تستدعي وجود نظام مالي ديمقراطي غير مركزي من حيث السيطرة على القروض والاعتمادات، بحيث يسمح بتدفقها للمنتجين الحقيقيين بما يضمن انتشار الفرص وتوسع الدخل بأكبر قدر ممكن. ولا يتحقق ذلك الا من خلال الإقراض الحكومي المباشر للمنتجين دون أية وساطة (من البنوك). وضعوا خطة مفصلة أصبحت تعرف باسم خطة الخزائن الفرعية. وتنص هذه الخطة على أن تقوم وزارة الخزانة الأميركية في كل مقاطعة ذات منتج زراعي واسع ببناء مخزن فيدرالي ومساعد للحبوب، وبذلك يكون هناك الآلاف من هذه المراكز التي ستسمى بالخزائن الفرعية. وبإمكان المزارع أن يودع منتوجه في إحدى هذه الخزائن الفرعية ويقترض بفائدة 1% أو 2% على وديعته. وليصبح بمقدوره ايضاً أن يبيع محصوله بالأسعار السائدة أو أن يقترض بضمان قيمة أرضه. ويدفع للمزارعين حسب هذه الخطة بالاوراق النقدية، أي الدولارات التي ليس لها غطاء ذهبي، بحيث يغطيها الإنتاج الحقيقي. ومن الممكن أيضاً أن تكون الدفعات على شكل شهادات إيداع قابلة للتداول بحيث يمكن مقايضتها وتداولها. وتقول الخطة إن هذه الموارد المالية والعرض النقدي قد تسحب نظرياً بعد أن يسدد المزارعون قروضهم.

كما طالبت الخطة أنه ينبغي أن يكون للمال غاية اجتماعية ، لا أن يكون فقط لمجرد كسب المزيد من المال. من الواضح أن هذه الخطة من شأنها أن تخرج أصحاب البنوك من دائرة الإقراض، حيث أن القروض ستذهب مباشرة إلى المستخدمين. ولكن هذا النظام لم يكن لتكتب له الحياة طالما أن لأصحاب البنوك محاسبيهم وعملاؤهم المخلصين في واشنطن، وطالما انهم لا يزالون يحكمون سيطرتهم على قوة المال.

وبدأ اعضاء حزب الشعب يراقبون وينتقدون تصرفات حكومتهم فعندما أنقذت وزارة الخزانة الأميركية البنوك التجارية في التسعينات من القرن التاسع عشر عن طريق تخفيض الفائدة الى 1% على دينها لتلك البنوك والبالغ 47 مليون دولار، كتب أحد قادة حزب الشعب تريسي قائلاً:

" ... طالما أن الحكومة تستطيع إقراض المال لأصحاب هذه البنوك بنسبة 1% على ضماناتهم، فلماذا لا تقوم بإقراضه للشعب على ضماناته؟ وما دامت الحكومة تستطيع إنقاذ أصحاب البنوك هؤلاء من خلال الفارق البسيط

بين سعري الشراء والبيع، وتجنيبهم التضحية بضماناتهم، فلماذا إذن لا تستطيع أن تفعل الشيء ذاته مع الشعب؟ يا لها من سخرية واستهزاء من هذه الحكومة الديمقراطية أن تمنح مزاياها لأربعة آلاف رجل لأنهم أغنياء وتنكر هذه المزايا ذاتها على 65 مليون شخص."

كانت أفكار حزب الشعب ثورية وأصيله وكانت من خارج النظام الرأسمالي الذي أفرز بينهم التعاسة والفقر والحرمان. فكانت لهم آراؤهم في السياسة النقدية للدولة. كان أعضاء الحزب يرون أن السياسة والنظام النقدي الأميركي غاية في الانحياز والاضطهاد. وقد بدأوا أولاً بوضع تعريفهم للمال، حيث يقول أحد أعضاء حزب الشعب المنتخب حديثاً في الكونغرس:

"إننا نعرّف المال بأي حال على أنه صنيعة القانون، وتمثيل بسيط للقيمة، وأداة للصرف، وهو ليس بأي حال من الأحوال سلعة تباع وتشتري." لقد وضع هذا النائب يده على إحدى العلات الرئيسية لرأسمالية القرن العشرين، حيث أنها تعتبر المال سلعة تباع وتشتري.

وفي الانتخابات الوطنية لعام 1890، فاز حزب الشعب بخمسة مقاعد في مجلس الشيوخ وعشرة مقاعد في مجلس النواب. وظلت انتصاراتهم تتكرر الواحدة تلو الأخرى في عام 1894. كانت شعارات حزب الشعب هي "مال الشعب"، "ارض الشعب"، "ثروة الشعب" و"مواصلات يملكها الشعب" وبدأ أعضاء ومناصرو حزب الشعب يطالبون بنظام قومي جديد وأموال قومية جديدة تصدرها الحكومة بدلاً من البنوك المحلية المخصصة، كما كان الحال عليه. وتحدثوا عن "راس مال مركزي متحالف مع قوى الشركات غير المسؤولة".

وفي خطاب ألقاه في سانت لويس، قال ليونيداس لافاييت بولك: "لقد آن الأوان ليوحد الغرب العظيم والجنوب العظيم والشمال الغربي العظيم قلوبهم وأيديهم معاً ويمشوا مشية رجل واحد إلى صناديق الاقتراع السرية ويستولوا على الحكومة، ويعيدوا إليها مبادئ آبائنا، ويديروها بما يتماشى ومصالح الشعب".

عقد التسعينات من القرن التاسع عشر

كانت الثورة الصناعية تتسارع مع حلول عام 1890، وأظهرت الإحصاءات الرسمية الأميركية أن عائدات الصناعة قد تخطت عائدات الزراعة للمرة الأولى في تاريخ الولايات المتحدة . لكن ذلك، لم يحل دون تعرض النظام المصرفي إلى هزة تلو الأخرى، واحدة عام 1893 والأخرى عام 1895 مما زاد شقاء الشعب وفقره . كتبت إحدى السيدات المزارعات الرسالة التالية لحاكم ولايتها، وكان من حزب الشعب وذلك في عام 1894:

"إنني أمسك قلماً بيدي لأعلمك بأننا نموت جوعاً.... خرج زوجي بحثاً عن العمل ولكنه عاد البارحة مساءً وأخبرني بأن علينا أن نتصور جوعاً حتى الموت. لقد جال في عشر مقاطعات غير أنه لم ينجح في الحصول على أي عمل.... إنني لم أتناول أي طعام اليوم والساعة الآن الثالثة".

طلب الرئيس كليفلاند (Cleveland) من عائلة روتشيلد، ومن خلال وكيلهم أوغست بيلمونت جونيور (August Belmont Jr.) ، قرضاً مجمّعاً بقيمة 100 مليون دولار لوزارة الخزانة. ووافقت عائلة روتشيلد على القرض ولكنها أصرت على وجوب سداد هذا القرض إما بالذهب أو بالجنهات الاسترلينية.

أثارت مشاركة آل روتشيلدز موجة من معاداة السامية لتربط بشكل انعكاسي قضايا المال والاعتمادات باليهود. وأصدر ويليام جينغز برايان (William Jennings Bryan) والذي أصبح مرشحاً لرئاسة الجمهورية ممثلاً عن الحزب الديمقراطي وحزب الشعب اصدر أمره بأن يتلو ميثاق شايлок (المرايبي اليهودي) من مسرحية شكسبير – تاجر البندقية، ثم طالب "بأن تدار وزارة الخزانة نيابة عن الشعب الأميركي وليس بالنيابة عن آل روتشيلدز أو عن اصحاب البنوك الأجانب"

كان لحزب الشعب صحافة حرة ديمقراطية إنسانية لكنها كانت تفتقر إلى الموارد المادية . وصف لورانس غودوين محرري صحف حزب الشعب بأنهم كانوا رعاة لجوٍّ رائع من الأخلاقية الديمقراطية والعاطفة تجاه الإنسانية. وهذا بعض ما كتبوا:

"ما هي أمريكا وديقراطيتها عندما يتمكن (أرباب الصناعة) المتغطرسون من شراء ضمائر المشرّعين وإبقاء الكونغرس الأمريكي في حالة دائمة من العبودية لهم؟ ما هو العمل الصادق المخلص عندما تؤدي التركيبة الجائرة للعملة إلى انحطاط أسعار منتجات المزارع إلى ما دون تكلفة الإنتاج؟ كيف يكون العمل شريفاً عندما تلتهم معدلات الفائدة المرتفعة كل ما في المزارع من إنتاج قوي معافى؟ أين هو الإخلاص في العمل عندما تجني شركات السكك الحديدية أموالاً طائلة جراء شحنها لمحصول الذرة أكثر مما يجنيه المزارعون عند زراعته والاعتناء به؟ أين هي الفضيلة في المجتمع عندما يقوم أصحاب البنوك ودور السمسمرة وشركات تخزين الحبوب بكل جشع بتدمير الجمعيات التعاونية الزراعية؟ أين هي الكرامة عندما تضطر النسوة المزارعات إلى الذهاب حافيات إلى التجار الذين يحددون، بكل جلافة، ما يمكن أو لا يمكن لعائلة المزارع أن تاكله؟ ما هي الحرية ، وأين هي عندما فرض قانون حجز المحاصيل من خلال قانون تأجير أملاك المحكوم عليهم؟".

كانت أفكار حزب الشعب في واقعها تنسف النظام الرأسمالي من جذوره المعتمدة على المرابين والمصارف. لكنه أخفق في ضم طبقة العمال إلى صفوفه حيث كان أكثر أعضائه من المزارعين الذين بدأت أعدادهم تتناقص لإستعمال المكننة في الزراعة، كما أن العمال كان أكثرهم من المهاجرين الجدد وكانت أية ظروف مناسبة في الولايات المتحدة أرحم من ظروفهم في أوطانهم التي أتوا منها. كما أن أكثرهم كانوا يعتنقون الكاثوليكية، بينما المزارعون من قدامى الأمريكيان المرتبطين بأرضهم هم من البروتستانت. أضف إلى ذلك قيام البارونات للصوص بدس بعض الأعضاء بين الحزب والذين قاموا ببذر الفرقة بين صفوفهم وقادوا عملية انحراف. ولقد كانت موارد الحزب المادية في غاية الضعف ، كان أكثرهم يجد صعوبة حتى في دفع بضع الدولارات سنوياً كاشتراك العضوية.

بداية عصر الإمبريالية الأمريكية : الحرب الأمريكية الإسبانية

أصبحت الولايات المتحدة محتاجة لأسواق أجنبية بسبب اقتصادها الراكد وإنتاجها المرتفع. وقال ثيودور روزفيلت ، الذي تولى الرئاسة فيما بعد ، قال حين كان يشغل منصب مساعد وزير البحرية في إدارة الرئيس ماكينلي "إن هذه البلاد تحتاج حرباً"، وهكذا بدأت الصحافة حملتها الإعلامية المنسقة

دوماً بين أصحابها من بارونات لصوص ضد اسبانيا لإعداد الشعب نفسياً لتقبل وخوض الحرب. وزعمت الصحافة أن الوحشية التي تمارسها اسبانيا في كوبا لم تعد تطاق وطالبت الولايات المتحدة بالتدخل. ولقد أعاد التاريخ نفسه في العراق، ابتداءً من صحافة مملوكة من القوى صاحبة المصالح باحتلال العراق.

وفي منتصف شهر فبراير من عام 1898، اندفعت الولايات المتحدة إلى الحرب ضد اسبانيا بعد غرق السفينة الحربية الأمريكية ، مين، Maine في ميناء هافانا تحت ادعاء أن الأسبان قد أغرقوها. وتمخضت هذه الحرب عن احتلال أمريكا لكوبا وغيرها من المناطق الاسبانية ، بما فيها جزر الفلبين النائية. وسرعان ما اتضح فيما بعد أن غرق السفينة "مين" كان نتيجة "عطل" داخلي، وليس نتيجة طوربيد اسباني كما زُعم آنذاك. وحسب الانسكيلوبيديا بريتانىكا ، فهذه الحرب كانت بداية عصر الإمبريالية الأمريكية.

هجوم الرأسماليين المضاد

كان لابد من الالتفاف على الحركة الشعبية المتصاعدة خصوصاً في الولايات المتحدة والتي بلغت ذروتها في العقد الاخير من القرن التاسع عشر. تبين للبارونات اللصوص (وهو وصف المؤرخين الاميركيين لأصحاب الاحتكارات الصناعية امثال روكيفيلر وكارنغي) بان المواجهة والمصادمات مع النقابات واتحادات المزارعين لم تزد هؤلاء الا تصلباً وصلابة، فرأى تكتل المال والصناعات أنه يجب الالتفاف على هؤلاء لا مواجهتهم .

تم سنة 1893 انشاء الاتحاد المدني لشيكاغو يرأسه صحفي محافظ ينتمي الى الحزب الجمهوري . وقام اصحاب الاعلام والمال وبارونات الصناعة بإبرازه وطنياً حيث انشأ سنة 1900 الاتحاد المدني الوطني National Civic Federation (NCR) والذي كان يسطير عليه البارونات اللصوص أنفسهم بمن فيهم جي بي مورغان . كان الهدف من NCR إيجاد علاقة جيّدة بين أصحاب المال والعمالة حيث كان الهدف هو إضعاف الصراع الطبقي الحاد بينهما . فقرر الاتحاد أن يتبنى ويساند النقابات على أن تتخلى هي عن افكارها الثورية وترضى بالعمل ضمن النظام الحالي. ورأى أصحاب رؤوس الاموال

أن اعطاء بعض الامتيازات للعمال سيكون أقل كلفة من الاضطراب الناتج عن القلاقل والاضرابات فسارت في هذا السبيل . كان الامر يتطلب الكثير من البحث والتخطيط والخداع . فتم اختيار رؤساء أمثال تدي روزفلت Taft و TeddyRoosevert من الديماغوجيين الذين يدعون الاصلاح والتقدمية مع أنهم في احسن احوالهم متصالحين بل متحالفين مع الرأسماليين .

مما زاد من رعب ارباب المال زيادة نفوذ الحزب الاشتراكي بنسبة 400% بانتخابات سنة 1904 حتى ان الكنيسة قد تم استعمالها للهجوم المضاد حيث انشأت (مليشيات المسيح) لمقاومة الاشتراكيين وافكارهم . وشارك الاتحاد في هذا الجهد مع الكنيسة. كان الاتحاد يدعي في الظاهر أنه يناصر الاهداف الاجتماعية للاشتراكيين لكن بدون قبول افكاره ونظرته الى الرأسمالية . وعمل الاتحاد على تدمير الاشتراكية بمؤازرة من الاعلام والمؤسسات الاكاديمية والتعليمية . وتم ابتكار طرق للسيطرة على الرأي العام .

هكذا كان حال الولايات المتحدة حينما كان سيسل رودس وروتشايلد وجميعاتهم السرية يخططون لاتحاد عالمي للناطقين بالانجليزية في المملكة المتحدة وكندا والولايات المتحدة واستراليا ونيوزلندا ليشمل بقية العالم في الوقت المناسب.

أزمة البنوك

اثناء الاضطرابات السياسية والاجتماعية آنفة الذكر أصاب الاقتصاد الامريكي تباطؤ اقتصادي كاد أن يصبح زلزالاً اقتصادياً سنة 1907. في تلك السنة انهار ثالث أكبر بيت مال في نيويورك ، (وهو مؤسسة نيكر بوكر) وهبط مؤشر أسهم بورصة نيويورك 50% عن السنة السابقة . وقد امتدت انهيارات البيوتات المالية الى كافة ارجاء الولايات المتحدة. حينئذ تدخل مورغان وكان كأنه بنك مركزي بشخصه. وقرر من سيتم انقاذه من البنوك ومن منهم سيموت، ومباشرة بعد هزّه 1907 قرّر الكونغرس انشاء " لجنة النقد الوطنية" لمراجعة النظام المصرفي في الولايات المتحدة وعيّن السناتور نيلسون الدريتش Aldrich لوضع خطة لانشاء البنك المركزي \ الامريكي ولكن باسم آخر.

قال مائير روتشايلد: "اسمحوا لي بالتحكم بشؤون المال في أي أمة ولا يهمني من يحكمها عندئذٍ"

إذا كان عدد اليهود في الولايات المتحدة 6721650 أي 2.2% من مجموع سكان الولايات المتحدة ، فكيف نفسر أن يكون المرشحين الثلاثة لمنصب رئيس مجلس الاحتياط الفدرالي في سنة 2013 من اليهود وأن يتم اختيار يهودية هي جنيت يلين، لتحل محل يهودي هو بن شلومو برنانكي Bernanke والذي حل محل يهودي آخر هو الآن جرينسبان Greenspan .

وكيف لنا ان نفسر أن الازمة المالية التي بدأت سنة 2008 كان على راس البنك المركزي الامريكي (الاتحاد الاحتياطي الفدرالي) يهودي كانت رسالته للدكتوراه في (MIT) العريقة عن الاخطاء في معالجة أزمة الكساد الكبير والتي أشرف عليها يهودي آخر هو ستانلي فيشر والذي أصبح بدوره رئيساً للبنك المركزي الاسرائيلي ؟ بعملية حساب أحصائي على احتمالات الصدفة – تكون احتمالات الصدفة صفراً .

هل يا ترى أن إجهاض عملية بحث موضوعي عن غياب الصدفة لهذا المنصب هو مؤامرة أم نظرية مؤامرة؟

المؤلف

الفصل الثاني

انشاء بنك مركزي باسم آخر رحلة سرية الى جزيرة جيكل (Jekyll island)

عقدة الجمهور الامريكي ضد البنوك المركزية

في بدايات القرن التاسع عشر حاول الرأسماليون ايجاد بنك مركزي أمريكي على غرار البنوك الاوروبية، كان الاسم الذي أنشئ به في المحاولة الاولى البنك الاول للولايات المتحدة: The First Bank Of United States والذي كان يقف وراءه جيمس روتشايلد . الا أن الرئيس توماس جفرسون Thomas Jefferson حاربه حتى النهاية. وهكذا كان نصيب المحاولة الثانية، فتولّد لدى الجمهور الأمريكي عقدة ضد البنوك المركزية خاصة على الطراز الاوروبي والتي اعتقدوا أنها صممت لخدمة كبار المصرفيين والرأسماليين لا لخدمة عامة الشعب . وهكذا ظلّ القرن التاسع عشر والولايات المتحدة تعمل بدون بنك مركزي، ولكن مع وجود تآلف احتكاري بين اصحاب كبار البنوك وعلى رأسهم ملكهم غير المتوج جي بي مورغان . ويعتقد أكثر الأمريكيين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وخصوصاً حركة "الشعبيون"، وكذلك الاشتراكيون في مطلع القرن العشرين، بان أصحاب البنوك الامريكيون هم حلفاء لبارونات المال الاوربيين، يتعاونون على

إيجاد الهزات الاقتصادية التي ينتج عنها افلاسات الطبقة الفقيرة والمتوسطة لصالح بنوكهم.

آخر هذه الهزات كان سنة 1907 حيث أفلس العديد من البنوك في أرجاء الولايات المتحدة مما نتج عنه فقدان الكثيرين لمدخراتهم مما زاد النقمة الشعبية ضد أصحاب البنوك. ونتيجة الى التذمر الشعبي طالب التقدميون (Progressive Party) بالتدقيق في اسباب الانهيار. حدث ذلك في وقت صاحبه تنامي حركة الاشتراكيين والذين زادت شعبيتهم حيث ارتفع عدد منتخبيهم 400% في تلك الاثناء.

اللجنة الوطنية للنقد

ولامتصاص النقمة الشعبية قام الكونغرس الامريكي بتشريع (اللجنة الوطنية للنقد) The National Monetary Commission لنقوم بدراسة الأوضاع التي تسببت في أزمة 1907 وكذلك وضع الحلول لعدم تكرارها مستقبلاً. وتم تعيين ذنب ليراقب قطيع الغنم . عين الكونغرس السناتور نيلسون ألدريتش Nelson Aldrich رئيساً للجنة تقصي الحقائق ووضع التوصيات لتشريع يوافق عليه الكونغرس لمعالجة أزمة البنوك والنقد والانهيارات والافلاسات المتكررة التي تسبب بها المصرفيون. كان ألدريتش يرتبط بمصاهرة مع جون روكيفيلر حيث أن ابنة ألدريتش كانت متزوجة من ابن روكيفيلر ، كما كان يمتلك العديد من الاسهم في البنوك والشركات والمناجم . في السنتين التي تلت تشكيل لجنة النقد الوطنية، سافر ألدريتش واعضاء لجنته إلى أوروبا . طوال هذه المدة وحتى أوائل سنة 1911 لم تجتمع اللجنة ولا حتى مرة واحدة . كما أنها لم تكتب أي محضر . كل ما أتت به كان كتاباً من ألف صفحة عن بنك Reich Bank الألماني والذي يسيطر على أسهمه عائلتي روتشايلد ووربرغ Warburg اليهوديتين.

رحلة سرية الى جزيرة جيكل

في ليلة الثاني والعشرين من نوفمبر لسنة 1910 وصل الى محطة قطار هوبكن في نيوجيرسي عدد من كبار أصحاب ومدراء كبريات بيوت المال في رحلة سرية الى جزيرة جيكل Jekyll Island على سواحل ولاية جورجيا والتي

تبعد ألف ميل عن نيويورك ، وبالرغم من السرية المطلقة التي تم التخطيط لها سواءً باعتبار أنها رحلة صيد الى منتجع جيكل والمملوك من كبار رجال المصرفيين وعلى رأسهم جي . بي مورغان تم الطلب من جميع المشاركين عدم البوح بأسمائهم العائلية وأن يتنادوا بالاسم الاول فقط. كما كانت عربة القطار التي ركبوها مملوكة من السناتور ألدريتش، وكانت الستائر مسدلة على كافة النوافذ. وصل المؤتمرين أو المتآمرون الى الجزيرة وهم:

- نيلسون ألدريتش- رئيس لجنة النقد الوطنية وسكرتيه
- وكيل وزارة الخزانة الامريكية
- فرانك فانديلي Frank Vandeli عن - البنك الوطني لمدينة نيويورك
- هنري ديفدسون - Henry Davidson الشريك الرئيسي لـ جي بي مورغان
- شارلز نورتن Charles Norton - رئيس البنك الوطني الاول لمدينة نيويورك
- بول ووربورغ (Paul Warburg)- الممثل عن عائلة ووربورغ المتحالفة مع عائلة روتشايلد
- بنجامين سترونج Benjamin Strong - احد كبار مساعدي مورغان ومبعوثه الشخصي

قضى المؤتمرين عشرة أيام تداولوا فيها كافة الخيارات . كان ابرزهم علماً ومعرفة بعمل البنوك المركزية الاوروبية(بول ووربورغ اليهودي الألماني سليل عائلة ووربورغ البنكية المتحالفة مع عائلة روتشايلد). وقد توصل المجتمعون في نهاية المطاف الى خطة سرية يتم تقديمها للكونغرس على أنها خطة ألدريتش ولجنته . كما وضع المؤتمرين خطة الدعاية الواسعة لخطتهم والتي ستسمى خطة الدريتش. كان من توصيات بول ووربورغ التي اعتمدها المؤتمر السري عدم تسمية البنك المركزي المقترح بأنه بنك مركزي ، وتم اعتماد أن يتم تسميته منظمة الاحتياط الفدرالي Federal Reserve Association. ولقد تم تسميته فيما بعد نظام الاحتياط الفدرالي Federal Reserve System. عن ذلك كتب البروفيسور سليغمان E.R.A. Seligman رئيس كلية الاقتصاد في جامعة كولومبيا و سليل عائلة سليغمان المصرفية اليهودية المعروفة، كتب في اكااديمية العلوم السياسية²

² V.Y.N:4 P387-390

" يعلم القليلون كم هي مدينة الولايات المتحدة الى السيد بول ووربورغ. يمكن القول إن الملامح الاساسية لنظام الاحتياط الفدرالي. يعود الفضل فيها إلى شخص لا غيره وهو السيد ووربورغ . أن نظام الاحتياط الفدرالي هو في كل أركانه بنك مركزي ما عدا اسمه "

تسميتهم الخطة السرية خطة ألدريتش

بعد رجوع المؤتمرين من جزيرة جيكل وتسميتهم خطتهم السرية المعتمدة منهم والتي اسموها خطة ألدريتش ، بدأوا بتنفيذ التوصية بالقيام بعمل اعلامي في كافة ارجاء الولايات المتحدة لكسب القبول لخطتهم ، حيث تم تقديم الخطة الى الكونغرس لاعتمادها . استعملوا في ذلك الجامعات الكبرى لاعطاء خطتهم الصفة الاكاديمية الجدية بما في ذلك جامعات هارفارد وبرنستون وجامعة شيكاغو . هارفارد تحمل أصلاً اسم رجل الاعمال الانجليزي هارفارد. أما جامعة شيكاغو فإن احد اكبر مؤسسيها هو جون روكيفيلر صهر ألدريتش. وتم رصد خمسة ملايين دولار ، وهو مبلغ ضخم بمقاييس ذلك الزمان لدعم حملتهم، يغطيه اصحاب بنوك نيويورك. وتم اختيار وودرو ويلسن Woodrow Wilson حاكم ولاية نيوجيرسي ورئيس جامعة برينستون سابقاً ، والرئيس الاميريكي لاحقاً ناطقاً باسمهم بعنوان: (الخطة المقترحة للتشريع النقدي لنيلسون ألدريتش) وتم انشاء اللجنة القومية للمواطنين وقدمت جامعة شيكاغو البروفيسور لافلين (Laughlin) لرئاستها والدعاية للخطة.

بعد تقديم خطة ألدريتش للكونغرس وقف النائب ليندبرغ Lindbergh في 1911/12/15 قائلاً :

" إن نظامنا المالي هو نظام سيئ وهو عبء على المواطنين . إنني أدعي أن هناك احتكاراً يجمع أصحاب المال والبنوك وادعي أن خطة ألدريتش وضعت لصالح هؤلاء وبشكل واضح. لماذا يقوم تجمع هذا المال بهذا الجهد الآن لتمير هذه الخطة قبل أن يعرف الشعب محتوى ما تقدم به احتكاريو المال."

وأضاف ليندبرغ : " إن خطة الدريتش هي خطة وول ستريت ... الدريتش دفعت له الدولة لتمثيل الشعب فقام بتقديم خطة لصالح تكتل أصحاب الاموال."

كذلك نشرت مجلة نيشن Nation في 19/1/1911:

" إن اسم البنك المركزي قد تم إخفاؤه ، ولكن الاسم المقترح – نظام الاحتياط الفدرالي – ما هو إلا بنك مركزي بما له من نفوذ وما عليه من مسؤوليات يحاكي أي بنك مركزي اوروبي."

السناتور كينز (Cummins) استطاع أن يصدر قراراً من الكونغرس يطلب من لجنة النقد الوطنية برئاسة الدريتش الحضور لجلسة مساءلة لتبين النتائج الملموسة اثناء قيامها فترة الثلاث سنوات منذ تأسيسها . لكن لم يكن للجنة ما تقدمه حيث أنها لم تعقد اي اجتماعات وليس لديها أي وثائق ... وهكذا لم يتم طرح خطة الدريتش على التصويت.

في الولايات المتحدة يصل الرؤساء والنواب والموظفون المنتخبون الى وظائفهم عبر دعم مادي مباشر لتمويل حملاتهم الانتخابية . فهولاء دوماً مدينون لمن دعموهم. وكما كان الحال في عهد باراك أوباما الذي ادار داعموه المصرفيون اكبر حملة انتخابية كلفت ملايين الدولارات، أوصل أصحاب المال وودرو ولسن الى الرئاسة ، وكان على ولسن ان لا يعلن ما يخفي ، فكان يدعي انه من الاصلاحيين . وساعده اعلام أصحاب تكتل المال في تعزيز هذه الصورة حتى تم انتخابه رئيساً ابتداء من سنة 1912 . ونسيت ذاكرة الجماهير القصيرة دوماً أن وودرو ولسن كان قد تمّ تنسيبه متحدثاً رسمياً ومدافعاً عن خطة الدريتش – خطة جزيرة جيكل السرية . بعد موت ما أسمى بخطة الدريتش كان على اصحابها إعادة إحياء تلك الفكرة ولو بأسلوب آخر.

لجنة بوجو

إستطاع آرسين بوجو Arsene Pujo رئيس لجنة الكونغرس لشؤون المصارف والعملية أن يصدر قراراً بتأليف لجنة فرعية عرفت باسمه (لجنة بوجو) وذلك للتحقيق في ممارسات تكتل المال (Money Trust) وذلك بعد قرار

استطاع النائب التقدمي ليندبرغ الحصول عليه من الكونغرس لصالح التحقق من تكتل المال استمرت هذه التحقيقات ما بين شهر أيار 1912 وحتى كانون الثاني 1913.

توصلت لجنة بوجو الى أن هناك عصابة من قادة ماليين متنفيين تسيطر على قطاعات الصناعات الكبرى ، والمواصلات (القطارات) والاتصالات، والاسواق المالية في الولايات المتحدة . وبين تقرير اللجنة أن ما لا يقل عن (18) مؤسسة مالية كبرى كانت تملك احتكاراً يرأسه جي بي مورغان، وجورج ف بيكر، وجيمس ستلمان – يهيمنون على الاحتكارات من القطاعات المذكورة آنفاً . كما بين التقرير أن حفنة قليلة من الرجال يتحكمون ويتلاعبون بسوق نيويورك المالي كما انهم يتحايلون على قوانين التجارة. وحدد التقرير ان 22 مليار دولار من الموارد ورؤوس الاموال يسيطر عليها 341 عضو مجلس ادارة في 112 شركة من أفراد تابعين لامبراطورية جي بي مورغان . ويقول شركاء جي بي مورغان إن ضغط استجوابه من لجنة بوجو قد ساعد على وفاته تلك السنة . لم يبق بوجو بعد تقريره طويلاً في الكونغرس ، واستعمل التقرير ككلمة حق اريد بها باطل بتمرير خطة الاحتياط الفدرالي / البنك المركزي أي خطة الدريتش مع بعض الرتوشات التجميلية . صدر تقرير بوجو بالرغم من العراقيل التي وضعت أمام لجنته ومنها عدم السماح له (قضائياً) بمراجعة دفاتر وسجلات البنوك.

تكتل اصحاب المال

جاء في خبر لجريدة النيويورك تايمز بتاريخ 1913/1/11 :

" المحامي ساميول إنتمير Untermeyer وأعضاء في لجنة بوجو التي تحقق في احتكار اصحاب المال كما جاء في شهادة جورج ف بيكر رئيس مجلس ادارة بنك نيويورك الوطني الاول أن هناك حقاً احتكار لاصحاب رؤوس الاموال... وحتى بدون ذروة اجتماع الامس حين اعترف المصرفي بيكر بان هناك خطراً في الوضع المالي الذي تتركز فيه رؤوس الاموال ، وبذلك يعتقد اعضاء لجنة بوجو أنهم قد حصلوا ما كانوا يسعون لبرهانه بأن هناك تركيز احتكاري مالي، ولكن بالرغم من ذلك لا يوجد في هذا التكتل ما يخالف

نص القوانين السارية .مما لاشك فيه ان هذا التجمع لرأس المال في ايدي قليلة يشكل خطراً ويشكل في حقيقته احتكاراً."

وتضيف النيويورك في نفس المقال:

" الشخصيات الثلاثة الالهة في عالم احتكار المال كانوا جي بي مورغان ذو السادسة والسبعين من عمره والذي يقضي معظم وقته في أوروبا وجيمس راي ستلمان وهو في الثالثة والستين من عمره والذي يعيش في أوروبا وجورج ف بيكر وهو في السبعين من عمره والاكثر نشاطاً . المؤسسات الخمس التي يهمن عليها هؤلاء الثلاثة وشركاؤهم تعتبر برأي اللجنة أنها الهيكل العظمى لقطاع الاحتكار المالي – لهم 341 عضو مجلس ادارة في 112 شركة راسمالها 22,245, 000, 000 دولار موزعة كالاتي

- 118 عضو مجلس إدارة في 34 بنك
- 30 عضو مجلس إدارة في 10 شركات تأمين
- 105 عضو مجلس إدارة في 32 شركة مواصلات بينهم خطوط سكك حديد بطول 150200 ميل دون احتساب شركات النقل البحري
- 63 عضو مجلس إدارة في 12 شركة خدمات (ماء ، كهرباء ... الخ)"

وودرو ويلسن Woodrow Wilson رئيساً

ربح الديمقراطيون انتخابات الرئاسة حيث اصبح المتحدث الرسمي لخطة الدريتش الآن رئيساً للولايات المتحدة ، واللافت للنظر أن ولسون وحزبه الديمقراطي قد نجحا في الاستيلاء على الاغلبية في مجلس الشيوخ والنواب في الكونغرس على اساس معارضتهما خطة ألدريتش لانشاء بنك مركزي . إذن كان لا بد من عمل بعض التغييرات التجميلية على خطة الدريتش لتمريرها في الكونغرس . وكذلك أصبح لزاماً تغيير التكنيك الدعائي للخطة – بل ومعارضة تكتل البنوك لأي تغيرات تجميلية مع بقاء جوهر خطة الدريتش على ما هي عليه.

قام الرئيس ولسون باقتراح خطة في سنة 1913 للإصلاح البنكي والنقدي قام بتبنيها رئيس لجنة البنوك والنقد في الكونغرس كارتر غلاس Carter Glass وهو من الحزب الديمقراطي . تم تقديم مقترح تم تسميته على اسم رئيس

اللجنة غلاس، في اساسه هو خطة الدريتش وبالتعديلات التجميلية التي لم تصب روح الخطة ولكن بعض تفاصيلها للدعاء بأن خطة غلاس هي خطة غلاس وليس خطة الدريتش. الخطة الجديدة أضافت ما تم تسميته مجلس الاحتياط الفدرالي وهو خليط من القطاع البنكي واعضاء تعيينهم الحكومة . لكن بنوك الاحتياط الفدرالي الفرعية المملوكة بالكامل للبنوك الخاصة اعطيت استقلالاً شبه كامل.

وتم تعديل خطة الدريتش التي كانت تجعل اصدار النقد من قبل البنوك الفرعية للاحتياط الفدرالي ، بحيث أصبح أي إصدار النقد من اختصاص وزارة الخزانة. بهذه التعديلات وضوضاء كارتل البنوك المعارض لهذه التعديلات تم تشريع نظام الاحتياطي الفدرالي في ديسمبر سنة 1913 ... وكما جاء في القانون فتم انشاء 12 بنك احتياطي فدرالي مملوكين من القطاع الخاص المصرفي، لكل منهم مجلس ادارته الخاص . اما النظام فيرأسه سبعة أعضاء (لمجلس الاحتياط الفدرالي) يتكون من أعضاء يعينهم الرئيس بالاضافة الى (اللجنة الفدرالية التشاورية) المتكون من 12 عضواً من الـ 12 بنك احتياط فدرالي فرعي ..بنك احتياط نيويورك الفدرالي هو الذي يتحكم عملياً بالنظام بأكمله وأكثر رؤساء مجلس الاحتياط الفدرالي يأتون منه مثل رئيس الاحتياط الفدرالي بن شلومو برنانكي.

ولكن لنسأل :

من كان أول رئيس لنظام الاحتياط الفدرالي بعد اقرار نظامه من الكونغرس؟ انه بنجامين سترونغ أحد السبعة المؤتمرين والمتأمرين في جزيرة جيكل والمندوب الخاص لـ جي بي مورغان !هل كان إنشاء البنك المركزي / نظام الاحتياط الفدرالي صدفة في 23/ ديسمبر 1913 اي قبل شهور من اندلاع الحرب العالمية الاولى؟

شهد شاهد من اهله

وكتب فرانك قاندرليب (وهو ممن حضروا مؤتمر جزيرة جيكل السري) مقالة في ساتردي أيفننج بوست في 9/2/1935، يقول فيها:

" لا أعتقد أن هناك أية مبالغة في أن اتحدث عن بعثتنا إلى جزيرة جيكل ، على أنها المناسبة التي حصل فيها الحمل لما أصبح يعرف بعد ذلك بنظام

الاحتياط الفدرالي . وطلب إلينا ترك أسمائنا الأخيرة وراءنا، كما طلب إلينا - إضافة إلى ذلك - تفادي تناول العشاء معاً في ليلة مغادرتنا ، كما تلقينا تعليمات للحضور كلاً على أفراد - وبالخفية ما أمكن - إلى محطة السكة الحديد على شاطئ الهدسون في نيوجيرسي ، حيث ستكون عربة السنتاتور ألدريتش الخاصة على استعداد ، ملحقة بنهاية قطار متجه إلى الجنوب . وما أن أصبح في العربة حتى نبدأ الالتزام بالتحريم المفروض على الأسماء الأخيرة ؛ وخاطبنا بعضنا البعض بأسمائنا الأولى مثل بن ، بول ، نلسون وإيب... حتى أنني تبنيّت وسائل تنكيرية أعمق ، متخلياً عن أسمائنا الأولى وكان يمكن لخدام أو طاقم القطار أن يعرفوا هويات واحد أو اثنين منا ، إلا أنهم لم يكونوا يعرفوننا كلنا . وكانت طباعة أسمائنا كلها معاً ، هي ما كان يمكن أن تجعل من رحلتنا الغامضة ، ذات أهمية في واشنطن و وول ستريت ، وحتى في لندن . وببساطة عرفنا أن اكتشافنا يجب أن لا يحدث . "

وعندما سئل فاندربليب لماذا السرية ؟ أجاب :

" فيما لو انفضح علناً أمر مجموعتنا بالذات ، وأنها قد التقت معاً وكتبت مشروع قانون مصرفي ، فإن مثل هذا المشروع سوف لن يعود له فرصة مهما كانت- لإجازه من الكونجرس."³

وإنه لمن المناسب الآن ، وعند هذه النقطة ، السؤال عما إذا كانت مثل هذه المكائد تعتبر مؤامرة، أم نظرية مؤامرة ؟! .. أليس بمقدورنا الافتراض أن هؤلاء الصفوة وأسلافهم قد اخترعوا " نظرية المؤامرة " كإجهاض للفكر الحر من أن يحقق في مؤامراتهم ؟! .. أليس بمقدورنا- الآن - القول إن " نظرية المؤامرة " هي في حد ذاتها مؤامرة!!

استلم جي بي مورغان جونير بيت مورغان

بعد موت جي بي مورغان سنة 1913 ، استلم ابنه جي بي مورغان جونير بيت مورغان (House Of Morgan) المالي والمالك لعدد من البنوك في نيويورك ولندن وباريس . ومن بداية الحرب العالمية الأولى اتفق بيت مورغان على تمويل المجهود الحربي لبريطانيا وفرنسا مجتمعين كما انه اتفق أن يكون وكيلاً لكافة البضائع المصدرة من الولايات المتحدة الى تلك الدولتين . كما

³[Michael A. Kirchubel](#), *Vile Acts of Evil - Volume 1 - Banking in America*, Mike Kirchubel, 2009, 108

قامت بريطانيا باعتماد بنك مورغان في نيويورك كالممول والوكيل الرئيسي للحكومة البريطانية وذلك سنة 1914 في بداية الحرب العالمية الاولى . وكذلك تم تسمية بنك مورغان أيضاً الممول الرئيسي للمجهود الحربي الفرنسي عبر بنك مورغان في باريس. وتولى مورغان عملية ترتيب اصدار صكوك ديون الحرب في الولايات المتحدة ، ومع استعار الحرب توترت العلاقات بين مورغان وفرنسا بعض الشيء فبعد ان تعثرت إمكانية فرنسا في الاستدانة من مصادر اخرى رفع مورغان من كلفة ديونه على فرنسا مما أثر على سعر الفرنك الفرنسي وانخفاضه وبقي مورغان يدين فرنسا حتى بعد انتهاء الحرب.

في بداية الحرب كان موقف الولايات المتحدة المعلن هو الحياد. لذلك فعمليات تمويل الحرب أثارت النزاع بين الحكومة في واشنطن وبين بيت مورغان وشارع المال وول ستريت . كان وزير الخارجية وليم جينينغز بريان William Jennings Bryan يعارض تمويل الاطراف المحاربة لان ذلك سيطيّل أمد الحرب ولأنه يتناقض مع سياسة الحياد الرسمية . لذلك أصدرت وزارة الخارجية قراراً رسمياً يمنع منح أي قروض للاطراف المتحاربة. وبالرغم من قرار المنع الرسمي بقي مورغان يمنح القروض لبريطانيا وفرنسا، بل أكثر من ذلك ، أدخل أمراء المال الاميريكيون وعلى رأسهم مورغان الولايات المتحدة الحرب مع بريطانيا وفرنسا ضماناً لسداد قروضهم . وهنا نعيد السؤال: اذا لم يكن من الممكن ادارة مورغان للدين لبريطانيا وفرنسا بدون بنك مركزي فهل صدور قانون البنك المركزي الامريكي قبل الحرب بشهور فقط كان مجرد صدفة ؟

جاء في وثائق مجلس العلاقات الخارجية في منتصف عام 1941 أن
" صياغة بيان عن أهداف الحرب لأغراض الدعاية يجب أن يكون مختلفاً
جداً عن صياغة تبين الاهداف الحقيقية التي تهدد مصلحتنا الوطنية... اذا
تم سرد اهداف الحرب والتي تبدو مهمة فقط بالامبريالية (كما ورد في
النص المذكور) الانغلو ساكسونية فذلك لن يقدم الا القليل لتعبئة شعوب
العالم وسيكون هدفاً للوعود النازية في المقابل . وكذلك فإن سرد الاهداف
الحقيقية سوف يكون هدفاً للعناصر المتطرفة في الولايات المتحدة والمملكة
المتحدة . لذلك فمصالح الشعوب الاخرى يجب التركيز عليها ، ليس فقط
شعوب اوروبا ولكن شعوب اسيا وافريقيا و اميركا الجنوبية فذلك سيكون
أقوى من الناحية الدعاية"⁴.

سؤال :

هل التعمد والمغالطة والكذب على الشعب الامريكي في امر مصيري
كالحرث والسلام وفي اجتماعات سرية هو مؤامرة أم نظرية مؤامرة؟

⁴ (Memorandum E-B ,April , 17,1941-CFR,war – Peace Studies – NUL)

الفصل الثالث

مؤسسات قوى الظل مجلس العلاقات الخارجية

الجزء الاول

...القوة الخفية لمجلس العلاقات الخارجية

مارست عائلة روكيفيلر نفوذها السياسي الهائل من خلال مجلس العلاقات الخارجية الخاضع لهيمنة العائلة . وكان المجلس ، الذي ظهرت فكرته إلى الوجود عام 1919 خلال محادثات السلام في فيرساي ، قد انشئ كأداة تحكم سرية من قبل المصالح البنكية المتنفة لمجموعة مورغان روكيفيلر . وقد تبرع شارلز برات Charles Pratt ، المدير المالي في شركة ستاندارد أويل المملوكة لعائلة روكيفيلر ، بمبنى في الشارع 68 بنيويورك ليكون المقر الرئيسي للمجلس ، وسرعان ما قام عدد من المنظمات الشقيقة ، بما فيها المعهد الملكي للشؤون الدولية في لندن ، وأفرع عدة في كندا وجنوب أفريقيا ونيوزيلندا وأستراليا والسويد وهولندا والهند واليابان . وباعتبار أن مجموعة روكيفيلر ومجموعة جي . بي . مورغان هما اللتان صاغتا التشريع الذي أوجد نظام الاحتياط الفيدرالي ، الذي يتحكم بالقطاع المالي والمصرفي في امريكا منذ

عام 1913 ، ويتحكم بالنظام المالي والعالمي حالياً في عصر العولمة . المثير هنا أن الذين تعاقبوا على رئاسة أقوى بنك مركزي في العالم ، وهو الاحتياط الفدرالي في مرحلة ما بعد الحرب مثل: وليام مكنزي مارتن William McChesney Martin ، آرثر بيرنز Arthur Burns ، جي . وليام ميللر G. William Miller ، بول فولكر Paul Volcker وآلان غرينسبان Alan Greenspan ، كانوا جميعاً ، وبلا استثناء قبل ذلك ، أعضاء في مجلس العلاقات الخارجية كما وأن معظمهم ينتمون الى ديانة واحدة .

كان مجلس العلاقات الخارجية، ولا يزال ، مجموعة خاصة من النخبة التي يتم اختيار أعضائها من قبل لجنة لاعتبارات رئيسية تتعلق بولاء الأعضاء للأجندة السرية العالمية للنخبة . ويتحكم أعضاء المجلس ، الذين لا يزيد عددهم اليوم عن ثلاثة آلاف شخصية سياسية واقتصادية وعلمية مشهورة ، بكل من الحكومة الأمريكية ، وبالأحزاب السياسية ، وبالبنوك والقطاع الصناعي الخاص . كما يتحكم المجلس بوسائل الاعلام الرئيسية من تلفزيون وإذاعة وصحافة . وقد أدرك المجلس ، ومنذ البداية، أهمية السيطرة على الإعلام ، فكان أن سارع مجلس الأمناء إلى تجنيد الصحفيين العاملين في الصحف الرئيسية بهدف التأثير على الرأي العام ، كما أن المجلس استقطب عضوية أصحاب محطات الإذاعة وشبكات التلفزيون . فهذه كبرى المحطات الإذاعية في أمريكا آر . سي . إيه RCA ، كانت جزءاً من امبراطورية روكيفيلر . وبعد الحرب كانت الثلاث شبكات التلفزيونية الرئيسية ، مملوكة لأعضاء في مجلس العلاقات الخارجية .

ومن بين الثلاثة آلاف عضو في المجلس ، هناك دائرة داخلية صغيرة من نخبة النخبة ، ممن أطلق عليهم المنسق السابق لاستخبارات سلاح الجو الكولونيل فليتشر براوتي Fletcher Prouty ، اسم "الفريق السري" . ويضم هذا الفريق مائة عضو منتخب، مهمتهم ممارسة الهيمنة على مراكز اتخاذ القرار في وزارة الخارجية ، والسي . آي . إيه ، ووزارة الدفاع ، والأف . بي . أي FBI ، ووزارة الخزانة وسائر الإدارات الرئيسية في حكومة الولايات المتحدة.

البدايات في باريس :

في مؤتمر السلام بباريس الذي عقد بعد الحرب العالمية الاولى كان المشاركون من الولايات المتحدة وبريطانيا يجتمعون على هامش المؤتمر لمناقشة العلاقات الدولية . واقترح بعض المشاركين أن يتم اجتماع لتوثيق التعاون بينهم فعدوا اجتماعاً في 30 مايو 1919 في فندق ماجستيك Majestic في العاصمة الفرنسية. قرر المجتمعون من الامريكان والانكليز تأسيس مؤسسة انغلو امريكية باسم (معهد العلاقات الدولية Institute Of International Affairs). لم يكن الامر صدفة كانت الفكرة في اساسها من المؤرخ البريطاني ليونيل كيرتس Lionel Curtis والذي عمل على اشهار " المائدة المستديرة" علناً سنة 1909 وعمل خلال التسع سنوات ما قبل اجتماع الماجستيك في تأسيس شبكة من التنظيمات، شبه السرية في البلاد التابعة للعرش البريطاني الناطقة بالانجليزية وكذلك في الولايات المتحدة . كان الهدف الاساس للمائدة المستديرة هو وحدة الانغلو سكسون والناطقين بالانجليزية بناء على مشروع سيسل رودس السري. وخلال الحرب العالمية الاولى كان فريق المائدة المستديرة ذو التأثير الاعظم في تحديد أهداف الحرب , وكان الكثير من أعضاء الوفد البريطاني في مؤتمر فرساي منهم. بالمقابل عين الرئيس الامريكي ولسن Wilson لجنة سميث لجنة (البحث Inquiry) وكانت قد شكلت بالتعاون مع مستشار ولسن الخاص ادوارد هاوس (House) وبرئاسته هيئة التخطيط لاهداف الحرب وكذلك وضع اساس التفاوض بعد انتهائها . والمهم الاشارة له هنا أن العديد من افراد هيئة الدراسة كانوا انفسهم من اعضاء المائدة المستديرة منهم جورج بيرر (Beer) والذي عمل مراسل المائدة المستديرة في الولايات المتحدة خلال الحرب ، وتوماس لامونت (Lamont) من بيت مورغان المالي. اجتمع بيرر Beer مع كيرتس Curtis البريطاني للتنسيق بينهما ثم دعوا الى انعقاد اجتماع فندق الماجستيك . وهناك تم تعيين لجنة من ستة اشخاص لتنفيذ مقترح معهد الشؤون الخارجية في كلا البلدين.

وفي 17 يونيو عقد اجتماع لابرار ماتم الاتفاق عليه بشكل رسمي وانتخب كيرتس و شبردسون Shepardson سكرتيرين للفرعين البريطاني والاميركي. وقام كيرتس بتأسيس الفرع البريطاني بسرعة وتم تسميته المعهد الملكي للعلاقات الدولية (Royal Institute of International Affairs) أو كما يعرف احياناً بشاتان هاوس (Chathan House).

ماذا عن الفرع الأمريكي

لم يتحرك الفريق الأمريكي بسرعة لتأسيس الفرع الأمريكي في معهد الشؤون الدولية ، حيث كان قد أسس في ربيع 1918 ملتقى باسم مجلس الشؤون الخارجية عمل بنشاط سنوات الحرب الأخيرة 1918، 1919 ، لذلك اقترح اعضاء مجلس العلاقات الخارجية أن يندمج مع المجلس الأمريكي المقترح في باريس وهكذا كان.

كان الرئيس الفخري للمجلس القائم منذ 1918 اليهو روت Elihu Root من كبار محامي شارع المال وول ستريت وشغل مناصب قيادية في الدولة منها كوزير للدفاع وكذلك وزير الخارجية . أما الرئيس فكان محامي آخر اسمه لندسى راسل Lindsay Russel و الذي عين رئيس اللجنة المالية .بالاضافة الى كونه رئيس مجلس ادارة بنك غرنتي تراست . كان أعضاء المجلس من كبار المصرفيين ، وأصحاب الصناعات الكبرى ومكاتب المحاماة والشركات المالية .

تم تأليف لجنة لتتولى تفاصيل الدمج بين المؤسستين القديمة والمقترحة وعُيِّن غاي وكرشام Gay Wickersham رئيساً للجنة وهو أيضاً محام في شارع المال وول ستريت، وشغل منصب النائب العام في عهد الرئيس تافت وتم إتمام عملية الاندماج في اغسطس 1921 وأخذ الاندماج اسم " مجلس العلاقات الخارجية" وتم تسمية مجلس الادارة وأصبح اليهو روت رئيساً فخرياً. وتكون المجلس من مصرفيين ومحامين وأكاديميين . وتم تعيين جون ديفيس Davis رئيساً . من الطريف أن نبين ان روت كان ينتمي الى الحزب الجمهوري بينما ينتمي ديفس الى الحزب الديمقراطي.

كما اسلفنا كان روت وزيراً للدفاع أثناء الحرب الأمريكية الإسبانية والتي احتلت اثناءها الولايات المتحدة المستعمرات الإسبانية بما فيها كوبا و الفلبين. كما عمل محامياً للعديد من البارونات اللصوص ومنهم كارنيغي. اما ديفس فقد كان عضواً في مجلس النواب ثم عينه الرئيس ولسن سفيراً للولايات المتحدة في بريطانيا . بعد الحرب رجع لممارسة المحاماة وأصبح المستشار الرئيسي لـ جي بي مورغان . كذلك كان من ضمن الادارة ادوين غي Edwin

Gay أول عميد لكلية الإدارة في جامعة هارفارد وعمل اثناء الحرب في التخطيط والاحصاء حيث كان تابعاً مباشرة للرئيس ولسن.

تأسيس مجلة المجلس

كان اول مشروع للمجلس هو انشاء مجلة ناطقة باسمه تم تسميتها (فورين آفيرز Foreign Affairs . كان غاي Gay هو من أخذ المبادرة فاقترح ان يكون زميله من جامعة هارفارد كوليدج A.Coolidge رئيساً للتحريير وان يساعده هاميلتون آرمسترونج Armstrong بالاضافة ليصبح مديراً تنفيذياً للمجلس . وطلب من كاس كانفيلد Canfield ، والذي اصبح لاحقاً رئيساً لمجلس ادارة دار هاربر أندرو Harper And Row للنشر، لتولي تدبير المال اللازم للمشروع . تبرع اعضاء مجلس الادارة بالنصف ، ثم عمم كتاب الى اغنى مئة شخص يطلب المساهمة، فتم جمع الخمسين بالمئة الاخرى خلال عشرة ايام ، وتم اصدار العدد الاول في سبتمبر سنة 1922 . وما لبثت أن أصبحت هذه المجلة هي الاكثر تأثيراً في مجال السياسة الخارجية يواظب على قراءتها أصحاب القرار في الدولة والشركات والاكاديميون .

جاء في العدد الاول للمجلة أن هدفها هو " توجيه الرأي العام الامريكي " . كان اعضاء المجلس في اغليبيتهم يعتقدون أن على الولايات المتحدة الاضطلاع بدور عالمي بارز ، وحتى وقت مبكر عندما شنت الولايات المتحدة سنة 1898 حربها الامبريالية الاولى على اسبانيا للاستيلاء على مستعمراتها - كتب غاي Gay في تلك السنة : " عندما كنت أفكر أننا سنكون ورثة الامبراطورية البريطانية أفكر ببساطة بأن ذلك هو الحق الطبيعي لنا ، وأن هذا هو أمر حتمي . " و اضاف " لكن لا داعي للاستعجال " (Heaton, 1952; 51) . اما عضو المجلس A.Coolidge والذي اصبح من الاعضاء البارزين في المجلس ، فقد اختتم خلاصة كتابه الصادر سنة 1908 بعنوان "الولايات المتحدة كقوة عالمية:" فقد اقتبس ما قاله الرئيس Roosevelt Theodore ثيودور روزفيلت في تلك الفترة: " ليس لنا شعب الولايات المتحدة خياراً في ان نلعب دوراً هاماً في العالم، فلقد قرر القدر ذلك نيابة عنا حسب تطورات الامور. ويتوجب علينا لعب ذلك الدور . كل ما نستطيع ان نقرره إذا كنا سنقوم بهذا الدور بشكل جيد أو بشكل رديء . لذلك يجب علينا أن ننقف الاغنياء الامريكيين وعامة الشعب لتقبل هذا الدور "

وهكذا وجد المجلس ان مهمته تثقيف الاغنياء والفقراء وكذلك الدولة لهذا الدور وقد قام المجلس بدوره بفاعلية كبيرة.

دور المجلس في فترة ما بين الحرب الاولى والثانية

من سنة 1921 وحتى سنة 1938 لم تمرّ سنة واحدة دون أن يشارك وزير الخارجية الاميركي في فعاليات المجلس . في بدايات المجلس في السنوات الاولى تم تشكيل مجموعات دراسة تجتمع شهرياً . كما بدأ المجلس باستحضار سياسيين اجانب وامريكان . وبعد أن اخذت مجلة المجلس موقعاً مميزاً بدأ المجلس بالاهتمام بالدراسات والابحاث خصوصاً بعد سنة 1927 . كان الهدف وما زال للدراسة والبحث هو تقديم تخطيط مسبق لحل المشاكل البعيدة المدى التي تواجه الحكام الامريكيين .

كانت هذه الدراسات في البداية نظرية تضع النتائج البحثية لصالح الشركات والمصالح المالية والمصرفية.

خلال عقدي العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين رغب الاكثرية من الامريكيين في العزلة السياسية والاقتصادية عن العالم . كان ذلك يتناقض مع اهداف المجلس الهادف إلى دور الولايات المتحدة لقيادة العالم سياسياً واقتصادياً . كانت مجلة المجلس وقادته عالمي التوجه . رئيس لجنة الابحاث عضو مجلس الادارة إشعيا بومان Isiah Boman حدد المصالح الاميركية بانها عالمية توازي عالمية المصالح البريطانية في فترة العشرينات والثلاثينات .

بومان كان أيضاً من الهيئة الاستشارية لمجلة المجلس طيلة الفترة بين 1921 - 1950 و كذلك عضواً في مجلس الادارة طيلة هذه السنين .

ليس من الصعب معرفة اسباب اهتمام المجلس بالهيمنة السياسية وهو قد انشئ اساساً استكمالاً لعولمة السياسة والاقتصاد حسب لجان رودس ومنها المائدة المستديرة والتي لعبت دوراً اساسياً في تشكيل فكرة المجلس ، ذلك بالإضافة الى كون اعضاء ادارة المجلس واعضائه الاخرين هم من رؤساء واصحاب البنوك والشركات الصناعية التي يهتمها دور امريكي في العالم الخارجي لتوسيع اعمالهم . وكما كتب بومان سنة 1928 فالولايات المتحدة

بحاجة الى المواد الخام الاجنبية والاستيراد والتصدير " لو أردنا تجنب
الازمات في صناعات دائمة التوسع."

عندما اصاب الولايات المتحدة الكساد الكبير بدءاً بنهاية 1929 و ما نتج من
مشاكل اقتصادية واجتماعية وسياسية واسعة قوّت رغبة العمال واصحاب
المصالح المحلية بالتخلص من المنافسة الاجنبية وزيادة الرسوم على
المستوردات الاجنبية . بل وقام الكونغرس بسن التشريع بذلك سنة 1930 .
وهنا نشأ التناقض بين من يريد امريكا المنعزلة بامكانياتها الكبيرة، واولئك
الذين يريدون تجارة حرة بلا قيود وهم طبقة اصحاب البنوك والصناعات
الكبرى.

هجوم المجلس لصالح العالمية

كتب ادوين غاي (Gay) مقالاً في مجلة (الشؤون الدولية) سنة 1932 يهاجم
فيه اتباع الانغزالية ويجادل باستحالتها . كتب: " يجب أن يأتي اليوم الذي
تجابه فيه الولايات المتحدة حقيقة كونها دولة عالمية وقوية وتقبل حقيقة
وضعها هذا. أما القول كما نسمع مراراً بأن سياسة الاكتفاء الذاتي ممكنة
كون الولايات المتحدة لا تصدر سوى عشر انتاجها فهو قول يناقض الواقع.

إن كل الاسعار في الولايات المتحدة مرتبطة بنظام الاسعار العالمي. وأي
خلل في مكان يتم تأثيره في كل مكان .يعترف العالم بمسؤوليات الولايات
المتحدة الدولية ، ويبين الكساد العالمي التشابك الاقتصادي بين الولايات
المتحدة والدول الاخرى"(Gay, 1932: 540) .

نوهنا سابقاً أن كاتب هذه المقال والعضو البارز في المجلس هو أيضاً من
اوائل اعضاء المائدة المستديرة في الولايات المتحدة و أول عميد لكلية الادارة
في جامعة هارفارد.

بعد الحملة الاعلامية كما اعلاه تمّ انشاء جماعة للمناقشة في الموضوع
خصوصاً للتأثير على ادارة الرئيس المنتخب لتوه فراكلين روزفيلت لينحاز

الى عولمة المجلس. كان نورمان ديفيس نائب رئيس المجلس بين الفترة 1933- 1936 ثم اصبح رئيساً للمجلس بين 1936-1944 كان مصرفياً في شارع المال وول ستريت لكنه كان صديقاً حميماً للرئيس روزفلت وكذلك لوزير الخارجية كورديل هل (Hull) . عقدت لجنة المناقشات لخاري الاكتفاء الذاتي والعزلة أو الانفتاح اجتماعين في نيويورك بتاريخ 2 ثم 24 اكتوبر 1933 برئاسة جون فوستر دالس (Dulles) والذي أصبح وزير خارجية في عهد الرئيس ايزنهاور- كان بين الحضور عدد من المسؤولين الحكوميين السابقين واللاحقين ومنهم هنري ستمسن (Stimson) وزير خارجية سابق، ميلز (Mills) وزير مالية سابق ، هنري والاس (Wallace) وزير الزراعة آنذاك، وهيربرت فيس (Feis) المستشار الاقتصادي لوزارة الخارجية .

وكعادة المجلس يمزج دوماً اعضاء من وول ستريت كان ادهم احد شركاء مورغان، وأكاديميين منهم عميد من جامعة هارفارد وعميد آخر من جامعة شيكاغو ، واقتصاديين من جامعة كولومبيا وممثل عن بنك شيس (Chase) واحد أشهر الصحفيين وولتر ليبمان واشعياه بومان رئيس لجنة الدراسات في المجلس. كانت نتيجة المداولات ان خيار الاكتفاء الذاتي هو اختيار لا يناسب الولايات المتحدة وإن خيار العالمية والانفتاح هو الخيار الاصوب . وتم ارسال هذه الخلاصة الى قادة الرأي والرسميين في الحكومة في واشنطن ، وتولى والتر ليبمان كتابة المقالات في هذا الاتجاه ابتداءً من يناير 1934 بينما نشرت مقالة شبردسون في ابريل 1934 . وهكذا بدأ الهجوم المعاكس ضد خيار الاكتفاء الذاتي . ولزيادة الضغط في اتجاه العالمية تم انشاء لجنة شبه رسمية باسم لجنة البحث (Commission Of Inquiry) والتي وافق على انشائها الرئيس روزفلت في نوفمبر 1933 أي شهر بعد لجنة المجلس وقبل أن تنتهي اعمالها.

كان 3 من الاعضاء السبعة للجنة من المجلس أحدهم احد مساعدي روكيفلر (بنوك ونفط) والآخر هو بومان والذي أصبح في اللجنتين . وكانت توصية اللجنة المقدمة الى الرئيس هي رفض خيار الاكتفاء الذاتي وعدم اتباعه ولو جزئياً . كما اوصت اللجنة بالانفتاح على التجارة الحرة. وهكذا تم انشاء بنك الاستيراد والتصدير Export- Import Bank وقانون اتفاقيات التجارة (Trade Agreement Act) بعد قبول توصيات المجلس ولجنة البحث كان ذلك سنة 1934.

في سنة 1937 وبعد 15 سنة من تأسيس المجلس قال الرئيس التنفيذي له في مذكرة الى مجلس الإدارة إنه حان الوقت للتحرك قدما لتوسيع اعمال المجلس حيث أن "المجلس يتكون من مجموعة رجال الاكثر كفاءة لاعطاء المشورة والمساعدة في دراسة الخيار الاكثر ملائمة في هذه الايام العصيبة"⁵. وحقاً هذا ما حصل . ففي اجتماعاته السريّة بين 1939-1952 خطط المجلس لنظام ما بعد الحرب العالمية الثانية بأدق تفاصيلها . ولما لهذه الاجتماعات السريّة والتوصيات من اهمية والتي ما لبثت أن أصبحت قرارات لايجاد نظام عالمي جديد سنخصص لها فصلاً كاملاً هو الفصل التالي.

بعد استكمال بنية المجلس: تعريف المصلحة الوطنية

كانت فترة العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين هي فترة تأسيس الاطر المختلفة الداخلية والاعلامية والتنظيمية . كانت فترة الثلاثينات هي فترة حشد الرأي العام الامريكي ضد العزلة والاكتفاء الذاتي بل الى الامبريالية والتوسع في محاولة واعية تماماً لوضع اسس امبراطورية عالمية تسيطر فيها الولايات المتحدة على العالم ومقدراته وهنا جاءت مرحلة التخطيط هذه للنظام العالمي الجديد وبداية سعي المجلس الى تحديد ما أصبح متعارفاً عليه باسم (المصلحة الوطنية) . من سيحدد تلك المصلحة؟! سيحددها طبعاً مجلس ادارته من اصحاب البنوك وبيوت الاستثمار في شارع المال وول ستريت و كذلك كبار الصناعيين وبيوتات المحاماة وبعض الاكاديميين؟ كان المجلس قد قرّر في دراساته انه للحفاظ على النموذج الاقتصادي الامريكي لا بدّ للولايات المتحدة عملياً من منطقة نفوذ عالمية أكبر بكثير من العالم الغربي فقط بل تضم اوراسيا ، و آسيا بما في ذلك اليابان والصين.

لذلك أصبح لزاماً انشاء نظام عالمي جديد يتسع لمتطلبات الولايات المتحدة ومصلحتها الوطنية كما عرفها المجلس.

أن كلمة (الوطنية) في مصطلح المصلحة الوطنية يعني أن مصالح جميع المجتمع هي متطابقة أو تكاد ، مع ان الامر ليس كذلك خصوصاً في مجتمع رأسمالي . فاهتمامات الطبقة العاملة والطبقة الرأسمالية مختلفتان في الداخل

⁵ (Memorandum, Mallory to Davis, March 1937, Papers, BOX10, MDLC)Davis

والخارج. فأكثر اهتمامات الطبقة العاملة هي في الداخل سواء من حيث إحداث التغيرات في إعادة توزيع الثروة ، أو من حيث ميل هذه الاهتمامات الى مجتمع أكثر عدلاً بين عوامل الانتاج من رأسمال وعماله وحقوق . اما الطبقة الرأسمالية فاهتمامها هو تثبيت الامر الواقع ما دام في صالحها. كما ان اهتماماتها خارجية بدرجة لا تقل إن لم تزد عن اهتماماتها الداخلية.

انطلق المجلس في تحديد المصلحة الوطنية من منطلق اقتصادي مركزاً على الحقائق الاساسية وتطورها على المنظور البعيد . وذلك يعني البدء بالهيكلية الاقتصادية الحالية ، ومتطلباتها المستقبلية والمناطق خارج الحدود في العالم اللازمة لسداد تلك الاحتياجات الاقتصادية والامريكية. وحيث أن المجلس وهؤلاء الذين في السلطة يسعون الى المحافظة على الانظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الراهنة ، فبذلك اصبحت المصلحة الوطنية ما هي الا مصلحة الطبقة العليا الرأسمالية في المجتمع الامريكي والتي تتواجد في قيادة المجلس والدولة والتي اوجد المجلس أساساً من أجل المحافظة على مصالح طبقته .

وهكذا وجد المجلس ضرورة إعادة تشكيل العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مما يتيح للولايات المتحدة تحقيق خططها من نظامها العالمي الجديد. ذلك يعني اجبار الدول التي ستعارض خطط الهيمنة الجديدة داخل مناطق نفوذها مما يعني بالضرورة دخول الولايات المتحدة في الحرب والتي سيكون مقاتليها من مجموع الشعب الاقل استفادة من النظام الذي يسعى المجلس وباروناته للحفاظ عليه لتوسيع مكاسبهم.

كتب جيمس بيرنهام⁶ james Burnham أحد اركان مكتب الخدمات الاستراتيجية OSS الذي سبق تأسيس وكالة المخابرات المركزية الامريكية الـCIA مذكرة موجهة الى الوفد الامريكي المتوجه الى اجتماع قادة الحلفاء الثلاثة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية (روزفيلت، تشرشل وستالين) والذي عقد في مالطا جاء فيها: "لا تستطيع الولايات المتحدة بالوصول الى ما تريد كمدير للسياسة العالمية بمجرد الاقتناع. يجب أن تكون القوة متوفرة سواء بطريقة غير مباشرة مثل فرض حظر اقتصادي مدمر أو بواسطة انفجارات القنابل".

⁶ JAMES BURNHAN , THE STRUGGLE FOR THE WORLD (NEW YORK, JOHN DAY & CO, 1947, P188

القسم الثاني

في خدمة تكتل الرأسمال العالمي :
امبراطورية أمريكية خلفاً للامبراطورية البريطانية

"ان مقولة : هذه حكومة الشعب ، ومن الشعب وللشعب ، لم تعد قائمة انها حكومة الشركات ، ومن الشركات وللشركات..".

U.S. President Rutherford B. Hays
الرئيس الاميركي روفرورد بي .هيز

الفصل الرابع

مجلس العلاقات الخارجية مؤسسات قوى الظل

الجزء الثاني

يرى المحلل السياسي البريطاني بيتر ج. تايلور Peter J. Taylor في كتابه المعنون "بريطانيا والحرب الباردة ... التحول السياسي عام 1945" بأن النظام السياسي ، الذي ساد العالم قبل الحرب الباردة، كان يحمل اسم النظام العالمي لخلافة البريطانيين . وقتها كانت لدى كل من ألمانيا النازية والولايات المتحدة أهداف متماثلة ، كما أن كلا البلدين كان يسعى لخلافة بريطانيا في السيطرة على العالم. "وطبقا لبيتر تايلور، فإن " بالإمكان تفسير الحربين العالميتين من منظور المنافسة على الإرث البريطاني بين ألمانيا والولايات المتحدة ".

الإمبراطورية الأمريكية ستكون ذنباً بثياب شاه

وهكذا انتهت الحرب العالمية الثانية باستبدال الامبراطورية البريطانية السياسية المهيمنة على العالم بإمبراطورية أميركية اقتصادية جديدة .

الواقع أن تخطيط النخبة السلطوية في الولايات المتحدة للمهيمنة الأمريكية القادمة ، سبق اندلاع الحرب العالمية الثانية بعامين ،

أي في عام 1939 وبأن دخول أميركا الحرب لم يكن وليد مصادفة أو قرار مفاجئ جاء كردة فعل لعمل عدواني ياباني أو ألماني ، كما جاء في الكتب التاريخية للدول المنتصرة ، بل إن اختيار مكان دخول الحرب العالمية الثانية وكيفيته في ديسمبر 1941 كان وليد حسابات قائمة على كيفية تحقيق الهيمنة الأميركية أو النظام العالمي الأميركي الجديد.

وعلى عكس الامبراطورية البريطانية التي سبقتها، فإن الإمبراطورية الأمريكية في الظاهر على الأقل ستكون ذنباً بثياب شاه ، فأمريكا ستتظاهر باعتبارها الحامية الوحيدة للديمقراطية والحرية ، وستبني بداية إمبراطورية اقتصادية جريئة على أفكار قائمة على "التجارة الحرة" و "ادعاءات الديمقراطية".

غير أن السياسات الأمريكية ، وبخاصة تلك المتعلقة بالممارسات العنصرية المحلية ، ستكون أبعد ما يكون عن الديمقراطية ، وستبقى سياساتها الاقتصادية قائمة على مبدأ بسيط هو "المصالح الاقتصادية القومية الأمريكية" ، ولإنجاح هذا المشروع الكبير، كانت الولايات المتحدة بحاجة إلى مصدر تهديد قوي في مرحلة ما بعد الحرب أي "عدو". وكما هو الحال مع أسامة بن لادن ومنظمة القاعدة بعد أكثر من نصف قرن لاحق ، فإن الولايات المتحدة كانت بحاجة إلى "تهديد الشيوعية الملحدة" والقوة العسكرية للاتحاد السوفيتي ، بهدف دفع العالم غير الشيوعي لاحتضان الهيمنة الأمريكية عن طيب خاطر . مثل هذه الخطة نجحت وبامتياز على مدار خمسين عاماً.

الدور الأمريكي كبديل للدور البريطاني

وجاءت وقائع الاجتماعات السرية ، التي عقدت بين وزارة الخارجية ومجلس العلاقات الخارجية بدءاً من 1939 ، لتكشف تفاصيل الدور الأمريكي كبديل للدور البريطاني ... وكذلك وقائع اجتماعات مجلس اللجنة الفرعية للجنة الاستشارية للسياسة الخارجية في مرحلة ما بعد الحرب ، لتضع المعايير المحتملة لسياسة الولايات المتحدة في المرحلة التالية ، والتي تنص على : " ... أن الإمبراطورية البريطانية ، كما عرفناها في الماضي ،

لن تعود للظهور أبداً ... وأن الولايات المتحدة ستحل محلها على الأرجح..."، وأن على الولايات المتحدة "أن تخرج بتصوير تجاه التسوية العالمية بعد هذه الحرب ، وبشكل يسمح لنا بفرض شروطنا التي تصل إلى الهيمنة الأمريكية " ، وعلى أنه " باستطاعة الأمريكيين استعادة حيويتهم من خلال منطق التوسع المفتوح لا من خلال شيء آخر". وفي عام 1942 كتب مدير لجنة الدراسات إشعيا باومان Isaiah Bowman يقول " إن مقياس انتصارنا هو نفسه مقياس هيمنتنا بعد النصر ... على الولايات المتحدة تأمين مناطق ذات أهمية استراتيجية كمطلب ضروري للسيطرة على العالم...".

مشروع دراسات الحرب والسلام

شكل مشروع دراسات الحرب والسلام، الذي أطلقه مجلس العلاقات الخارجية خلال سنوات إدارة روزفلت ، أي قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة ، الخطة الرئيسية للنظام العالمي الجديد في مرحلة ما بعد الحرب ، وهو نظام تصبح فيه الولايات المتحدة "القوة المهيمنة" ، وجاءت جماعات دراسات الحرب والسلام ، وبالتعاون مع الحكومة الأمريكية ، لتخرج بتصوير إمبريالي للمصالح القومية الأمريكية وأهداف الولايات المتحدة من الحرب . ومما نصت عليه هذه الدراسات، أن الإمبريالية الأمريكية ستحاول جاهدة تنظيم إمبراطورية عالمية وإدارتها ، وبأن النجاح الكامل لهذه المحاولة سيعمل على جعل الولايات المتحدة القوة الأولى في العالم ، وسيتيح لها الهيمنة على أجزاء شاسعة من العالم، خالفاً بذلك الإمبراطورية الأمريكية ... ومثل هذا التخطيط إنما يحدد بطبيعته "المصالح القومية" للولايات المتحدة ... كان الهدف من التخطيط لمرحلة ما بعد الحرب هو خلق نظام سياسي واقتصادي عالمي ستسيطر عليه الولايات المتحدة ويكون في خدمتها.

ويحدد إشعيا باومان وفرانكلين روزفلت أهداف السياسة الخارجية للولايات المتحدة على أنها : العمل على تحقيق الهيمنة السياسية على العالم في مواجهة المحاولات نفسها من ألمانيا النازية ، وعليه نجد أن أهداف الولايات المتحدة من الحرب هي ذاتها أهداف ألمانيا النازية منها ، بل إن باومان وبالتعاون مع هاملتن فينش أرمسترونج Hamilton Fish Armstrong، حصل على مقالة من

واضع السياسة الإمبريالية البريطانية، سير هالفورد ماككايندر Sir Halford Mackinder، حول الخطر من وجود اتحاد سوفياتي قوي. وقد نشرت هذه المقالة في مجلة الفورن آفيرز Foreign Affairs التي يصدرها مجلس العلاقات الخارجية تحت عنوان "العالم المستدير وكسب السلام".

وطبقاً لكاتب المقالة ، الإمبريالي البريطاني القديم مككايندر MacKinder، فإن تحول الإمبراطورية البريطانية إلى الاعتماد على الأمريكيين ، وسيادة الهيمنة الأمريكية على أوروبا ، تعني أن "بريطانيا ستتحول إلى حصن منيع من حصون المد الإمبراطوري الأمريكي ، لتصبح مثل مالطا ، ولكن على نطاق أعظم ، في حين أن فرنسا يمكن أن تخدم كرأس جسر يمكن الدفاع عنه".

وفي هذا الصدد ، جاءت مذكرة مجلس نيويورك للعلاقات الخارجية رقم E-B19 متضمنة فقرة حول أساسيات السياسة الخارجية للولايات المتحدة لمرحلة ما بعد الحرب ، وتلخص مكونات السياسة المطلوبة لتحقيق هيمنة عسكرية واقتصادية للولايات المتحدة كما تضمنت المذكرة عنصراً أساسياً آخر هو "تنسيق الولايات المتحدة وتعاونها مع الدول الأخرى لفرض قيود على ممارسة الدول الأخرى لسيادتها التي قد تشكل تهديداً للساحة العالمية ، التي تعتبرها الولايات المتحدة ضرورية لأمن أمريكا والنصف الغربي من العالم ورفاهيتهما".

وهناك أيضاً العديد من الوثائق التي أعدها مشروع دراسات الحرب والسلام في مجلس العلاقات الخارجية خلال الحرب العالمية الثانية ، والتي جاءت لتؤكد على " أن الإمبراطورية البريطانية ، كما عرفناها في الماضي ، لن تظهر ثانية أبداً ... وبأن الولايات المتحدة ستحل مكانها ". كما أكدت هذه الوثائق على ما ورد آنفاً بشأن الأهداف الفعلية من وراء دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية وخططها في مرحلة ما بعد الحرب . كما حددت أبعاد ما تعنيه من تعبير "المصالح القومية للولايات المتحدة ، والتي تتسع لتشمل مناطق في العالم تشكل ضرورة استراتيجية للهيمنة الأمريكية على العالم".

وفي أبريل 1944 صدر عن وزارة الخارجية مذكرة أوضحت الفلسفة الكامنة وراء التصور الغربي لـ " الوصول إلى المصادر " ، وتنص هذه

الفلسفة على "حق الشركات الأمريكية في الوصول إلى المصادر الطبيعية العالمية ، وهيمنة الولايات المتحدة على إنتاج النصف الغربي من العالم ، في الوقت الذي تحتفظ فيه الشركات الأمريكية بحق الانتشار في كل مكان " وبعبارة أخرى "الحفاظ على الوضع الحالي الذي يقوم على حماية الامتيازات القائمة للولايات المتحدة مع الإصرار على مبدأ الباب المفتوح الذي يمنح الشركات الأمريكية فرصاً متساوية في المناطق الجديدة".

غير أنه كان من الواضح أن الحديث الصريح عن هذه السياسات لن يجد استساعة من لدن الرأي العام العالمي . وعلى سبيل المثال فإن وثائق مجلس العلاقات الخارجية في منتصف عام 1941 جاءت لتؤكد على أن "صياغة بيان أهداف الحرب لأغراض الدعاية أمر يختلف إلى حد كبير عن صياغة بيان يحدد المصالح القومية الفعلية من الحرب " ، كما جاء في المذكرة القول " إن الحديث الصريح عن أهداف الحرب ، والتي يبدو انها تدور حول الإمبريالية الأنجلو - أمريكية لن يكون بمقدوره مخاطبة شعوب العالم الأخرى ... كما أن من شأن هذه الأهداف أن تعزز من وضع العناصر الأكثر رجعية في الولايات المتحدة والإمبراطورية البريطانية ، وعليه ، فلا بد من التأكيد على مصالح الشعوب الأخرى ، ليس في أوروبا فحسب ، ولكن في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وهذا من شأنه أن يترك أثراً دعائياً أفضل".

يذكر أن عدد الاجتماعات التي عقدتها جماعات دراسات الحرب والسلام وصل إلى 362 اجتماعاً وتم عقدها في مقر مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك . وقد اتسمت أعمال المجلس في زمن الحرب بسرية تامة ، وفي هذا الشأن كتب إشعيا باومان يقول " كان لا بد من إضفاء السرية التامة على عملنا ، لأن الخطة كانت ستؤول إلى الفشل لو تم الكشف بأن وزارة الخارجية كانت تستعين بمجموعة خارجية لرسم معالم السياسة الخارجية والخطط الأمريكية في مرحلة ما بعد الحرب".

يذكر هنا انه تم تمويل المشروع من قبل مؤسسة روكيفيلر. في عام 1945 تحقق هدف المجلس من إقامة الأمم المتحدة، عندما شارك أعضاء مجموعة دراسات الحرب والسلام ، وبنشاط ، في الإعداد وحضور مؤتمر سان

فرانسييسكو لإقامة الأمم المتحدة ، وقتها لم يُستشر الشعب الأمريكي فيما إذا كان يريد الانضمام إلى المنظمة الدولية من عدمه.

في اجتماع عقد بتاريخ 19 أكتوبر 1940 ، تحدث ليو بوسفولسكي Leo Posvolski ، كبير مخططي وزارة الخارجية في مرحلة ما بعد الحرب ، معرباً عن موافقته على الخطة الأولية للمجلس فيما يتعلق بالهيمنة الأمريكية على العالم . فقد كان يعتقد أن الولايات المتحدة لا يجب أن تكتفي بالنصف الغربي من العالم كمنطقة نفوذ. كان من رأي بوسفولسكي أن على الولايات المتحدة الذهاب إلى الحرب لكسب المزيد من المناطق لممارسة نفوذها السياسي والاقتصادي ، وهي النتيجة نفسها التي خرجت بها مجتمعات المجلس . كان الاقتصاد الأمريكي بحاجة إلى مناطق جديدة للاستمرار دون الحاجة للجوء إلى عمليات إعادة تصحيح رئيسية ، على حد ادعاء مخططي مجلس العلاقات الخارجية . مثل هذه المناطق أطلق عليها المنطقة العظمى ، وتشمل تلك الواقعة خارج التكتل الألماني، والتي أطلقت عليها الولايات المتحدة عام 1941 اسم "الاقتصاد العالمي".

من جانب آخر ، أظهرت الدراسات الصادرة عن المجموعة الاقتصادية والمالية مدى خطورة أوروبا الموحدة ، سواء تحت هيمنة النازية أو بدونها ، على الولايات المتحدة. وفي هذا أشار هملتون فيتش أرمسترونج Hamilton Fish Armstrong في منتصف يونيو 1941 ، إلى أن الولايات المتحدة لن تسمح لأوروبا الموحدة بتحقيق التطور ، لأنها ستصبح على قدر من القوة بحيث تشكل تهديداً جدياً للمنطقة العظمى الأمريكية . الواقع أن أوروبا الموحدة تتعارض بشكل أساسي مع النظام الاقتصادي الأمريكي.

كان من رأي مجموعة المجلس داخل وزارة الخارجية الأمريكية خلال سنوات الحرب ، بأن هناك حاجة ماسة لمنطقة عظمى أمريكية "خارج العالم الألماني" لتعمل كمنطقة نفوذ مريحة للاقتصاد الأمريكي، وبأن هذه المنطقة ستضم ، بشكلها النهائي ، النصف الغربي من الكرة الأرضية والمملكة المتحدة ، وبقايا الكومنولث البريطاني ، وجزر الانديز الهولندية والصين واليابان.

يلخص نعوم كوميسكي Noam Chomsky تصور منطقة النفوذ الأمريكية بالقول ، "ستضم المنطقة العظمى النصف الغربي من الكرة الأرضية وأوروبا الغربية

والشرق الأقصى ، والإمبراطورية البريطانية السابقة ، ومصادر الطاقة الهائلة في الشرق الأوسط (والتي كانت في طور النقل إلى الأيدي الأمريكية بعد أن قمنا بإبعاد منافسينا الفرنسيين والبريطانيين) ، وباقي العالم الثالث ، بل وحتى العالم ككل إذا سمحت الظروف " . كما ضم التصور الخاص بالمنطقة العظمى الصين أيضاً.

الواقع أن التصور الأمريكي لمنطقة النفوذ المطلوبة لا يتقيد بمنطقة سياسية طبيعية محددة. فقد رفضت الولايات المتحدة بعد الحرب ، وعن سابق قصد ، أكثر من سيناريو لعقيدة مونرو Monroe ، وبدلاً من ذلك ، يرى مخططو الإمبريالية الأمريكية بأنه لن يكون هناك حدود للتوسع الأمريكي ، مما يعني رفض فكرة المصالح القومية المتنافسة . هذا وترجح دراسات الحرب والسلام أن تكون سياسة التوسع الأمريكي ، القائمة على مبدأ استعمار الباب المفتوح ، قد بدأت لأول مرة في التسعينات من القرن التاسع عشر بالإقدام على ضم الفلبين.

هناك الكثير من المحللين ممن يعتقدون بأن عقيدة بوش الخاصة، "بالحرب الإجهاضية" ، والتي تسببت بصدمة كبيرة لمعظم دول العالم عندما أعلنها بوش لأول مرة في سبتمبر 2002، هذه العقيدة تعود في جذورها إلى الدراسة التي أعدها باومان وأرمسترونغ وآخرون لحساب مجلس العلاقات الخارجية في الأربعينات. في ذلك الوقت ، أعلن عضو آخر في هذه المجموعة هو نيكولاس سبايكمان Nicholas Spykman قائلاً " إن الهدف الأساسي لأمريكا في زمن الحرب والسلام يجب أن يكون الحيلولة دون توحيد مراكز القوة في العالم القديم ، في تحالف معاد لمصالحها القومية الخاصة"

بعد الحرب ، أدت السياسات الأمريكية إلى تشكيل حلف شمال الأطلسي، الذي يضم المنطقة العظمى الجديدة نفسها ، كما تصورها مخططو مجلس العلاقات الخارجية ومشروع دراسات الحرب والسلام، وبذلك جاء حلف الأطلسي مجسداً للمنطقة الأمريكية العظمى من حيث التصور والتنظيم.

جاءت السياسة الأمريكية تجاه أوروبا في مرحلة ما بعد الحرب قائمة على مبدأ التبعية الأوروبية للولايات المتحدة ، وشكل حلف شمال الأطلسي – الناتو – الركيزة الفعلية في الهيمنة الأمريكية في تلك المرحلة، حيث كانت الإدارة الفعلية لإدارة عملية انتشار القوة الأمريكية في أوروبا ، كما يقول

رونالد ستيل Ronald Steel في كتابه المعنون " اغواءات القوة العظمى " ، وفيه يؤكد ستيل على أن الهدف الرئيسي للمخططين الأمريكيين ، في مرحلة ما بعد الحرب ، تتمثل في منع أوروبا من أن تصبح منافساً اقتصادياً لبلادهم في المستقبل ، لأن المنافس الاقتصادي سرعان ما يتحول إلى منافس سياسي أيضاً .

وفي سبيل تحقيق النظام العالمي المطلوب في مرحلة ما بعد الحرب ، أو القرن الأمريكي كما أطلق عليه هنري لوس ، كان على واشنطن تعريف العالم بالقوة النووية المدمرة التي كانت مجهولة حتى ذلك الوقت . فكان اللجوء إلى السلاح النووي لتحقيق ما وصفته الولايات المتحدة بـ "العمل الإنساني" ، باعتبار أن قصف المدن اليابانية وقتل مئات الآلاف من المدنيين كان إجراءً ضرورياً لإنقاذ أرواح الجنود الأمريكيين ، في وقت كانت الحرب تضع فيه أوزارها .

الواقع أن ما فعلته الولايات المتحدة ، وكما سنوضح لاحقاً ، كان إرساء الأساس لعملية تقسيم عالم ما بعد الحرب بين الاتحاد السوفيتي وبقية العالم ، الذي سيتم وضعه تحت سيطرة القوة الأمريكية العظمى البازغة ، وهذا ما حصل إبان الحرب الباردة.

اليابان منطقتها الكبرى أيضاً!

حيث أن اليابان كانت فقيرة في المواد الخام هندسَ مخططوها لمنطقة لازمة ليتنفس عن طريقها اقتصادها . وكان المخططون اليابانيون قد وضعوا خطة ترى في بلدان جنوب شرق اسيا والصين تكاملاً مع اليابان اسموه (منطقة الازدهار المشترك لشرق اسيا الكبرى) Greater East Asia Co — Prosperity (Sphere). وبالطبع كان هذا المخطط الامبراطوري الياباني يتعارض مع المخطط الامبراطوري الامريكي ومنطقته الكبرى.

كانت بلدان جنوب شرق اسيا مستعمرات تابعه لبريطانيا وفرنسا وهولندا . في منتصف سنة 1941 كانت اثنتان من هؤلاء الثلاثة (فرنسا وهولندا) محتلتين من ألمانيا ، فوجدت اليابان ان الفرصة مواتية للتقدم جنوباً الى جنوب الهند الصينية كخطوة أولى للاستيلاء على منطقة جنوب شرق اسيا .

عندها قامت الولايات المتحدة بتجميد ارصدة اليابان في الولايات المتحدة وفرضت حظراً تجارياً كاملاً على اليابان بما في ذلك النفط . كانت خطة الحظر هذه موضوعة سلفاً من المجلس منذ يناير سنة 1941. كان اليابانيون أميل للمهادنة مع الولايات المتحدة بعد فرض الحظر الا أن الشروط الامريكية التعجيزية قد جعلت من ذلك أمراً مستحيلاً فكانت الحرب . كان من تلك الشروط التعجيزية أن تنسحب اليابان من الصين مع تسليمها كافة الامور الاقتصادية والسياسية والنقدية للصينيين، وانهاء الامتيازات الخاصة للشركات اليابانية في الصين والعمل مع الولايات المتحدة على انشاء برنامج تطوير اقتصادي في الصين تتشارك في مناقشته الولايات المتحدة كما اليابان. كان الخيار بالنسبة لليابان إما الاذعان و الاستسلام أو الحرب فكانت الحرب .

"قام وفد من كبار المسؤولين ومن بينهم ويليام كوهين William Cohen ، وزير الدفاع الاميركي في منتصف شهر كانون الثاني من عام 1998 ، بزيارة الى جاكرتا . وكانت الرسالة التي اوصلوها الى الرئيس الاندونيسي سوهارتو Suharto ، معززة بمكالمة هاتفية تخلو من اللياقة والكياسة ، كان مصدرها الرئيس كلينتون ، والذي قال : ان الاستقرار في اندونيسيا ، وهي الدولة التي يعيش على اراضيها 198 مليون نسمة له أولوية حاسمة بالنسبة للولايات المتحدة ، وان ذلك الاستقرار يعتمد على قبول سوهارتو شروط صندوق النقد الدولي وان يقبل الدواء المر الذي وصفه الصندوق للشعب الاندونيسي ، والاخذ به كأمر مسلم به كما لو كان قد جاء من السماء" .

مجلة نيوز ويك 98/2/2 - ص 38 NewsWeek

الفصل الخامس

مؤسسات قوى الظل التخطيط لأدوات تنفيذ النظام العالمي الجديد الجزء الثالث

صندوق النقد الدولي والبنك الدولي

أثناء تطوير مفهوم المنطقة الكبرى قبل دخول الولايات المتحدة الحرب جاء في إحدى قرارات المجلس P-B23 الصادرة في يوليو 1941 إلى الرئيس الأمريكي ووزير خارجيته أن فكرة المنطقة الكبرى ستكون بحاجة إلى مؤسسات اقتصادية ومالية دولية للمساعدة على تثبيت العملات وتحفيز الاستثمار في الأعمال الانشائية والبنية التحتية للدول النامية ومن أجل تثبيت نظام اقتصادي عالمي . وفي أكتوبر 1941 قدم وينفيلد Winfield مخططاً اسماء هيئة التنمية الدولية والهدف منه اقراض الدول الفقيرة لرفع مستواها لدرجة تستطيع أن تستورد البضائع الأمريكية ثم جاء بعده (ريفلر Riefler) وقدم اقتراحاً في 1/11/1941 لخلق ما أسماه مؤسسة تمويل إعادة الاعمار يتم تكوينها من حكومات متعددة لتقوم بالاقرض للدول لتنمية اقتصادها . وتقوم هذه المؤسسة بعرض سندات في السوق بكفالة الحكومات لتشجيع القطاع الخاص (اي البنوك/ وول ستريت) للاستثمار المضمون في الحكومات و خصوصاً في بلدان لن يقبل المستثمرون اقراضها بما

في ذلك من مخاطر ولو اردنا أن نضع ذلك بشكل أكثر وضوحاً تكون هذا المؤسسة تأمين مجاني لشارع المال ومستثمريه. وقد تم تقديم هذه المقترح في مذكرة للرئيس ووزير خارجيته في 1941/11/28 واوحت المذكرة بانشاء مجلس امريكي بريطاني مشترك على السياسات ويصدر الخطط من اجل " هيئة استثمار دولية التي ستحفز التجارة العالمية ونجاحها وذلك بالمساعدة على تقديم الاستثمار في مشاريع التنمية في كل ارجاء العالم.⁷"

وبينت المذكرة أن الكساد الكبير الاقتصادي له عواقب سياسية سيئه فهتلر جاء نتيجة الكساد الالمانى فلذلك لمصلحة كافة الدول المحافظة على اقتصاد ثابت على الدوام ما أمكن . وبعد أن بدأت لجنة الاقتصاد والمال الفرعية المنبثقة عن هيئة المشورة قدّمت رؤيتها تحديداً لكيفية توصيات المجلس الامريكي البريطاني المقترح . فقد رأى هانس وجاكوب فاينر Viner ان المطلوب هو مؤسستين مختلفتين لكل منها وظيفته الخاصة فقد جاء في المذكرة E-A 26 الصادرة في 1942/2/7 " ربما يكون من الحكمة انشاء مؤسستين ماليتين : احدهما لتنظيم وتثبيت الصرف والاخرى بنك استثمار ليعالج المعاملات قصيرة المدى لا علاقة لها بعمليات التثبيت."

كان مخططوا سياسة الولايات المتحدة السريون جميعاً متفقين أن دور الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية هو قيادة عالم واحد . لكن اعضاء مجلس العلاقات الخارجية كان هو الاكثر وضوحاً . كتب اشعيا بومان المسؤول عن لجنة المناطقية الى زميله آرسترونغ بعد اندلاع الحرب بأسبوع "أن على المجلس وكذلك الحكومة الامريكية أن يفكروا بادرارة العالم بطريقة مختلفة اما مقدار انتصارنا فسيكون بمقدار هيمنتنا ... وعلى الولايات المتحدة أن تتقبل المسؤولية عن العالم"

وهنا جاءت المذكرة E-B49 للرئيس ووزير خارجيته تتضمن فكرة انشاء مؤسسة لمراقبة النقد والتي تطورت لتصبح صندوق النقد الدولي وأخرى تطوير بنك دولي لتطوير الاستثمار وهنا جاءت بدايات البنك الدولي . أما ابو التفاصيل للمشروعين فهو هاري ديكتروايت White العضو المشارك في الدراسات من وزارة الخزانة / المالية فهو الذي قام بتفصيلات فنية للمشروعين تحت اسمها الحالي : صندوق النقد الدولي والبنك الدولي . قام وزير المالية بتقديم الخطة كاملة الى الرئيس روزفلت في منتصف مارس

⁷ Memorandum E- B44, November 28, 1941, CFR, War – Peace Studies, Baldwin, Yul)

1942 . عندها اجتمع وزيرا المالية والخارجية وتم انشاء لجنة من كافة الدوائر المختلفة بدأت أول اجتماعاتها في 25 ايار 1942 . قامت اللجنة بتكوين مجموعة من الخبراء تم تسميتهم "اللجنة الفنية الامريكية" كان مركزها وزارة الخزانة الامريكية . وبعد استكمال كافة بنود المؤسسات تم الدعوة لعقد مؤتمر في بريتون وودز بولاية نيوهامشير سنة 1944 وتم اشهار صندوق النقد الدولي والبنك الدولي . تم ترتيب التصويت بالموافقة أو عدمها بأغلبية الاصوات . وحيث ان الولايات المتحدة كانت المساهم الاكبر فكان قرارها دائماً هو المرجح أو المهيمن لاي اقتراح مشروع يقدم للمؤسسات .

يتضح هنا أن هاتين المؤسساتين هما من صنع الولايات المتحدة ولأجل خدمة الولايات المتحدة في هدفها لعولمة الاقتصاد العالمي تحت هيمنتها وبلا منازع . ولقد تم اقراض الدول النامية في كثير من الاحيان فوق طاقتها ، فأصبحت تحت احتلال اقتصادي لازمه احتلال للارادة السياسية والسيادية ، حيث تقوم هاتان المؤسساتان بفرض الشروط التي تتدخل في أمور سيادة الدولة تحت طائلة إما شروطنا وإلا... وهكذا تم خلق مصائد للديون بحيث اصبحت ميزانيات العديد من الدول النامية تخصص جزءاً هاماً منها لسداد فوائد الديون لا اصولها وهو اسلوب من الاستعمار الجديد الذي تم تصميمه بعناية ولكن بتعاون من طبقة (النخب) المحلية والتي تم ربط مصالحها بمصالح الولايات المتحدة.

منظمة التجارة الحرة

أرسل محمد علي جيوشه لقمع حركة الوهابيين في الجزيرة العربية ، كما أرسل جيوشه وأساطيله لمساعدة السلطان في إخماد الثورة اليونانية. أصاب الأوروبيون القلق من تنامي قوة محمد علي البرية والبحرية ، فقام أسطول من تحالف القوى الأوروبية بإغراق أسطول محمد علي في نفارينو Navarino في أكتوبر 24 سنة 1828 جنوب شواطئ اليونان.

بعد أن أثبت قدراته العسكرية شجعت بعض القوى الأوروبية محمد علي على احتلال عاصمة الخلافة العثمانية ، وبعد احتلال بلاد الشام بواسطة إبراهيم باشا، استمر نحو الآستانة حيث دحر الجيش العثماني ولم يوقفه سوى

القوى الأوروبية الأخرى التي أُنذرت والده بالتوقف والإ.... محمد علي الألباني الذي لم يتكلم العربية بطلاقة ، وابنه إبراهيم (بالتبني من زوجة يونانية) أراد إنشاء دولة تقوم على العروبة والقومية العربية ، وتتفصل عن الدولة الإسلامية العثمانية ، والتي كانت في حالة وهن وضعف بل "مشروع إمبراطورية جاهزة للسقوط" متى سمحت الجيوبوليتكا بين القوى الأوروبية لذلك . رأى الغرب أن أفضل طريقة للحدّ من قوة محمد علي هي تقنين مصادره المالية. فكما أُجبرت بريطانيا الدولة العثمانية على توقيع معاهدة التجارة الحرة بمعاهدة بالتا ليمان Balta Liman سنة 1836 بشروط حابت بريطانيا ، فلقد طلب من محمد علي أن يفعل الشيء نفسه . لكنه لم يستجب حيث أن مثل ذلك سيحرمه من عوائد الجمارك، كما سيعرض صناعته وزراعته إلى منافسة غير متكافئة مع أوروبا . عندها هاجمته بريطانيا بالتعاون مع العثمانيين في بلاد الشام وتم إخراجها منها بعد حكم دام عقداً من الزمن ، بعد أن قصفت البحرية البريطانية قوات محمد علي في بيروت في سبتمبر 1840 ، وفي عكا في أكتوبر ، وأخيراً رست قطع بحرية بريطانية في ميناء الاسكندرية وتم إجبار محمد علي على توقيع اتفاقية التجارة الحرة سنة 1841 . وبذلك أُجبر محمد علي على التخلي عن سائر سياساته الاقتصادية، وأن يخفض الضرائب والجمارك على المنتجات الأجنبية مما أدى إلى اندثار الصناعة المصرية التي بناها خلال عشرات السنين . وكذلك تم وضع حدود لأعداد وعُدّة جيشه. وكما كان متوقعاً ، فلقد انخفضت إيرادات الدولة بـ 80% بعد سنة من هذه الاتفاقية وبدأ الدين يتراكم على مصر، مما تسبب بانهايار عصبي لمحمد علي. وبقيت صحته تتدهور إلى أن تم عزله في يوليو سنة 1848، كما توفي ابنه إبراهيم في نوفمبر من السنة نفسها. وبقي الدين على مصر بازدياد بالرغم من وجود المستشارين الأجانب حتى وصل إلى مئة مليون جنيه سنة 1879 ، وهو ذات الأمر الذي أدى إلى احتلال مصر تحت دعوى إدارة الاقتصاد المصري لسداد ديونه ، الأمر الذي يقوم به هذه الأيام صندوق النقد الدولي ، فبعد إغراق البلدان بالديون ، يأتي صندوق النقد الدولي بشروطه Conditionalities وخبرائه ليضعوا الشروط وليقبعوا في دوائر الدولة لإدارة الاقتصاد والديون . وكما أن البنك الدولي يُشجع الدول النامية على بناء المشاريع من موانئ ومحطات كهرباء، ثم يأتي الوقت الذي تباع فيه هذه المنشآت نفسها بأبخس الأسعار لسداد الديون تحت برامج الخصخصة، كان الأمر نفسه يتم في السابق، فبعد أن استدانّت مصر الملايين لمشاريعها ومنها فتح قناة السويس ، اضطرت الحكومة المصرية أن تبيع أسهمها في القناة لقاء 4 ملايين جنيه فقط ، أي 4% من

حجم ديونها. استندانت الإمبراطورية البريطانية هذه الملايين الأربعة من عائلة المراهبين العالميين آل روتشايلد ، وكان المستدين رئيس الوزراء البريطاني دزرائيلي!.

فكرة انشاء الامم المتحدة

في عام 1943 ، خلال الحرب العالمية الثانية ، خرجت المجموعة السرية من أعضاء مجلس العلاقات الخارجية العاملين في وزارة الخارجية ومجموعة دراسات الحرب والسلام ، بفكرة إقامة الأمم المتحدة بعد انتهاء الحرب . كانت الفكرة من وراء تأسيس المنظمة الدولية إيجاد وكالة تكون فعلياً تحت السيطرة الأمريكية ، من خلال حق النقض في مجلس الأمن ، وصولاً إلى تحقيق الهيمنة الأمريكية على الدول الأضعف (من بين أهداف أخرى) ، وبدون الحاجة إلى الاحتلال الاستعماري المباشر ، الذي ميز الأسلوب البريطاني والفرنسي والهولندي وغيرها من الامبراطوريات . كانت النخبة الأمريكية الآخذة في الظهور أكثر ذكاءً في التعامل مع قضية الهيمنة.

كانت الخطة تقضي بأن تصبح الأمم المتحدة جزءاً من الامبراطورية الأمريكية بعد العام 1945 . ولضمان تحقيق هذا الهدف ، وهو السيطرة على أنشطة الأمم المتحدة قامت عائلة روكيفيلر بالتبرع بالأرض التي سببني عليها مقر المنظمة الدولية في الجزء الشرقي من منهاتن . كان الهدف أن يكون مبنى الأمم المتحدة مطلاً على تشيز مانهاتن بانك ومركز روكيفيلر ، أي في قلب القرن الأمريكي الجديد.

تجنب طرق الاستعمار التقليدية

في عالم مناهض للاستعمار قرر المجلس ان على الولايات المتحدة تجنب طرق الاستعمار التقليدية في تطبيقها لمفهوم المنطقة الكبرى وخلق تجارة حرة عالمية كانوا يسمونها آنذاك سياسة الباب المفتوح . لذلك اقترح بومان أن تتم السيطرة على بلدان المنطقة الكبرى بطرق تتجنب الغزو الامبريالي العلني .

وفي اجتماع في ايار 1942 صرح "أن على الولايات المتحدة ان تظهر القوة اللازمة لتأكيد الامن ولكن في الوقت ذاته ان تتجنب الطرق التقليدية للاستعمار." والسبيل الى ذلك أن يتم استعمال القوة بقرارات لها صفة الدولية وليس بصفة أمريكية مجردة . وأضاف " أن ذلك يتطلب إنشاء أمم متحدة" كما جاء في المذكرة T-A بتاريخ 1942/5/20 . اما عملية التخطيط لإنشاء الامم المتحدة فترجع الى اجتماع سرّي عقده وزير الخارجية في شهر يناير 1943 للجنة التوجيه السرية التي تتكون مما كان يسمى مجموعة الأجندة غير الرسمية Information Agenda Group والمكونة من وزير الخارجية بالإضافة الى ديفس، تايلور، بومان، باسفولسكي، ونائب وزير الخارجية ويلس Welles وجميع هؤلاء عدا وزير الخارجية وهم من أعضاء مجلس العلاقات الخارجية . كانت لجنة التوجيه هذه هي عملياً المشرفة على كل عمليات التخطيط لسياسة ما بعد الحرب . وباختصار فإن رجال لجنة التوجيه هذه او لجنة الاجندة غير الرسمية هم من صاغوا الشكل النهائي للامم المتحدة. وابتداء من فبراير 1943 صار اعضاء اللجنة يجتمعون دورياً مع الرئيس روزفلت والذي اسماهم "مستشاري لسياسات ما بعد الحرب."

وفي ديسمبر 1943 اجتمع اعضاء التوجيه الستة علماً بأن نائب وزارة الخارجية، الذي حضر الاجتماع كان بديل ويلس والذي خرج من وزارة الخارجية، علماً بأن نائب الوزير الجديد ادوارد (ستيتينوس Stettinius) كان أيضاً من اعضاء مجلس الشؤون الخارجية ، كما أنه ابن أحد شركاء بنك جي بي مورغان . تم الطلب لخمسة من العسكر بالإضافة الى آخرين لاجتماعات مجموعة الاجندة غير الرسمية خلال أشهر مارس، ابريل وايار 1944. وفي تموز 1944 كانت مسودة مشروع الامم المتحدة جاهزة . وبعد مراجعته من وزير الخارجية طلب من ثلاثة فقهاء قانونيين أن يدرسوا المسودة ليتبينوا أنها لا تتعارض مع الدستور الأمريكي. تم اختيار الثلاثة وكان اثنان منهم من أعضاء المجلس ووافق الثلاثة أن لا تعارض بين مسودة الامم المتحدة والدستور . وفي 15 يوليو 1944 بحث أعضاء لجنة التوجيه / لجنة الأجندة غير الرسمية مسودة الامم المتحدة مع الرئيس روزفلت والذي وافق على مشروع الامم المتحدة وقام على توه بتوجيه خطاب الى الامة متحدثاً عنه . وتمت الموافقة على بنود الامم المتحدة في سان فرانسيسكو سنة 1944 .

وبفضل وجود هيئات مثل الأمم المتحدة والمنظمات المالية والاقتصادية الجديدة التابعة لها ، مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وبعدها منظمة

الجات ، التي تسيطر على النظام التجاري الدولي ، تمكنت الولايات المتحدة من الخروج من الحرب العالمية الثانية وهي في قمة قوتها العسكرية والاقتصادية . فقد كانت تتحكم بالجزء الأعظم من النقد الذهبي العالمي ، وتسيطر على البحار السبعة، وعلى 40% من ثروة العالم وقدراته الصناعية، كما وخرجت من ويلات الحرب بدون خسائر تذكر .

توأمة أجهزة الاستخبارات

دمج اجهزة الاستخبارات بين الامبراطورية المنقرضة وتلك الصاعدة كان من ضرورات نقل اعباء الامبراطورية من المملكة المتحدة المنهكة إلى الولايات المتحدة ، الامبراطورية الواعدة الصاعدة لخدمة النظام المالي الرأسمالي الجديد. وحيث أن أصحاب النظام الرأسمالي الذين يتحكمون في النظامين الامبراطوريين القديم والجديد رأوا ضرورة نقل الخبرات الاستعمارية المتراكمة للامبراطورية البريطانية للولايات المتحدة لتقوم بدورها بكفاءة فقد تمت شراكة استخبارات الولايات المتحدة أثناء الحرب مع استخبارات المملكة المتحدة.

كانت البداية سنة 1941 باتفاقية الاطلسي (Atlantic Charter) للتعاون الامني والمخابراتي بين اجهزة الولايات المتحدة ونظيراتها البريطانية. تم تجديد تلك الاتفاقية السرية باتفاقية UKUSA والتي تم تفعيلها رسمياً وسرياً في 1946/3/5 ومن ثم تم ضم بلاد الكومونولث الثلاث كندا، استراليا ونيوزلنده الى الاتفاقية لتوحيد شبكة استخبارات هذه الدول الانغلو ساكسونية الناطقة بالانجليزية تحت قيادة الولايات المتحدة.

وقد تم وضع نظام مشاركة المعلومات المخابراتية. المسمى شبكة ستون غوست (STONEGHOST) والتي تحتفظ بأعلى قدر من السرية . وشكلت اتفاقية UKUSA الاسس التي بُنيت عليها ما تم تسميته بالعلاقة الخاصة بين بريطانيا والولايات المتحدة والتي كانت دول الكومنولث تسمى فيها (الطرف الثالث) . وتم بعد الحرب ضم المانيا والفلبين وبعض الدول الاسكندنافية إلى هذه الاتفاقية . كانت هذه الاتفاقية ذات طابع سرّي جداً بحيث ان رئيس وزراء إحدى الدول الاعضاء المشاركة بها أعلن سنة 1971 انه لم يكن يعلم بوجودها . أن وجودها لم يكن يعترف به حتى سنة 2005 . الا أن الغطاء قد

كشفت عنها سنة 2010 بعد 65 سنة من النكران . فهل تم استبدالها باتفاقية سرية اخرى ليتم الكشف عنها بعد 65 سنة أخرى؟ ومن الحري ذكره ان اسرائيل هي شريكة في هذه الشبكة .

لم تكن اجهزة الاستخبارات الامريكية عند اندلاع الحرب العالمية الاولى شيئاً مذكوراً وكان الرئيس ويلسون متوجساً من قبل تلك الاجهزة . لكن قناعاته قد غيرها مدير المخابرات البريطانية الموجود في واشنطن . ويقال أنه للمخابرات دور هام في ادخال الولايات المتحدة أتون الحرب إذ ادعت أنها قد فكت رموز برقيه مشفرة تم تسميتها (برقية زمرمان Zimmerman) تعرض المكسيك على دخول الحرب ضد الولايات المتحدة مقابل ارجاع تكساس الى المكسيك والتي كانت قد احتلتها الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر من المكسيك. وهكذا تم تنظيم أول وكالة استخبارية في الجيش الامريكي للإشارة في حزيران 1917 والتي تم نقلها الى وزارة الخارجية سنة 1919 وكان يطلق عليها اسم الغرفة السوداء .. الا إن الرئيس هوفر أمر بارجاع الغرفة الى الجيش مرة ثانية. وتم تقليص ميزانيات اجهزة الاستخبارات عموماً بعد الحرب العالمية الاولى . وفي سنة 1924 تم تعيين جي ادغار هوفر مديراً لمكتب التحقيقات والذي تم اعاده تسميته مكتب التحقيقات الفدرالي سنة 1935 والذي تم تحديد اعماله لاحقاً بالاستخبارات الداخلية.

تاريخ موجز عن تطور المخابرات المركزية الامريكية

قبل دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية أرسل الرئيس روزفيلت صديقه وليم دونوفان (Donovan) الى اوروبا لتقييم الاوضاع . وعند رجوعه أوصى بشدة انشاء جهاز استخبارات مدني ليكون مكملاً لجهاز الاستخبارات العسكري ، وهكذا عين الرئيس روزفيلت دونوفان بوظيفة " منسق المعلومات " ليقوم ببناء جهاز استخبارات مدني يكون مهمته " جمع وتحليل

كل المعلومات والبيانات التي يمكن ان تكون مهمة للامن الوطني . " قام دونوفان بالاستعانة بالخبرة البريطانية وانشاء جهاز استخباري . كما عين مجلس مراجعة لمراجعة التوصيات قبل تقديمها للرئيس . وما أن دخلت

الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية أصبح وجود وكالة استخبارية كفؤة وقادرة على المساهمة في المجهود الحربي أمراً ضرورياً . في حزيران 1942 أنشئ جهاز الاستخبارات الذي عرف باسم مكتب الخدمات الاستراتيجية (OSS) مكان مكتب " تنسيق المعلومات " وتم وضع OSS تحت امرة القيادة الموحدة لرؤساء الاركان والمنشأة حديثاً أيضاً . وبالإضافة الى تحليل المعلومات كان من مهام OSS الاعمال السرية ضد دول المحور في كل ارجاء العالم. كانت مشكلة الـ OSS عدم تقبل هيئة رؤساء الاركان لمهامها بسهولة وكذلك المنافسة من مكتب التحقيقات الفيدرالي الـ FBI ، ومع ان الـ OSS قد قام بعمليات أخذت شهرة محلية وذلك داخل اراضي العدو الا أن دونوفان لم يُكوّن جهازاً مدنياً يقدم معلوماته لرئيس الولايات المتحدة مباشرة . كما تم انشاء وكالة خدمة الجيش الاستخبارية (MIS) سنة 1942 مهمتها جمع المعلومات وزرع العملاء وفك الشيفرات والاستطلاع الفوتغرافي بالإضافة الى تحليل المعلومات . كما تم انشاء وحدات الجيش المضادة للتجسس سنة 1942 نطاق اعمالها بالداخل الأمريكي وخارجه . كان لهذه الفرق اهمية خاصة استطاعت فك رموز الشيفرة اليابانية وثمّ الالمانية مما ساعد كثيراً على حسم مجريات الحرب لصالح الولايات المتحدة وحلفائها .

في سنة 1945 قرر الرئيس الأمريكي حلّ جهاز OSS وتقسيم مهامه بين وزارة الحرب والخارجية ، حيث ضمت وزارة الخارجية مهام العمل الاستخباري والتحليل ، وضمته الى مكتب التحليلات ليُكوّن جهازها الاستخباري الخاص بها وهو جهاز IRIS ، أما قسم العمليات السرية في الـ OSS فتم ضمه الى وزارة الحرب ليُكوّن منه وحده الخدمات الاستراتيجية SSU. وفي الوقت الذي كان يتم فيه تفكيك OSS كانت دراسة بمبادرة من وزير البحرية فورستال (FORRESTAL) وبرئاسة رجل اعمال من القطاع الخاص فيردناند ايبرستادت Ferdinand Eberstadt تمّ نشرها، اقترحت انشاء مجلس أمن قومي NSC و وكالة استخبارات مركزية CIA بحيث تكون الاولى لتنسيق السياسات المتعلقة بالامن القومي لتقديمه للرئيس بينما تكون الثانية تحت رعاية الـ NSC لاعمال الاستخبارات المتعلقة بالامن القومي . ومع أن توصيات ايبرستادت كان لها تأثير واضح في صياغة قانون الامن القومي لسنة 1947 لكن التوصيات لم يؤخذ بها بداية . لكن الرئيس ترومان قرر ان يحسم موضوع انشاء وكالة استخبارات مدنية ام لا . ولأجل ذلك قرر الرئيس ترومان في 1946/1/22 انشاء مجموعة الاستخبارات المركزية (CIG) وعلى

رأسها مجلس الاستخبارات الاستشاري . وكانت CIG عبارة عن هيئة من موظفين مختارين من دوائر مختلفة لأعمال تنسيق المعلومات الاستخبارية.

في 1947/7/27 وقع الرئيس ترومان (تشريع الامن القومي لسنة 1947) وبه تم تسمية وظيفة وزير الدفاع وضم القوات البرية والبحرية والجوية تحت امرته كما نص التشريع على انشاء مجلس قيادة الاركان المشتركة ليقدم المشورة للرئيس ولوزير الدفاع ، وكذلك نص التشريع على انشاء وكالة الاستخبارات المركزية CIA ويرأسها رئيس الاستخبارات المركزية .

وحدد مهامها للاستخبارات خارج الولايات المتحدة . وما لبث أن استلم رئاسة CIA عضو مجلس العلاقات الخارجية آلن داليس Allen Dulles والذي طورها لتقوم بالمهام الملقاة على عاتقها من ارساء نظام هيمنة عالمي برئاسة الولايات المتحدة. وبدأت الوكالة بتنفيذ العديد من الاعمال السرية بما فيها انقلابات عسكرية كما في إيران وغواتيمالا وعمليات عسكرية كما في عملية كوريا وفيتنام .

في الفصل الرابع عشر نبين تفصيل قوة المخابرات الامريكية الستة عشر بما فيها وكالة المخابرات المركزية والتي يدعي تقرير للواشنطن بوست انها اصبحت سلطة رابعة خارجة عن سيطرة الادارات الامريكية.

القنبلة النووية (مشروع منهاتن)

كان المشروع الأمريكي السري الخاص بصنع القنبلة النووية ، يحمل اسم مشروع منهاتن ، ويترأسه الجنرال ليزلي غروفرز "Leslie R. Groves"، الذي استغل دوره كعسكري ليدير مشروعاً سرّياً لإنتاج سلاح مروع جديد للتأثير على السياسة الخارجية لبلاده . وعلى عكس نصائح العديد من مستشاري ترومان ، من أن العديد من الدول الأخرى ستعتمد، وفي القريب العاجل ، الى تطوير قنبلتها الخاصة ، أصر الجنرال غروفرز على أن باستطاعة الولايات المتحدة احتكار السلاح النووي لسنوات طويلة قادمة.

وفي تقريره المرفوع الى ترومان بهذا الشأن ، ادعى الجنرال غروفرز بأن بلدين فقط ، هما السويد وروسيا ، كانتا في وضع يسمح لهما بتحدي الولايات

المتحدة وبريطانيا اللتين تتحكمان بالمناطق التي تحتوي على 97% من خام اليورانيوم العالي الجودة اللازم لصنع القنابل النووية. كما ادعى غروفر بأن المصادر الروسية من المواد الخام اللازمة هذه هي أضعف بكثير من تلك الخاضعة للسيطرة الأمريكية . وحاول غروفر إقناع ترومان بأن أمام الروس عشرين سنة على الأقل لصنع قنبلة نووية واحدة.

ومن جانبه ، ابلغ ترومان الوزير ستيمسون بأنه يوافق الرأي على أن الأوراق الفعلية هي " في أيدي الأمريكيين " ، وبأنه يعتزم " استخدامها كأوراق أمريكية. " مثل هذا الاعتقاد بأن روسيا لن تكن قادرة على منافسة السلاح الأمريكي النووي المرعب الجديد لعدة عقود قادمة ، دفع ترومان الى اتخاذ قراره بقصف اليابان . كما أن الجنرال غروفر ، ومن موقعه العسكري كمسيطر على مشروع القنبلة النووية ، تعمد إخفاء التماس تقدم به سبعون عالما نووياً يعملون في المشروع الى الرئيس ترومان في أواخر يوليو 1945 بعدم إسقاط القنبلة النووية على اليابان ما لم " يتم الإعلان صراحة عن الشروط التي ستملى على اليابان وإعلان اليابان رفض الاستسلام ". لم يتم إعلام اليابان مسبقاً بامتلاك امريكا السلاح المرعب الجديد كما أن التماس العلماء لم يصل الى مكتب ترومان الا بعد أيام من وقوع القنبلة على رؤوس اليابانيين .

واشنطن تلقي القنبلة النووية

لم يكن بإمكان الولايات المتحدة إدارة النظام المالي والنقدي العالمي، كما نصت عليه اتفاقيات بريتون وودز ، دون دعم قوي من مصدر آخر ، وهنا برز دور الولايات المتحدة كقوة عسكرية عظمى لا تتنازع في العالم وهو دور حرصت الولايات المتحدة على توضيحه للجميع وبخاصة، للاتحاد السوفيتي وزعيمه ستالين Stalin ، عندما وقع الرئيس ترومان Truman أمراً بإسقاط القنبلة المروعة الجديدة على المدن اليابانية . لم يكن هناك من عمل عسكري قادر على إيصال الرسالة الجديدة الخاصة بالقوة الأمريكية أكثر من لجوء واشنطن الى استخدام القنابل النووية ، التي أسقطت فوق هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين .

أحدثت القنبلتان ، اللتان استطاعت الولايات المتحدة صنعهما مما كان يتوفر لديها من الوقود المخصص يو 235 وبلوتونيوم 239 ، دماراً لم تحدثه أي من القنابل التي عرفها تاريخ الحروب . فالقنبلة التي ألقيت فوق هيروشيما كانت أقوى بألفي مرة من القوة التفجيرية للقنبلة البريطانية المسماة : "اللطمة العظمى" ، والتي وصفت وقتها بأكبر قنبلة مستخدمة في التاريخ العسكري .

كما أن الأمريكيين تعمدوا تفجير القنبلة في الهواء على ارتفاع ألفي قدم لإعطاء العالم دليلاً مقنعاً على حجم القوة التدميرية للسلاح الجديد . ففي دائرة قطرها نصف كلم تبخرت الأشياء بفعل الحرارة التي وصلت إلى أكثر من مليون درجة . وفي غضون دقائق معدودة ، كان أكثر من 22 ألفاً من المدنيين من سكان ناغازاكي في عداد القتلى ، ليرتفع هذا الرقم إلى 39 ألف ضحية خلال أربعة أشهر ، بفعل الإشعاعات وتلوث الأجواء المحيطة بالمدينة المنكوبة ، وعندما أضيفت هيروشيما إلى قائمة الموتى ، وصل عدد ضحايا الفعلة الأمريكية إلى 139 ألفاً ، كلهم من المدنيين الأبرياء .

ومع ذلك ، يمكن القول بأن الرقم المذكور لم يعكس العدد الفعلي للضحايا، حيث تعمدت الحكومة الأمريكية إنكار الآثار القاتلة التي ترتبت على الإشعاعات الذرية ، الأمر الذي قدرته الأبحاث اليابانية الرسمية اللاحقة بعدد لا يحصى من اليابانيين ، الذين عانوا ولسنوات طويلة تالية من التشوهات الخلقية وسرطان الدم وأمراض الجلد وتساقط الشعر . وقد تعمدت سلطات الاحتلال الأمريكية إخفاء التقارير الخاصة بالآثار المدمرة اللاحقة على السكان .

وعلى الرغم من مرور حوالي سبعين عام على إلقاء القنبلة النووية فوق اليابان، إلا أن الجدل والتساؤلات والانتهاكات المتبادلة ما تزال تحيط بالخطوة الأمريكية تلك، فهذا الرئيس ترومان يدعي بأنه تصرف من منطلق إجبار اليابان على الاستسلام ، مما ينهي الحرب بسرعة ويحقن دماء المزيد من الجنود الأمريكيين، وهي حجة تفتقر للكثير من الإقناع في نظر المراقبين الدقيقين.

فعندما أمر ترومان بضرب اليابان بالسلاح النووي الجديد ، كانت المانيا قد استسلمت لقوات الحلفاء في مايو 1945 ، أي بعد شهر من وصول ترومان للبيت الأبيض . أما اليابان بدورها ، فقد أصبحت معزولة ومنهارة اقتصادياً

وبحكم المهزومة عسكريا . وطبقا للخبراء العسكريين، فقد كان يكفي فرض طوق بحري على اليابان من قبل سفن الحلفاء لإجبار الإمبراطور الياباني على الاستسلام ، بل وحتى القبول بالشروط القاسية التي ستعرضها واشنطن، دون الحاجة لايقاع المزيد من الضحايا.

وبدلاً من ذلك ، اختارت واشنطن إطلاق سلاحها النووي المرعب الجديد . وفي حين ان ترومان يصر على أنه تصرف بناء على نصيحة قادته العسكريين ، ومن أجل انقاذ ارواح " مئة ألف من أبنائنا الأمريكيين " ، فإن الحقيقة مخالفة تماما ، حيث كان إلقاء القنبلة النووية بمثابة رسالة واضحة للعالم ، ولروسيا بشكل خاص، من أن أمريكا تملك قوه رهيبه لا يمكن تصورها .

وزير الحرب الأمريكي هنري ستيمسون " Henry Stimson " يقول في مذكراته، معلّقاً على الأنباء الخاصة بنجاح تجربة السلاح النووي الجديد بأن القوة الاقتصادية الأمريكية الهائلة بعد الحرب وامتلاك القنبلة الجديدة ، سيكشف " ورقة حاسمة في أيدينا ، وسنكون مغفلين إذا لم نستخدمها " .

مرحلة المواجهة النووية من الحرب الباردة

كان غروفر ينظر الى احتكار بلاده السلاح النووي والميزة الاقتصادية التي تحظى بها الولايات المتحدة على أنهما مفاتيح السيطرة الأمريكية على العالم بعد 1945 . ولهذا دعا الجنرال غروفر صراحة لاستخدام القنبلة "كسلاح تفاوضي يقود إلى فتح العالم أمام الولايات المتحدة الأمريكية " . لم تحقق خطوة ترومان المرعبة تلك نتائجها الحقيقية المتوخاة وهي إرهاب موسكو ، حيث لم يظهر ستالين أي خوف أو ضعف أمام الرسالة الأمريكية المخيفة .

كان لدى ستالين شبكة قوية من الجواسيس داخل الإدارة الأمريكية وفي مواقع متنفذة ، ممن كانوا يطلعون موسكو على تطورات مشروع القنبلة الأمريكية أولاً بأول ، بل إن هؤلاء عملوا على تزويد الروس بنسخ من المخططات الأمريكية الخاصة بإنتاج السلاح النووي . ولهذا جاءت أول تجربة روسية ناجحة للقنبلة النووية عام 1949 بمثابة صدمة للولايات المتحدة، ولتضع العالم أمام مرحلة المواجهة النووية من الحرب الباردة.

"ليس هناك قواعد في مثل هذه اللعبة (الحرب الباردة) ... ، فان الاعراف والقواعد المقبولة للسلوك البشري حتى الان لا تنطبق على حالتنا هذه ... فإذا ما اريد للولايات المتحدة الصمود والبقاء ، فان من الضروري اعادة النظر في المفاهيم الاميركية القديمة نحو العدالة ... علينا ان نتعلم كيف ننظم الانقلابات ونخرب وندمر ونقضي على أعدائنا بوسائل أكثر ذكاء وتطوراً وفعالية من تلك التي يستعملون في مواجهتنا..."

الرئيس الاميركي الاسبق هيربرت هوفر Herbert Hoover
من تقرير سري تم تقديمه الى البيت الابيض عام 1954

انقلابات CIA موديل القرن الواحد والعشرين

كتب إيان ترينور Ian Traynor في صحيفة الغارديان اللندنية في 26
2004/11/:

" إن عملية هندسة الديمقراطية (الانقلابات) بواسطة صناديق الاقتراع
واثارة الاضطرابات الشعبية قد تطور بطريقة علمية بحيث أن الاساليب قد
نضجت الى درجة أصبح السيطرة على نتائجها ممكناً "

كان ربيع براغ "البروفا" لاسلوب الانقلابات هذه والذي تم تسمية انقلابات الـ
CIA باسماء الفصول أو أحد ألوان قوس قزح. كان هناك ثورة الارز اللبنانية
لاخراج سوريا من لبنان والتي اخذت اسمها من وكالة وزارة الخارجية،
الامريكية للشؤون العالمية بولا دوبرانسكي Paula Dobransky. وكان هناك
الثورة الوردية والبرتقالية وحتى البنفسجية اضافة الى الفوضى غير الخلاقه
التي اعطيت اسم الربيع العربي .

الفصل السادس

الحرب الباردة: الحرب العالمية الثالثة

خرجت الولايات المتحدة من رماد الحرب العالمية الثانية وحطامها كقوة عالمية لا ينافسها أحد ، في تطور اعتبره الكثيرون في العالم أمراً يبعث على الاطمئنان ، ولم لا ، فقد كان الانطباع السائد وقتها بأن أمريكا هي المدافعة عن الحرية والديمقراطية ، كما أن إعلان الاستقلال الأمريكي عام 1776 كان يتم تسويقه نموذجاً يحتذى للحكومة القائمة على حقوق الإنسان لا على الإرهاب والاستبداد . كانت أمريكا ، في نظر معظم الناس ، البلد الذي يستطيع فيه أي شخص المشاركة في " الحلم الأمريكي " .

غير أن حقيقة القوة الأمريكية عام 1945 كانت أبعد ما يكون عن صورة الحرية والديمقراطية ، الأمر الذي أكدته أكثر ما يكون حادثتان رئيسيتان ، هما المؤتمر الدولي في بریتون وودز Britton Woods بولاية نيوهامبشاير New Hampshire في يوليو 1944 ، وفي هيروشىما في 6 أغسطس 1945 . كان الدور الأمريكي في تشكيل ما وصفه البعض بـ "القرن الأمريكي" يستند ، وبصورة كبيرة ، إلى ما كان يقف خلف الحدثين المذكورين ، اللذين لم يفصل بينهما سوى عام واحد . كانت بریتون وودز بولاية هامبشاير المكان الذي استضاف المؤتمر الرئيسي للحلفاء ، الذي دعا إليه الرئيس روزفلت لرسم الخطوط الاقتصادية التي ستحكم الاقتصاد العالمي

في مرحلة ما بعد الحرب ، وهناك في بریتون وودز تمت صياغة الخطوط العريضة للنظام المالي الأمريكي ، وهناك عملت الولايات المتحدة، بصفتها الدولة الصناعية. الأقوى في العالم ، على إملاء شروطها بشأن صندوق النقد الدولي والبنك الدولي بعدها أضيفت الاتفاقية العامة حول التعرفة والتجارة الدولية "جات" ؛ لتكمل ما عرف لاحقاً باسم نظام بریتون وودز، التي قادها هاري ديكستر وايت Harry Dexter White لحساب وزارة الخزانة الأمريكية وبنوك نيويورك الرئيسية بقيادة مصرف فيرست ناشيونال سيتي بانك First National City Bank وتشيز ناشونال Chase National المقربين جداً من المصالح النفطية لعائلة روكيفيلر .

الحرب الباردة

في أبريل 1950 تلقى الرئيس ترومان وثيقة تحمل رقم NSC- 68 ومعنونة بـ " أهداف وبرامج الأمن القومي للولايات المتحدة " كانت الوثيقة التي دمغت بعبارة " سري للغاية " ، تحمل تفاصيل مشروع شن الحرب الباردة ، وتصف الاتحاد السوفيتي بأنه " إمبراطورية الشر " التي تستهدف القضاء على الحرية الأمريكية ، كما تحدثت الوثيقة عن مبررات انشاء وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية ومسوغاته ، وضرورة التحرك عالمياً من خلال ممارسات إرهابية وتخريبية ، باسم الدفاع عن الأمن القومي للولايات المتحدة في وجه الشيوعية .

بحلول عام 1950 ، وبداية رئاسة ايزنهاور Eisenhower ، كانت الحرب الباردة، وملف الناتو ودولة الأمن القومي ومسوغات الهيمنة الأمريكية على العالم قد أصبحت حقائق ثابتة ، لينطلق القرن الأمريكي في بداية مدوية .

قوى الظل تدير النظام العالمي الإمبراطوري الجديد

خرجت الولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية كزعيمة لما أطلق عليه عام 1945 اسم العالم الحر. وبحلول عام 1950 ، كانت النخبة المتنفذة في الولايات المتحدة قد عززت من سيطرتها على القرار الرسمي، من خلال تضخيم العدوان الشيوعي السوفيتي المحدث بالعالم، في حملة دعائية تعمدت تجاهل حقيقة أن الاتحاد السوفيتي خرج مدمراً من الحرب، التي فقد فيها أكثر

من 22 مليون سوفياتي حياتهم ، ودُمرت خلالها معظم الصناعات السوفيتية .
لم يكن ستالين في وضع يسمح له بشن حرب عالمية جديدة ضد الولايات المتحدة.

الواقع أن معظم الأمريكيين كانوا غائبين تماماً عن حقائق العالم . فخلال أشهر من إلحاق الهزيمة باليابان وألمانيا الهتلرية ، وبدلاً من مواجهة السلام والعودة للحياة الطبيعية ، وجد معظم الأمريكيين العاديين أنفسهم يعيشون مجدداً هاجس التهديد من قبل عدو جديد أكثر خطورة من سابقه، وبذلك تكون الحرب الباردة ، التي دامت حوالي عدة عقود ، قد بدأت بسبب الشيوعية أو هذا ما كان يبدو في الظاهر . والمتتبع للراسمالية الأمريكية منذ بداياتها ، يجد أنها تبحث عن عدو حقيقي أو وهمي لتقوم النخبة المتنفة بقيادة الجماهير المشغولة بلقمة عيشها إلى حروب تغذي صناعاتها العسكرية ، وتتيح الفرصة لأصحاب المال في الـوول ستريت بالإقراض . وما أن تم دحر الشيوعية ، حتى تمّ بحثٌ عن عدوٍّ جديد هو الإسلام في هذه الأيام .

مع حلول الخمسينات ، كانت الولايات المتحدة قد دخلت مرحلة اقتصاد الحرب التي ستطول ، وذلك باسم الدفاع عن الديمقراطية . مثل هذه الحجج الأخلاقية خدمت في الواقع الأهداف الأمريكية إلى حد كبير، حيث سمحت للولايات المتحدة ولرموز المال والصناعة ممن يهيمنون على السياسة الخارجية ، الأمريكية بتنفيذ سياسات غير مسبقة في التاريخ السياسي العالمي ، بل سياسات لم تكن لتخطر على بال النخب السياسية الحاكمة في العالم ، بما فيها الإمبراطورية البريطانية من قبل.

في عام 1955 ، أي بعد الحرب الكورية وانطلاق الحملة المكارثية ، ضد الشيوعية ، وتحول الأمريكيين إلى أناس مهووسين بمخاوف الحرب النووية خرج عالم نفساني ينتمي للنخبة السلطوية الأمريكية ، ليطلق تحليلات زعم فيها بأن كسب الرأي العام إلى جانبه يتطلب من القائد الأخذ بالاعتبار عدداً من العوامل النفسية المؤثرة في تشكيل المواقف مثل : حفظ الذات والطموح والكبرياء ، وحب العائلة والأطفال ، والشعور الوطني والمحاكاة والرغبة في القيادة ، والحفاظ على الثقة بالنفس ، كما يحتاج معظم الناس إلى الشعور بصحة ما يعتقدونه حيال أي شيء.

وقد أدركت النخبة السياسية الأمريكية بعد الحرب الدور الذي يمكن أن يلعبه علماء النفس في تسويق الأفكار المطلوبة في الأوساط العامة ، وتوجيههم لما فيه خدمة النخبة في المقام الأول ، فكان أن عمدت إلى تبني علماء النفس والتقنيات السيكلوجية لتشكيل أفكار الناس ومواقفهم والتلاعب بهم .

وبالنسبة للنخبة السياسية ، تُعد الديمقراطية مجرد كلمة مفيدة تخفي توجيه الأحداث والسيطرة عليها من قبل فئة سلطوية قليلة من رجال المال والصناعيين الذين يسيطرون على الصناعات العسكرية والنفطية. وفي قلب النخبة هذه التي احتكرت القرارات بعد الحرب ، كانت هناك بعض العائلات الثرية ، وكان على رأسها عائلة روكيفيلر.

ومن هذا المنطلق ، وافق الرئيس ترومان على تشكيل ما عرف بمجلس "الاستراتيجية النفسية" ، الذي أوكلت إليه مهمة تنسيق "العمليات النفسية" ، للحكومة . وطبقاً لقرار إنشاء المجلس ، فإن مهمته الرسمية كانت "تنسيق وتنفيذ ضمن إطار السياسات القومية المتعارف عليها، عمليات نفسية ، وتحقيق الأهداف النفسية القومية، ورسم السياسات والبرامج الخاصة بتنسيق وتقييم الجهود النفسية القومية" . مثل هذه العبارات في وصف مهمة مجلس الاستراتيجية النفسية ، تعطي فكرة عن الفرصة المتاحة للأجهزة السرية في السيطرة على توجيه الرأي العام الأمريكي منذ العام 1951.

كان غوردون غراي Gordon Gray أول من تولى رئاسة مجلس الاستراتيجية النفسية عام 1951 . واتخذ المجلس مقراً له في البداية ضمن مبنى الـ سي. أي. ايه. . وفي عام 1952 برز اسم هنري كيسنجر كمستشار شاب لرئيس المجلس ، والذي كان وقتها يعمل مستشاراً لعائلة روكيفيلر ، كما أن غراي وكيسنجر كانا عضوين في مجلس العلاقات الخارجية ، التي كانت إحدى منظمات النخبة في نيويورك.

مجلس تنسيق العمليات

إذا كان هناك من يجسد الطبيعة الحقيقية لسياسات الولايات المتحدة في مرحلة ما بعد الحرب الثانية، فهو جورج كينان George Kennan ، السفير الأمريكي السابق في موسكو ، ومهندس سياسة "الاحتواء" في سنوات

الحرب الباردة. فقد كان كينان يعبر بواقعية و ببرود عن الأهداف الحقيقية التي نادى بها النخبة الأمريكية بعد الحرب ، وهي : الهيمنة على العالم أو معظمه ، وبالقدر الذي كانت تسمح به ظروف عام 1948.

وهناك ليو دي ويلش Leo.D. Welch الذي أصبح رئيساً لمجلس شركة روكيفيلر ستاندارد للنפט لاحقاً ، والذي يُعد من مؤيدي أفكار كينان بشأن الهيمنة الأمريكية على العالم.

ففي عام 1946 طالب ويلش واشنطن بـ " الإعلان عن المتطلبات السياسية والعسكرية والإقليمية والاقتصادية للولايات المتحدة في مرحلة قيادتها المقبلة للعالم بعد غياب النازية ، بما في ذلك المملكة المتحدة نفسها، والنصف الغربي من العالم والشرق الأقصى". وبعبارة أخرى ، فإن ويلش طالب الولايات المتحدة بالسيطرة على كامل عالم ما بعد الحرب حتى قبل أن تسكت المدافع. ومضى ويلش قائلاً "باعتبارنا أكبر مصدر لرؤوس الأموال وأكبر مساهم في القطاع الصناعي العالمي ، يتوجب علينا الاضطلاع بالدور الأكبر في المسؤولية، باعتبارنا أكبر المساهمين في هذه المؤسسة التي تدعى العالم ... وهي مهمة لا تتعلق بفترة محددة بل التزام "أبدى".

كان مجلس تنسيق العمليات مسؤولاً عن التنسيق بين الإدارات الحكومية المختلفة، من وزارة الدفاع والخارجية ومجلس الأمن القومي وصولاً إلى السي. آي. ايه ، ومن خلال علاقاته بمجلس العلاقات الخارجية ووسائل الإعلام والأوساط الشعبية الأمريكية ، كان المجلس بمثابة ماكينة الحرب النفسية للنخبة الحاكمة ، والإدارة الجديدة التي تم تطويرها من واقع الأبحاث النفسية ووسائل التلاعب السيكولوجي التي ظهرت في الحرب العالمية الثانية. اعتمد مخططو الحملة النفسية للمجلس، في تسويق خططهم الخاصة بالهيمنة الأمريكية على العالم خلال الحرب الباردة ، على شحن الناس بشعارات مثل "الإيمان بالله وبالفرد وبالحرية والوطنية ، وبالعالم يسوده السلام".

حروب المخابرات المركزية الخفية

كانت هناك نخبة صغيرة تحركها دوافع الطمع وحب السلطة ، هي التي تتحكم بالبنوك الرئيسية والصناعات ووسائل الإعلام والقوة العسكرية للقوة الأعظم في العالم ، وهي الولايات المتحدة. كان هؤلاء على قناعة تامة بأن الحرب أكثر فائدة لهم ولأصدقائهم من السلام ، ولهذا السبب لجأوا إلى التلاعب النفسي والعمليات السرية ووسائل أخرى عدة ، للإبقاء على أجواء التوتر وتعزيز اقتصاد الصناعة العسكرية منذ أوائل الخمسينات. فطالما كان هناك تهديد جاد من قبل عدو أجنبي "الشيوعية السوفيتية" يمكن التلويح به وتذكير الناس به طوال الوقت، فإن معظم الأمريكيين الخائفين يصبحون في وضع الاستعداد للقبول بالتضحيات والحروب من أجل جعل العالم "أكثر أماناً للديمقراطية". استمرت النخبة الحاكمة في لعبتها النفسية هذه حتى انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1989 ، لتجد نفسها مجبرة على البحث عن "عدو" جديد.

تلك كانت بداية تلاعب السي. آي. ايه. بوسائل الإعلام الأمريكية. فقد تبين لاحقاً ، ومن خلال التحقيقات التي أجرتها لجان الكونغرس خلال السبعينات بأن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية كانت تسيطر على ما لا يقل عن 400 صحفي وإعلامي منتشرين في القطاعات الإعلامية الرئيسية ، وذلك من خلال مجلس العلاقات الخارجية الأقل شهرة من السي. آي. ايه ، وبالتالي الأبعد عن ملاحظة الأمريكي العادي. ومن الاسماء التي ترددت في تحقيقات الكونغرس حول تلاعب السي. آي. ايه. بالإعلام ، وليام بيلي William Paley الرئيس التنفيذي لشبكة السي. بي. اس CBS ، والمذكور عضو في مجلس العلاقات الخارجية . فقد اختار بيلي ، وخلال ترؤسه للشبكة التلفزيونية الرئيسية خلال الفترة 1954 – 1961 ، سيغ ماكلسون Sig Mickelson ، مدير الشبكة وزميله في مجلس العلاقات الخارجية ، ليكون المنسق الشخصي له مع السي. آي. ايه. قبل أن ينقل ماكلسون لإدارة محطة راديو أوروبا الحرة، وهو ذراع إعلامي آخر لوكالة الاستخبارات المركزية . كما اعترف ناشر جريدة النيويورك تايمز NewYork Times آرثر هايز سول بيرغر Arthur Hays Sulzberger، وهو بدوره عضو في مجلس العلاقات الخارجية ، بأنه سبق له العمل مع السي. آي. ايه. خلال الخمسينات ، حيث طلبت منه الوكالة وضع صحفيين من المتعاملين معها في مواقع رئيسية في الصحيفة. يذكر أن

سولزبيرغر كان صديقاً مقرباً من دالاس مدير السي. آي. ايه. وعضو مجلس العلاقات الخارجية أيضاً.

لم تكن المنظمة الخفية صاحبة الدور المركزي في توجيه الشارع الأمريكي ومن وراء ستار سوى مجلس العلاقات الخارجية . فقد عملت هذه المنظمة غير المعروفة بالنسبة لمعظم الأمريكيين العاديين ، على زرع كبار أعضائها في مواقع قيادية ، ليس في وزارتي الخارجية والدفاع فحسب ، بل في السي. آي. ايه. بعد الحرب. فمُنذ تولي آلان دالاس إدارة السي. آي. ايه. في عهد أيزنهاور ، والمواقع الرفيعة في وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية تدار من قبل أعضاء في منظمة مجلس العلاقات الخارجية ، التي تمثل النخبة المالية والسياسية والصناعية في الولايات المتحدة ، وتُعد صاحبة الكلمة الفصل في السياسة الخارجية الأمريكية.

جمال عبد الناصر و وكالة المخابرات المركزية

كان الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر ، الذي قاد الثورة المصرية، ذا نوايا طيبة ، وخبرة محدودة وشخصية جذابة قد اعتقد وهو ما زال في الثانية والثلاثين من عمره ، انه قد يخدم مصالح بلاده على نحو افضل عن طريق التعاون مع واشنطن .

وافترض ان الولايات المتحدة هي قوة غير استعمارية. وكان معنياً بالحصول على مساعدتها لدحر الجيش البريطاني من مصر. وقد بات معلوماً الآن ان الولايات المتحدة كانت على علم بالثورة المصرية قبل ان تولد، واعتقدت انها ستكون قوة ذات جدوى في صراع الولايات المتحدة ضد الشيوعية. وزعم مايلز كوبلاند Miles Copland في كتابه "لعبة الامم Game of Nations" ان رئيس العمليات في وكالة المخابرات المركزية CIA كيم روزفيلت Kim Roosevelt والذي اشرف على ادارة الانقلاب في ايران ضد محمد مصدق، كان يتمتع بعلاقات قوية مع رجالات الثورة في بداياتها. ويقال ان الصحفي محمد حسنين هيكل صديق عبد الناصر وكاتم اسراره قد لعب دوراً في تنسيق العلاقة بين عبد الناصر والامريكيين. ولم يدَّع احد حتى ألد اعداء عبد الناصر ابداً انه كان عميلاً لوكالة CIA ومع ان القلة قد تساءلت عن ماهية دور محمد حسنين هيكل وصلته مع المخابرات الامريكية الا ان الاكثرية اعتبره

عملا وطنيا لكسب تأييد الولايات المتحدة للقضايا المصرية. وعندما اكتسب عبد الناصر شيئاً من الخبرة والتمرس والدهاء السياسي، وطلب اليه بصورة محددة ان يشارك في التحالفات العسكرية الغربية فانه ابدى معارضته للسياسات الاميركية. ويسود اعتقاد على نطاق واسع في العالم العربي انه قد تمت الاطاحة بجمال عبد الناصر، بعد نزوجه السياسي، من خلال حرب الايام الستة عام 1967 ونتيجة تحالف بين اسرائيل والاستخبارات الاميركية. ان تواجد سفينة التجسس الاميركية ليبنرتي في مسرح المعركة ، والاجراءات العديدة التي جرت داخل مصر ، والاطراف المتحاربة الاخرى عشية بدء الاعمال العسكرية وخلال مجريات الحرب، كل ذلك دلائل تشير الى ان المخابرات اولاً وقوات اسرائيل الجوية ثانياً كانا العنصرين الرئيسيين في تحديد نتائج حرب الايام الستة.

العملية السرية لاقصاء مصدق

وكانت اول عملية سرية كبرى تنفذها وكالة المخابرات المركزية الاميركية تمت عام 1953 للاطاحة بحكومة ايران التي كان يتزعمها رئيس الوزراء محمد مصدق الذي كان هدفاً لهذه العملية السرية . وقد كان محمد مصدق يتمتع بشعبية واسعة كرئيس للوزراء ، ووصل الى منصبه هذا من خلال عملية برلمانية شرعية .

وقد عقد الاخوان دالاس ، ألين وجون فوستر The Dulles Brothers, Allen and John Foster العزم على ان يطيحاً بمصدق ، وكان ألين مديراً لوكالة CIA فيما كان شقيقه جون فوستر وزيراً للخارجية . وبعد الحصول على موافقة الرئيس الاميركي ايزنهاور Eisenhower آنئذ ، قاما بالعملية السرية لاقصاء مصدق واعادة تثبيت شاه ايران الذي كان قد فرّ من البلاد وكان متواجداً في روما عند وقوع العملية السرية . ومن سرداب في بناية تقع في وسط مدينة طهران كان عملاء الوكالة يديرون أول عملية كبيرة لهم ويوجهون مجرياتها. وقاموا برشوة رجال البوليس والجنود وعملوا على تنظيم جمهور غوغائي حاشد تم الدفع له نقداً من قبل الوكالة . وهكذا فقد عاد الشاه الى طهران .

ونتيجة لذلك فإن شركة النفط الايرانية التي كانت مملوكة بنسبة 100 % للبريطانيين ، والتي اشعل تأميمها فتيل الازمة في المقام الاول ، آلت

للشركات الامريكية ملكية نصفها بعد نجاح انقلاب CIA . وتم تعيين الدور لشاه ايران كشرطي الخليج وابتاع بأكثر ايراداته النفطية اسلحة اميركية ، حيث بلغ مجموع مشترياته خلال السنوات العشرين التالية ما يربو على 18 مليار دولار . وابتدعت وكالة المخابرات المركزية CIA دائرة السافاك SAVAK البوليس السري لشاه ايران الذي اذاق البلاد الذل والهوان وتعامل مع الشعب بأقصى درجات الوحشية والالانسانية على مدى خمسة وعشرين عاماً . وقال كينيت لوف Kennett Love الذي عمل سابقاً في صحيفة نيويورك تايمز "ان كل شخص تقريباً في ايران ، ومن كافة طبقات الشعب ، قد كان له أخ أو أم أو أخت أو ابن أو أب تلقى التعذيب الوحشي او سجن او جرد من املاكه بدون وجه حق ودون اجراءات سليمة . واعني بذلك انه قد تم ايجاد دكتاتورية قائمة على البطش والقرصنة تعمل باسمنا بعد ان قدّمنا لهم العون اللازم ، نعم لقد كانت السافاك من بنات افكار وكالة المخابرات المركزية ومدينة بوجودها لها" . ومع ذلك فقد ظن البعض أنّ عملية وكالة CIA عام 1953 كانت تمثل نجاحاً ، بينما يتساءل البعض ويمحص نتائج هذه العملية على المدى البعيد . ويعرب لوف عن اعتقاده أنّ حركة الامام الخميني Khomeini كانت نتيجة مباشرة لذلك التدخل وكذلك كانت ازمة الرهائن.

ويذهب البروفيسور فيرماج Firmage من جامعة يوتا University of Utah في اعتقاده الى القول بأن عملية المخابرات المركزية في ايران عام 1953 تمخضت عن خلق أمة تُكنّ قدراً هائلاً من العداء والكراهية للولايات المتحدة الى الحد الذي بات معه الايرانيون ينظرون اليها كشيطان .

الهدف التالي : غواتيمالا

وكان الهدف التالي لوكالة المخابرات المركزية هو غواتيمالا Guatemala اما السبب الحقيقي وراء قرار CIA بضرورة التخلص من رئيسها جاكوب أربينز Jacob Arbenz فكان الاصلاحات التي اقدم عليها الرئيس الغواتيمالي في مجال ملكية الاراضي ، والتي تضمنت اراضي مملوكة لشركة الفواكه المتحدة United Fruit Co. وكان أربينز الذي انتخب بالطرق الديمقراطية ، مأخوذاً

بالرئيس الاميركي روزفيلت Franklin Delano Roosevelt وبما وضعه من اصلاحات تحت اسم "البرنامج الجديد New Deal"، وقد اراد الرئيس الغواتيمالي ان يحذو حذو فرانكلين روزفيلت فيضع برنامجاً جديداً New Deal لبلاده ايضاً وان يفتح النظام الغواتيمالي لكافة الاطراف السياسية التي كان من بينها حزب شيوعي صغير . ولم يكن أي من الشيوعيين في ادارة الرئيس أربينز . وأراد ايضاً ان يجري اصلاحات في ادارة الاراضي حيث كانت فئة 3% من ملاك العقارات والاطيان يستحوذون على ما يزيد عن 70 % من مساحة الاراضي . واقدم على تأميم ملكيات الاراضي ، الامر الذي طال شركة الفواكه المتحدة وممتلكاتها من الاراضي ، الى جانب الاراضي المملوكة لعائلة أربينز نفسه ! وقد اتهمه الاخوان دالاس Dulles بأنه شيوعي، وعمل على ترويج هذا الزعم اصدقاء شركة الفواكه المتحدة في واشنطن . ولذلك وبمنتهى البساطة قرر دهاقنة وكالة المخابرات المركزية CIA ان زعيماً لدولة مستقلة يجب اقصاؤه وتنحيته .

في ذلك الوقت كان الكولونيل فيليب روتنجر Philip Roettinger المتقاعد من الخدمة البحرية الاميركية Marines قد انضم الى العمل في وكالة CIA وقال : "لقد افهموني ان من الاهمية بمكان بالنسبة لأمن الولايات المتحدة ان نحول دون وصول الاتحاد السوفييتي الى هذا النصف من الكرة الارضية . وبالطبع فقد تلقينا بقلق بالغ ان الحكومة التي قامت في غواتيمالا باتت شيوعية وان من الضروري اتخاذ اجراء ما في هذا الشأن ، وذلك على الرغم من انه لم توجد أية تلميحات او دلائل على أي وجود او تمثيل شيوعي في حكومة أربينز ، ولكنه سمح فقط وجود حزب شيوعي صغير للغاية . وكان ذلك بمثابة الموت المفاجئ له واعني انه لم تكن لديه أية فرص للفوز او النجاة ، جزاءً على ما اتخذه من اجراء ضد شركة الفواكه المتحدة التي تمتلكها الولايات المتحدة في اراضيه" .

وارسلت المخابرات المركزية مجموعة من المرتزقة من هندوراس الى غواتيمالا ولكنهم لم يستطيعوا ان ينجزوا المهمة المنوطة بهم فلم تأس CIA وارسلت طائرات تملكها وكالة الاستخبارات الامريكية CIA نفسها ويقودها طيارون اميريكيون وقصفت العاصمة الغواتيمالية . وقد فر أربينز من البلاد وحلت محله دمية اميركية – الكولونيل كارلوس كاستيلو Armas الذي كان ضابطاً في الجيش الغواتيمالي ، حيث اعاد الاراضي المؤممة لشركة الفواكه المتحدة ، ووضع غواتيمالا على المسار والخط اللذين

تريدهما الولايات المتحدة لها لتصبح "جمهورية موز" !! وقد تم كل ذلك تحت عنوان المحافظة على "المؤسسات الحرة والديمقراطية" في مواجهة التهديد الشيوعي غير الديمقراطي . وقد حكم العسكر الدكتاتوريون غواتيمالا بعدئذ لمدة ثلاثين سنة تالية. وقد زودت الولايات المتحدة هؤلاء الدكتاتوريين الطغاة من العسكر وباسم الديمقراطية طبعاً بترسانات من الاسلحة ، فيما عُدّب الشعب بشتى وسائل الاضطهاد والقهر ، وخصوصاً اذا ما حاول بث اية وجهات نظر سياسية مناوئة للعسكر . وكان المتمردون على هذا التعسف "يقتلون رمياً بالرصاص او طعناً بالسكاكين او يدفنون وهم احياء ويعلقون في اعواد المشايخ" حسب وصف مويرز Bill Moyers . اما تكريس حكم العسكر الذي اعقب عملية المخابرات المركزية CIA في غواتيمالا ، والتي سميت "العملية الناجحة" "Operation" Success فقد كان ثمنه ما يزيد عن مائة الف من ارواح ابناء غواتيمالا الابرياء

انقلاب على احمد سوكارنو في اندونيسيا

في اندونيسيا ، اعلن الرئيس احمد سوكارنو Sukarno عام 1957 أن "الديمقراطية الموجهة" "guided democracy" والتي تنبع من الثقافة الاندونيسية اكثر ملائمة للبلاد من الديمقراطية الليبرالية الغربية التي تستمد اصولها وجذورها من ثقافات مختلفة . وكان الروتين المتبع للحصول على اجماع في القرية حول امر ما يحتاج الى مناقشات ومناظرات طويلة . ورأى سوكارنو ان مثل ذلك الاجماع لابد من توسيعه ليكون مطبقاً في البلاد على مستوى قومي . ومن هذا المنطلق اقترح نظاماً حزبياً وطنياً يتشكل من أربعة احزاب ، كما اقترح تشكيل مجلس وطني يمثل الاحزاب السياسية والعمال والفلاحين والمفكرين ورجال الاعمال الوطنيين والمنظمات الدينية والقوات المسلحة والجمعيات النسائية ... الخ .

واصبح سوكارنو مقتنعاً بالعودة الى دستور ثورة عام 1945 وهو دستور يتبع النمط الرئاسي . وخلال العمل ضمن اطار الديمقراطية الموجهة اصدر سوكارنو تعليماته بحظر تصدي الجيش للاجتماعات التي يعقدها الشيوعيون وممارسة الارهاب والضغط على الصحف الشيوعية لافساح المجال للشيوعيين للتعبير عن انفسهم . وكان سوكارنو ايضاً قائداً لحركة الحياد الايجابي الى جانب جمال عبد الناصر، الزعيم المصري ، وجواهر لال

نهر، الزعيم الهندي. ولم تشعر الحكومة السرية للولايات المتحدة بالسعادة ازاء قادتها وبالاخص سوكارنو لانه منع اضطهاد الجيش الشيوعيين. وهكذا فقد أعدت وكالة المخابرات المركزية الاميركية CIA انقلاباً تولى قيادته الجنرال سوهارتو اعقبته مذابح في صفوف شيوعيين مزعومين في جاوا وبالي. وتقول بعض التقديرات انه تم القضاء على ما ينيف عن مليون شخص في هذه العملية. اما اقل التقديرات فتشير الى انه تم ذبح ما يزيد عن 500 ألف شخص، وهكذا فقد تربع سوهارتو -الجنرال العسكري- على عرش الحكم في اندونيسيا لمدة بلغت ثلاثين عاماً ونيفاً.

غزو كوبا في خليج الخنازير

يوم السابع عشر من ابريل نيسان عام 1961 بدأت عملية غزو لكوبا طال الاعداد لها - عندما حط منفيون كوبيون ، تلقوا تدريباتهم لدى وكالة المخابرات المركزية الاميركية ، في خليج الخنازير ، حيث اكتسبت مغامرتهم تلك اسمها من اسم الخليج المذكور . وقد ابحر هؤلاء الغزاة من قاعدة تابعة للوكالة في غواتيمالا متجهين الى كوبا مطمئنين الى وعد من الوكالة بتغطيتهم بقوات جوية . ولكن الرئيس الاميركي كينيدي Kennedy قد ألغى توفير الدعم الجوي عندما قام هؤلاء الغزاة بالاستسلام للقوات الكوبية .

ضمن اطار وكالة المخابرات المركزية فان قسم او دائرة المهمات التنفيذية تتحمل مسؤولية الانتقاص من سمعة الناس وتشويهها ، والتخلص من الزعماء والقادة وهذا يتضمن اعمال الاغتيالات والتصفيات الجسدية . "لقد كانت هناك على الاقل ثماني عمليات موثقة لمحاولة اغتيال كاسترو ، بينما يقول كاسترو ان عدد هذه المحاولات لاغتياله تزيد عن خمس وعشرين محاولة . وكان هناك محاولة لدس سم LSD في السيجار الذي يدخنه . ومن اجل مساعدتنا في التخلص من الزعيم الكوبي ، فقد توجهت حكومتنا السرية الى المافيا ، كما استخدمنا ذات مرة جهات نازية . ومن بين العصابات التي استعنا بها جون روزيلي John Roselli من لاس فيغاس ، وسان غيانكانا SanGiancana من شيكاغو ، ورئيس مافيا تامبا سانتو ترافيكانتي Santo Trafficante ."

الولايات المتحدة في فيتنام

وبدأ دور الولايات المتحدة في فيتنام في العام 1954 عندما اغتصب الفيتناميون استقلالهم من فرنسا . وكانت نظرية لعبة الدومينو domino التي وضعها ايزنهاور تقول انه اذا ما تمكنت قوات " هو تشي منه Ho Chi Minh " الشيوعية من السيطرة على كافة اراضي فيتنام ، فان كافة دول جنوب شرق آسيا ستتساقط كما حجارة الدومينو .

ولذلك فان نظام حكم يتربع عليه صنيعه اميركية هو Ngo Dint Diem "نغو دينت ديم" قد تم تكريسه . وبدأت عصابات من الكوماندوز Commandos تدرب في وكالة المخابرات المركزية بالقيام بأعمال تخريب انظمة النقل والمواصلات وتلويث الامدادات النفطية لفيتنام الشمالية . وقد ارسل كيندي مجموعة اسمها "القبعات الخضر Green Perets" الى فيتنام واتخذ قراراً بأن فيتنام هي المحك لكافة دول جنوب شرق آسيا لمواجهة واحتواء المد الشيوعي على الصعيد العالمي . وبحلول العام الذي اغتيل فيه كيندي، كان في فيتنام اكثر من 15000 خبير ومستشار اميركي يعملون تحت امرة CIA.

وعلى النحو الذي كانت الولايات المتحدة فيه محتاجة الى عملية بيرل هاربر Pearl Harbor لكي تتسلل داخله في الحرب العالمية الثانية ، فقد احتاجت الى خليج تونكين بحادثة ما لتحصل من الكونغرس على قرار يمكن استعماله كشيك على بياض لزيادة قواتها في فيتنام بدون حدود . ان عملية خليج تونكين لم تنجم من فراغ او بدون استفزاز ، فقد كانت المدمرة الاميركية في منطقة معارك حيث كان الفيتناميون الجنوبيون يشنون غارات سرية على اخوانهم الفيتناميين الشماليين . وحتى المدمرة الاميركية كانت تلقت انذارا من احتمال تعرضها للهجوم قبل ان يقع الهجوم عليها فعلاً . ثم تم ارسال المزيد من الجنود الاميركيين ليزج بهم في أتون الحرب ويزيد بذلك عدد الجنود الذين يلقون حتفهم من الاميركيين شأنهم شأن الضحايا الفيتناميين . وقد خاض غمار الحرب الفيتنامية اكثر من 2.5 مليون اميركي بين وقت وآخر.

وفقدت اميركا 58000 أميركي في فيتنام في حرب لم يعلنها الكونغرس ابداً مع ان الدستور الاميركي نص صراحة "على وجوب ان يكون لدى

الكونغرس سلطة اعلان الحرب" ، ولكن واقع الامر هو ان الحرب قد شنت من قبل الحكومة السرية وكانت هي التي تدير شؤونها وتقوم عليها . وهنا يظهر كيف وصف لنا "رالف ماك غي Ralph Mc Ghee" حقيقة مشاعره حيال مهمته التي اوفدته وكالة CIA للقيام بها في فيتنام الجنوبية والمتمثلة في انشاء البوليس السري في هذه الدولة شرق الاسيوية "لقد تسببت جهودتي في موت الكثيرين ، وبالنسبة لي فقد كانت تلك فترة اعتقد انني كنت فيها..... واعتبر نفسي مجنوناً . ولم استطع ان أوفق بين ما كنت عليه في الماضي وما صرت عليه بعد تلك الاحداث . لقد كان الامر شديد الألم على نفسي وأجد من الصعوبة ان اعبر عنه ، لانني اصبحت عدائياً غير اجتماعي، ولم اعد قادراً على التعامل مع أي شخص ، لقد كنت اخوض معركة داخلية . وفي كل ليلة كنت استلقي على فراشي وأمعن التفكير واقول لنفسي ان هذا لا يمكن أن يحدث ، ولا يمكن ان يكون حقيقياً ، ولماذا نقارف هذه الممارسات ، وماذا يمنعنا ان نتوقف عنها ؟ ولماذا لا نستطيع قبول الأمر ؟ كنت في صراع دائم لا يفارقتي ، يلزمني آناء الليل واطراف النهار ، هذا الاضطراب في داخلي لا اجد لي مناصاً منه ولا مخرجاً . وكان يصل بي الحال احياناً الى التفكير بأن ألقى نفسي من فندق الوكالة ، فندق ديوك ، لكي اتخلص من هذا الكابوس المرعب وانهي حياتي ، وقبل ذلك سأعلق راية اقول فيها "لتذهب وكالة المخابرات المركزية CIA الى الجحيم" أو "الوكالة تكذب" أو ما شابه ذلك لعل في موتي خدمة لبعض الاغراض مثل جعل الشعب الاميركي يعي حقيقة وكالة CIA وانها كانت دائماً تكذب عليهم ، وتضلّهم" .

كيسنجر : توسيع دائرة الحرب الفيتنامية

ان سلطة اعلان الحرب من قبل الكونغرس كانت في الحقيقة في قبضة "المجموعات غير المنتخبة" في الادارة الاميركية . فقد عقد هنري كيسنجر Henry Kissinger العزم بصورة "سرية" على توسيع دائرة الحرب الفيتنامية لتشمل دولاً مجاورة واقدم عن سبق اصرار على تضليل موظفي وكالة الامن القومي التابعين له والذين استقال كثيرون منهم فيما بعد نتيجة لذلك . كما اعطى عمداً معلومات مضللة لكل من وزيري الدفاع والخارجية الاميركيتين ازاء توسيع دائرة الحرب . وكانت كل من لاوس وكمبوديا ضحية لهذه القرارات .

جاء في تحقيق أجرته شبكة الانباء الكوابل CNN الاميركية اتهام للولايات المتحدة بأنها استعملت عام 1970 اسلحة كيمياوية (غاز الاعصاب) ضد الجنود الاميركيين الذي فروا من الجيش الاميركي وتوجهوا الى لاوس (مجلة تايم 1998/6/15 ص 37) وهذه هي نفس التهمة التي ألبستها اميركا للعراق لدى الامم المتحدة قائلة ان غاز الاعصاب قد استعمل ضد المتمردين الاكراد والخارجين عن سلطة الدولة . وفي وقت لاحق اعتذرت كل من CNN ومجلة تايم الاميركية وقالت انه على الرغم من استعمال الجيش الاميركي للغاز في لاوس الا انه لم يكن هناك دليل يمكن تقديمه على ان الغاز كان غاز الاعصاب ولم يكن غازاً مسيلاً للدموع !! وكذلك تحدى البنتاغون Pentagon أي شاهد عيان او مشارك في الحرب ان يثبت ان مهمة القوات الاميركية كانت تقتضي قتل الاميركيين الهاربين من الخدمة العسكرية، وانه لو حدث شيء من هذا القبيل فانه سيكون قد تم على هامش العمليات ولم تكن المهمة ذاتها تنص على ذلك . وباختصار ، فانه يمكن للمرء ان يفترض ان هذا التشديد على نفي هذه الممارسات لم يكن ليتم لولا ان عملية اخفاء الدليل قد تم تحقيقها بعناية .

وعندما استقال بعض من موظفي كيسنجر احتجاجاً على قراره توسيع الحرب في كمبوديا ، وجد الكثيرون من هؤلاء ان هواتفهم قد وضعت تحت المراقبة السرية للتأكد من انهم لن يبادروا بأية وسيلة من الوسائل الى فضح هذه الاعمال واطلاع الشعب عليها . وكان مورتون هالبرين Morton Halperin من الرجال ذوي الاهمية لسياسة كيسنجر في فيتنام وكمبوديا . وبعد ان استقال تعبيراً عن احتجاجه اكتشف ان هاتفه قد وضع تحت المراقبة والتجسس لمدة 21 شهراً . واوضح هالبرين أن استمرار خرق القوانين والاعتداء عليه في الدول الاجنبية سيجعل من خرق القوانين عادة طبيعية ولذلك فانه يجري خرق القوانين حتى في داخل الولايات المتحدة – أي ان القوانين تخترق وتمتهن في عقر دارها ويصبح خرق القوانين عادة سارية . ولكن لماذا تُضطرّ الادارة الاميركية والحكومة السرية الى الانكفاء لممارسة الكذب ؟

ان ذلك هو نتيجة وجود ثغرة متزايدة وفجوة آخذة في الاتساع بين "المفاهيم السائدة داخل الفرع التنفيذي للدولة حول ماهية التهديدات لأمننا القومي ، وبين المعتقدات في اوساط الكونغرس ولدى عامة الشعب حول التهديدات التي يواجهها أمننا القومي . وهذا يؤدي الى السرية وهكذا تصبح السرية

ممارسة تحت الارض وفي الخفاء ، وذلك عائد بالضبط الى عجز هؤلاء عن طرحها للمناقشة على الملأ خوفاً من رفضها ، ويضطرون فيما بعد الى الالتفاف على العملية الديمقراطية."

والتناقض الظاهري الواضح في هذا المضمار هو : ان العبارات النمقة التي ظل يتشدد بها ارباب الحرب الباردة هي "ان العالم الحر" كان يناضل من اجل الحرية والديمقراطية ، ولكن في حقيقة الامر كانت الحكومة السرية تحارب كليهما لا في البلاد الاجنبية فحسب ، بل داخل حدودها القومية .

المخابرات المركزية في التشيلي ولبنان

لقد جيء بفرديناند ماركوس Marcus الى السلطة في الفلبين عام 1972 بمساعدة المخابرات المركزية . اما الرئيس التشيلي سلفادور اليندي Salvador Allende الذي انتخب من خلال الممارسات الديمقراطية فقد اقصي من منصبه وتم اغتياله عام 1976 من خلال انقلاب عسكري خططت له ومولته وكالة المخابرات ذاتها . وكانت CIA تمد يد العون والمساعدة لكلا طرفي الحرب الاهلية اللبنانية التي اشتعلت اوزارها خلال السبعينات والثمانينات . ويعتبر التوازن الطائفي الديني بين المسلمين والمسيحيين من ثمار سلطات الانتداب الغربية التي يعود لها الفضل في اعادة تقسيم وترسيم الحدود لسوريا الكبرى التي كانت تشتمل على الدول المعروفة حالياً وهي سوريا ، لبنان ، اسرائيل ، فلسطين والاردن . وبدا ان هذا التوازن يمكن توجيهه والسيطرة عليه من بعد من خلال كبسة زر تتمثل في التناغم بين الطوائف حيناً من الزمن ، والتشاحن احياناً اخرى . وكان قادة الطوائف يوصفون بأنهم قادة ومشايخ الاقطاع ولكنهم يرتدون ملابس انيقة وحديثة من تصميم بيير كاردان Pierre Cardin . وعندما اضطر السكان الفلسطينيون القاطنون في الجزء الشمالي من فلسطين النجاة بأنفسهم من مسرح عمليات حرب عام 1947 توجه البعض منهم الى لبنان . وقد تزايد التواجد العسكري الفلسطيني المسلح زيادة حادة بعد عام 1970 . ولما كان معظمهم مسلمين ، فقد دخل في روع الكتائب المسيحية ان الفلسطينيين قد احدثوا تغييراً في توازن الطوائف . ويزعم بوب وودوارد (Bob Woodward) في كتابه (النقاب) ان بعض القادة على طرفي النزاع في لبنان اثناء الحرب اللبنانية الاهلية كانوا قد جندوا مع وكالة الاستخبارات المركزية منذ مطلع السبعينات.

وضمن نطاق ثقافة وتعاليم الحكومة السرية وأخلاقياتها ، فان فضيحة ووترغيت Watergate لم تكن امرا استثنائيا او خاصا باستثناء ان نيكسون Nixon قد وقع في المصيدة ، وكان يتعين ان يفعل ما أشار به هو على رؤساء اميركا المقبلين بقوله "اتلفوا الاشرطة" وكانت هناك احتمالية ان تكون ووترغيت اخرى في انتظار ريغن Reagen في فضيحة كونترا . وخلال عهد ريغن تم الاعتماد والمصادقة على اكثر من 50 عملية سرية .

نيكاراغوا ، غرينادا و بنما

وما زال بالامكان انعاش الذاكرة بما حصل في نيكاراغوا ، وقَسْ عليها ما شهدته غرينادا وكذلك بنما باستثناء ان الاخيرة ربما تكون معلماً رئيسياً طبعت اثاره وبصماته لتشكل بدء عهد النظام العالمي الجديد . ففي العشرين من كانون الاول عام 1989 اقدمت الولايات المتحدة ، بصورة مكشوفة وفي وضوح النهار هذه المرة ، ودون ان تتسلح بأية قرارات من الامم المتحدة ومن جانب واحد ، بغزو دولة اجنبية مستقلة وذات سيادة واعتقلت زعيم تلك الدولة وذهبت به الى الولايات المتحدة حيث اودعته احد سجون جنوب ميامي بولاية فلوريدا . وقد أُعْطِيَ مانويل نوربيغا Manuel Noriega "السجين رقم 41586" ، ولا نستغرب اذا علمنا ان حكومة الولايات المتحدة -التي تلتزم بالقوانين- كانت تدفع لنوربيغا 50 دولاراً شهرياً طبقاً "لاتفاقية جنيف" . ولم تكن جريمته الحقيقية معروفة حتى الآن على الرغم من ان اكثر من 12 تهمة قد سجلت ضده ، ولكن أيّاً منها لا تشتمل على السبب الحقيقي .

ولكن تهمته لا بد ان تكون اكبر من تهريب المخدرات ، حيث انه مارس هذه المهمة عندما كان عميلاً لوكالة المخابرات المركزية CIA وبالتنسيق معها وكانت اموال المخدرات يتم ارسالها الى ثوار الكونترا . وقد ادعى محامي نوربيغا ان موكله عمل لحساب وكالة CIA لمدة عشرين عاماً وانه قد تلقى ما يزيد عن 320.000 دولار من الوكالة عام 1976 لوحده .

اللاعبون الرئيسيون من مؤسسة الامن القومي

وما ان بدأ عَقْدُ التسعينات ، الذي اعلن فيه رسمياً عن وفاة الاتحاد السوفييتي السابق ، حتى اشتعلت اوزار حرب الخليج والتي سيتم تناولها بالشرح في فصل آخر . ولكن من المفيد ان ننوه هنا انه تم ارسال ما يزيد عن 500 ألف جندي الى منطقة حرب دون اعلان الحرب ذاتها . ولعلها لم تكن وليدة الصدفة ان يكون جميع اللاعبين الرئيسيين لحرب الخليج وبداية النظام العالمي الجديد ، من خريجي مؤسسة الامن القومي الاميركية حيث كان :

- الرئيس الامريكي جورج بوش الاب George Bush : مديراً سابقاً لوكالة الاستخبارات المركزية الاميركية
- كولين باول Collin Powell قائد القوات الاميركية :
- ديك تشني Dick Cheney وزير الدفاع : مديراً تنفيذياً سابقاً في البيت الابيض
- برينت سكوكروفت Brent Scowcroft مدير مجلس الامن القومي

ان المهمة الرئيسية التي تمّ تحديدها لمجتمع الاستخبارات بعد انهيار الاتحاد السوفييتي تتمثل في المساعدة على نشر مبادئ العولمة والاطاحة بمعارضيتها والتبشير بها وتعزيز مصالح الولايات المتحدة ومصالح أولئك الذين يسيطرون على مراكز قوى النفوذ للرأسمالية المعلوماتية العالمية . ويواصل اعضاء المجتمع الاستخباراتي دخولهم الى الحكومات وخروجهم منها حسب أجنداث مسبقة ليقوموا بتنفيذ وتطبيق جداول الاعمال المعدة لهم من قبل ارباب رؤوس الاموال المتعولمين الذين يملكون ناصية المال والنفوذ والاعلام.

قوى ظلّ أخرى مجموعة بيلدربيرغ واللجنة الثلاثية

في عام 1954 ، أدرك أعضاء مجلس العلاقات الخارجية وجود حاجة إلى منظمة أطلسية قادرة على تنفيذ ، والتحكم بالسياسات الأوروبية في مرحلة ما

بعد الحرب ، بعيداً عن السياسات العسكرية الموكلة لحلف شمال الأطلسي – الناتو . وعليه ، نظم المخططون الاستراتيجيون في المجلس ندوة في فندق بيلدربيرغ – هولندا شهدت سلسلة من المناقشات السياسية ، وقد مولت الاجتماع المذكور ، الذي انبثق عنه ما عرف "بمجموعة بيلدربيرغ " ، حيث تم تعيين الأمير الهولندي بيرنهاردت Bernhardt رئيساً. وكان المذكور قد خدم في الحرب كضابط في القوات الخاصة النازية ، وكان مقرباً من قائد تلك القوات. وبعد الحرب ، وجدت الولايات المتحدة في الأمير اللعوب – كما أطلقت عليه الصحافة – أداة ناجعة في إدارة شؤونها الأوروبية من خلال مجموعة بيلدربيرغ.

ومنذ ذلك الحين ، يعقد حوالي مائة من المسؤولين الحكوميين ومن القطاع الخاص في أمريكا الشمالية وأوروبا ، اجتماعاً سنوياً في مكان سري بعيداً عن أعين الصحافة ، حيث يناقشون مبادرات سياسية يتم الإعداد لها مسبقاً . وقد عرفت عملية الاجتماعات هذه لاحقاً باسم : مجموعة بيلدربيرغ ، نسبة للفندق الذي استضاف أول اجتماع من هذا النوع.

في مايو 1973 ، وكما أشرنا في فصل آخر ، وفي اجتماع سري عقدته مجموعة بيلدربيرغ في جزيرة خاصة تملكها عائلة وولنبيرغ Wallenberg السويدية اليهودية في سولتهوبادن Saltsjöbaden خارج ستوكهولم، تم التخطيط للعملية الاقتصادية المتمثلة في الصدمة النفطية، التي واجهها العالم نتيجة الارتفاع الهائل الذي طرأ على أسعار النفط ، وبنسبة 400% ، والذي تم التخطيط له قبل حرب رمضان 1973 بستة شهور. وقتها شارك كيسنجر في الاجتماع وهو على رأس مجلس الأمن القومي .

وبالطبع ، فقد ألقى العالم اللوم في هذا على الدول العربية المنتجة للنفط طبقاً للدعاية الأمريكية ، غير أن التخطيط لهذه العملية وتنفيذها حتى أدق تفاصيلها كان من عمل هنري كيسنجر وزملائه في مجموعة بيلدربيرغ ، ومن خلف هؤلاء جميعاً بالطبع مجلس العلاقات الخارجية.

كان ما تقره مجموعة بيلدربيرغ من قرارات في اجتماعاتها السرية يجد طريقه إلى التطبيق التام طوال سنوات الحرب الباردة ، ومن ذلك إدارة التحول السياسي الكبير الحاصل في أوروبا ، بما يخدم المصالح القومية الأمريكية التي تصب في النهاية في مصلحة سياسة مجلس العلاقات

الخارجية والنخبة المالية في الولايات المتحدة . في ذلك الوقت ، كانت غنائم امبراطورية الدولار هائلة ، بما يسمح بمنح أتباع الولايات المتحدة في مجموعة الدول السبع بعض الفتات .

ولنبيّن وزن الحضور السنوي لهذه المجموعة نذكر أدناه بعض أسماء المشاركين في اجتماع سنة 2012 ومنهم :

- أكرمان، جوزيف : رئيس مجلس ادارة بنك دويتشه
- آغيوس ماركوس : رئيس مجلس ادارة بنك باركليز
- ألكساندر ليث : قائد سلاح الحرب الالكترونية في NSA
- مارك كارني : رئيس بنك كندا المركزي
- توماس دونيلون : مستشار الامن القومي / البيت الابيض
- توماس إندرز : رئيس مجلس الادارة - شركة ايرباص
- دوغلاس فلينت : رئيس مجلس الادارة بنك HSBC
- رونالد غراهام : رئيس مجلس الادارة ، الواشنطن بوست
- إنك إزرا إليويكس : رئيس مجلس الادارة - ليموند
- باسكال لامي : المدير العام - منظمة التجارة الحرّة
- جون ميكيل ثويت : رئيس التحرير / مجلة الايكونومست
- ريتشارد بيرل : أحد كبار المحافظين الجدد الرئيس السابق لمجلس السياسات لوزارة الدفاع الامريكية.
- وولف جانغ ريتلسيه مستشار لميركل (وزميل دراسة للمؤلف في جامعة هارفارد)

لكل ممّا يثير الانتباه حضور بسمه قباني من المعارضة من السورية وكذلك رئيس جريدة (حرية) التركية ونائب رئيس الوزراء التركي / وزير الاقتصاد.

اللجنة الثلاثية (The Trilateral Commission)

كان 1973 عامًا حافلاً بالفعل. ففي يونيو من العام المذكور أعلن ديفيد روكيفيلر عن إنشاء اللجنة الثلاثية Trilateral Commission تضم ممثلين غير رسميين عن اليابان وأوروبا وأمريكا الشمالية (الولايات المتحدة وكندا)، أما

الهدف المعلن لهذه المجموعة الخاصة فهو تعزيز التعاون بين المناطق العالمية الثلاث، في مواجهة التغييرات الناجمة عن فرض النظام المالي الجديد في مرحلة ما بعد بريتون وودز، وتقاسم مسؤوليات القيادة في الساحة العالمية الأوسع. مثل هذه الأهداف لا تبدو مستهجنة في وقت كان العالم يعيش حالة من الحراك السياسي، غير أن مثل هذه الهيئة ستكون أداة مفيدة للتعامل مع الآثار التي سيتركها ارتفاع أسعار النفط على النظام التجاري والمالي العالمي. وهنا يمكن القول بأن أجندة اللجنة الثلاثية لم تكن لتختلف بشيء عن أجندة الولايات المتحدة ، وذلك إذا ما عرفنا بأن اللجنة قامت بمبادرة أميركية.

اشرف ديفيد روكيفيلر روكيفيلر شخصياً على إنشاء اللجنة الثلاثية - بما في ذلك تحمل نفقات تمويلها - واللجنة الثلاثية ترمز إلى مراكز القوى الثلاثة الرئيسية للولايات المتحدة عبر العالم ، وهي : أمريكا الشمالية ، وأوروبا الغربية ، بالإضافة إلى اليابان.

اختار روكيفيلر أحد أقرب المقربين إلى هنري كيسنجر لإدارة شؤون اللجنة، وهو زبيغنيو برزيزنسكي ، الذي كان وقتها على رأس معهد الدراسات الروسية في جامعة كولومبيا ، وهو بدوره معهد أسسته وتنفق عليه مؤسسة روكيفيلر . في ذلك الوقت ، وقعت أعين ديفيد روكيفيلر على جيمي كارتر ، الذي كان حاكماً مغموراً لولاية جورجيا ، ليكون أحد الأعضاء المؤسسين للجنة الثلاثية . وعندما أصبح رئيساً للولايات المتحدة في الفترة 1977 - 1980 ، كان من الطبيعي أن يمنح زملاءه الأعضاء في اللجنة ، وبخاصة برزيزنسكي وسايروس فانسCyrus Vance، مواقع رئيسية في الإدارة. يذكر أن فانس الذي خدم وزيراً للخارجية في عهد كارتر ، كان قد ترأس مؤسسة روكيفيلر ...

في الاجتماع السنوي للجنة الثلاثية عام 1975 ، عرض صامويل هنتنغتون ورقته المعنونة بـ "أزمة الديمقراطية". كان هنتنغتون وقتها واضحاً بدرجة فظة عندما قال "إن المبالغة في الديمقراطية يقابلها عجز في قدرة الحكومة على ممارسة سلطاتها ... وقدرة أقل على فرض التضحيات التي قد تكون ضرورية للتعامل مع السياسة الخارجية والدفاعية".

ووصف أحد المشاركين في اجتماع اللجنة المذكور ما حدث بالقول " في مايو 1975 ، عقد اجتماع لعدد من المدراء التنفيذيين لشركات متعددة الجنسيات ، وشخصيات سياسية مرموقة من الولايات المتحدة واليابان ، وعدد قليل من ممثلي النقابات التجارية ... لمناقشة موضوع الديمقراطية الفائضة عن الحاجة ". وضمت مجموعة النخبة المشاركة وزير الخارجية والدفاع الأمريكيين ، ونائب الرئيس ومستشاره لشؤون الأمن القومي ... وتحدث الجميع عن المشكلة المتعاطمة للتراجع الحاصل في شرعية ممارسات أساسية في الحكم مثل : السرية والخداع والانضباط والإكراه ، وطالب هؤلاء صراحة بالتخفيف من سلطة الديمقراطية في دول اللجنة الثلاثية وبخاصة الولايات المتحدة . وتحدث المجتمعون عن الحاجة لحجب المعلومات عند اللزوم، وإعادة توجيه التعليم العام بما يخدم التوجيهات الرسمية والأهداف "الاقتصادية والسياسية للحكومة ، وفي الوقت نفسه تقليص نفوذ النقابات والاتحادات العمالية على عملية اتخاذ القرار الرسمي .

كان تقرير صامويل هنتنغتون هذا بمثابة إيجاز للسياسات التي طبقتها حكومة مارغريت تاتشر Margaret Thatcher في بريطانيا ، والرئيس ريغان في الولايات المتحدة. فالاتحادات العمالية في البلدين كانت على درجة كبيرة من الإفلاس أو العجز ، وشهدت المستويات المعيشية تراجعاً مطرداً بسبب السياسات الحكومية . وفي حين حملت تلك السياسات اسم "مبادرة الأسواق الحرة" ، فإنها في الحقيقة لا تعدو أن تكون سرقة للرواتب التقاعدية ، والتأمين الصحي ، والأجور لمئات الملايين من المواطنين حول العالم ، من قبل النخبة الذين يتمحورون حول مجلس العلاقات الخارجية والمنظمات التابعة له.

الواقع أن العقود الثلاثة الماضية شهدت التطبيق ، وعلى أرض الواقع، للسياسات التي خرج بها اجتماع اللجنة الثلاثية عام 1975، وحتى 11 سبتمبر 2001 ، عندما قادت المخاوف من هجمات إرهابية جديدة ، الأمريكيين للقبول بسيطرة الدولة البوليسية كما لم تشهد بلادهم من قبل، وبإمكان من يعيد قراءة دراسة هنتنغتون المعنونة بـ "أزمة الديمقراطية"، التي عرضها في اجتماع اللجنة الثلاثية عام 1975 أن يلمس تطبيقاً فعلياً لطروحات الباحث خلال الفترة من 1975 – 2001 وعليه ، لم يكن وليد مصادفة أن يكون هنتنغتون هو مؤلف الكتاب المثير للجدل ، المعنون بـ "صراع الحضارات" ، الذي يرسم صورة تشاؤمية عن حروب متوقعة بين

المسيحية الغربية والعالم الإسلامي . وكان هنتنغتون قد تحدث عن نظريته هذه لأول مرة في مقالة نشرتها مجلة الفورين افيرز Foreign Affairs، التي يصدرها مجلس العلاقات الخارجية.

المنظمات الثلاث هذه – مجلس العلاقات الخارجية ومجموعة بيلدربرغ واللجنة الثلاثية – تشكل أذرع وأرجل ما يطلق عليه بعض المطلعين على بواطن الأمور في واشنطن اسم "الفريق السري" للنخبة السلطوية في الولايات المتحدة ، التي تعمل من خلاله على تنظيم الأمور في العالم بالصورة التي تخدم مصالحها . وخلف هذه الهيئات ، تكمن شبكة من "المحافل" الخاصة والجمعيات السرية ، التي تدير نشاط الملايين حول العالم لصالح أجندة سلطوية ، وهي ما يطلق عليها البعض اسم "الإدارة المتشابهة".

انقلابات "موديل" القرن الواحد والعشرين:

كتب إيان ترينور Ian Traynor في صحيفة الغارديان اللندنية في 26/11/2004:

" إن عملية هندسة الديمقراطية (الانقلابات) بواسطة صناديق الاقتراع واثارة الاضطرابات الشعبية قد تطور بطريقة علمية بحيث أن الاساليب قد نضجت الى درجة أصبح السيطرة على نتائجها ممكناً "

لم يأت ذلك صدفة وإنما نتيجة دراسات لعشرات السنين من مؤسسات امريكية متخصصة ومنها مؤسسة راند Rand ،وقد أصبحت هذه هي طريقة انقلابات القرن الواحد والعشرين . قام الاستراتيجيون العسكريون في مؤسسة راند بدراسة الحركات الشعبية الناجحة مثل ثورة الطلاب في فرنسا سنة 1968. وبالنتيجة نبين أن تتم مثل هذه الثورات الشعبية المسيطر عليها عن طريق ايجاد العديد من المنظمات المدنية التي تبدو مستقلة ولكنها في الواقع مسيرة من جهة مركزية واحدة. وهذه المنظمات يتم الادعاء بكونها منظمات غير حكومية ومنها منظمة (العمل الوطني من أجل الديمقراطية National Endowment For Democracy) واثنان من المنظمات الفرعية المنبثقة عنها وهي المعهد الوطني الجمهوري والذي ينتمي للحزب الجمهوري الامريكي . وكذلك المعهد الوطني الديمقراطي التابع للحزب الديمقراطي الامريكي . في حين تتدعي هذه المنظمات بأنها منظمات غير حكومية (NGO) الا انها في حقيقتها غير ذلك فهي تمول من الكونغرس الامريكي ومن ميزانية وزارة

الخارجية الامريكية . بواسطة هذا الاسلوب تم الانقلاب على دول الاتحاد السوفيتي السابقة بثورات ألوان قوس قزح.

كان ربيع براغ "البروفا" لاسلوب الانقلابات هذه والذي تم تسمية انقلابات ال CIA باسماء الفصول أو أحد ألوان قوس قزح . كان هناك ثورة الارز اللبنانية لاجراج سوريا من لبنان والتي اخذت اسمها من وكالة وزارة الخارجية، الامريكية للشؤون العالمية بولا دوبرانسكي Paula Dobransky في مؤتمر صحفي وكذلك الثورة الامريكية الصنع في جورجيا باسم الثورة الوردية Rose Revolution أو اختها الثورة البرتقالية والتي أطلقت على انقلاب اوكرانيا ، بل حتى ان جورج دبليو بوش اطلق على احتلاله للعراق سنة 2003 بالثورة البنفسجية . ولا تنسى الفوضى غير الخلاقة التي هدفت الى ارجاع سوريا ومصر وليبيا الى القرون الوسطى والتي تم تسميتها ابتداءً من واشنطن بالربيع العربي.

"كان مجموع الديون طويلة الأجل على الدول النامية عام 1970 حوالي 62 مليار دولار. وزادت سبع مرّات فوصلت إلى 480 مليار دولار سنة 1980 ثم زادت 32 مرّة لتصبح 2000 مليار دولار سنة 1996 ... ولأنّ الدول قد اصبحت تنوء من ثقل ديونها ، فلقد مكن ذلك البنك الدولي ، صندوق النقد الدولي ، منظمة التجارة العالمية. من إجبار تلك الدول على إعادة تشكيل اقتصادها وقبول الشروط التي تتوافق مع مصالح أصحاب المال العالمي وأصبح الاقتصاد العالمي موجهاً لعملية تحصيل الديون... لما ينتج عن ذلك من زيادة في البطالة ، وتباطئ في النشاط الاقتصادي "

من كتاب " عولمة الفقر "
البروفيسور ميشيل شوسودوفسكي
Michel Chossudovsky
أستاذ الاقتصاد – جامعة أوتاوا بكندا

تدّعي النظرية الرأسمالية أن أسواق المال تتأقلم أوتوماتيكياً بشكل جيد . فهي تدّعي أن الكميات الهائلة من الاموال التي ذهبت الى البلدان المنتجة للنفط تم تحويلها الى اقتصادات دول العالم الثالث، وهذه العملية تمّ تسميتها إعادة تدوير البترودولارات . ولكن اكثر تلك البترودولارات لم تذهب الى الدول الفقيرة المستوردة للنفط ، ولكنها ذهبت الى خزائن الولايات المتحدة عبر اتفاقيات سرّية بين دول النفط الكبرى والولايات المتحدة لتشتري تلك الدول سرّاً سندات الخزانة الامريكية بهذه الترتيبات قامت دول أوبك بشراء الديون الامريكية والتي بدون هذا الدعم لم تكن الولايات المتحدة تستطيع الاستمرار في سياسة المديونية العامة الكبيرة ، وكذلك لا يستطيع مواطنيها الاستمرار بالعيش على الديون من اجل المحافظة على انماطهم الاستهلاكية".

اليد الخفية للهيمنة الامريكية (The Hidden Hand of American Hegemony)
ديفيد ي سبيرو، دار جامعة كورنل للنشر

القسم الثالث

البتروول العربى فى النظام العالمى الجديد

الفصل السابع

مصائد الديون أكبر سرقة بالتاريخ البترو دولار غطاء الدولار بدل الذهب

أن لقرار الرئيس الأمريكي نيكسون في أغسطس 1971 بتجاوز اتفاقية بريتون وودز كان له آثاره العميقة على الاقتصاد العالمي، غير أن قصة اعتماد الاقتصاد الأمريكي على كميات لا حد لها من الأوراق النقدية التي لا تحظى .

لا شك بتغطية تذكر قد سبق هذا التاريخ بأكثر من عشرة أعوام . وعليه فإن دور نيكسون في هذه القضية لم يكن الدور الرئيسي بأي حال.

الاستثمار في الخارج أجدى والإنفاق العسكري تضاعف

ففي عام 1957 ، وفي عهد الرئيس دوايت ايزنهاور، تجاوز حجم الأموال الخارجة من الولايات المتحدة تلك الداخلة إليها لأول مرة منذ تطبيق اتفاقية بريتون وودز عام 1944 وذلك لسبب مختلف هذه المرة. فقد وجدت البنوك الأمريكية بأن الاستثمار في الخارج سيكون لها أجدى بكثير من وضع أموالها في مشاريع داخل الولايات

المتحدة في وقت من المعروف فيه بأن ولاء هذه البنوك هو لميزانياتها في المقام الأول. وهكذا نجد بأن المؤسسات المتعددة الجنسيات بدأت الاستثمار وإقامة المنشآت الإنتاجية في مواطن العمالة الرخيصة في أمريكا اللاتينية وأوروبا وآسيا، مع الإبقاء على أرباحها في الخارج.

بعدها جاء عامل الإنفاق العسكري الذي تضاعف بشكل أصبح يستنزف الآن حصة كبيرة من الاقتصاد الأمريكي. أصبحت الولايات المتحدة بحاجة إلى أموال طائلة لتشغيل قواعدها العسكرية في أنحاء العالم ، بالإضافة إلى الحرب في فيتنام التي تطلبت في مرحلة الذروة وجود 589 ألف جندي أمريكي هناك. يضاف إليهم حوالي 600 ألف ينتشرون في قواعد حول العالم، ناهيك عن آلاف آخرين يجوبون بحار العالم على متن أكثر من 600 سفينة حربية تتكون منها الأساطيل الأمريكية العديدة... فهؤلاء بحاجة إلى دولارات ، وهذه الدولارات تبقى خارج الولايات المتحدة.

طباعة دولارات دون تغطية لتمويل حرب فيتنام

في عام 1963 وصل ليندون جونسون إلى البيت الأبيض خلفاً لجون كينيدي. وكان أول من لجأ إلى طباعة أوراق النقد الأمريكية من دون تغطية كافية من احتياطات البلاد من الذهب المخزنة في Fort Knox وذلك بدلاً من اللجوء إلى خيار رفع الضرائب لتمويل الحرب المستمرة في فيتنام ، وبرنامج التغييرات الاقتصادية / الاجتماعية ، الذي عرف وقتها ببرنامج المجتمع العظيم . كانت النتيجة بيع المزيد من سندات الخزنة الأمريكية وتضخم كبير في عجز الموازنة الاتحادية ، من ثلاث مليارات دولار في أوائل الستينات ، لينمو بنسبة 300% عام 1967 ، وإلى أكثر من 800% في العام التالي . وبحلول عام 1970 كان حجم الدولارات المتداولة في سوق لندن الأوروبي يصل إلى 1,3 تريليون دولار، وهو مبلغ يشير بوضوح إلى أن الولايات المتحدة كانت تطبع الأوراق المالية دون تغطية كافية من احتياطات الذهب.

عرف ديغول بالسرّ فتمّ ازاحته

في هذا الوقت بدأت الشكوك تساور الرئيس الفرنسي شارلز ديغول ومستشاريه الماليين حيال الفجوة الجلية بين حجم الدولارات المتداولة وما

تملكه الولايات المتحدة من احتياطات من الذهب ، الأمر الذي دفعه لانتهاج خط سياسي واقتصادي أوروبي ينطوي على قدر من الاستقلال عن واشنطن فكان أن عمل مع المستشار الألماني كونراد اديناور على التوصل إلى المعاهدة الفرانكو ألمانية. مثل هذا التطور عبر الأطلسي لم يرق لواشنطن ، فكان أن مارست الضغوط على ألمانيا لإفشالها. وبالفعل ، فقبل يومين فقط من التصويت على المعاهدة في البوندستك (البرلمان) الألماني عام 1963 تم طرح الثقة بالمستشار اديناور الذي ترك منصبه ولم يكتب للمعاهدة أن تخرج إلى النور.

وفي غضون ذلك كان الجنرال ديغول قد نجح في سحب ألمانيا من تحت مطرقة الضغط الأمريكي . وكانت الولايات المتحدة عام 1961 في عهد الرئيس جون كيندي قد طلبت من البنوك المركزية في أكبر عشر دول صناعية ، بالحفاظ على ما لديها من دولارات ، بغية التخفيف من حدة الاستنزاف الحاصل في حجم احتياطات الذهب الأمريكية ، وكذلك الاستثمار في سندات الخزنة الأمريكية مما يعني في الواقع إسهماً فعلياً في الحروب الأمريكية. كان رد ديغول بالطلب من واشنطن تخفيض قيمة الدولار ، الأمر الذي عارضته بنوك نيويورك بشدة. وهكذا استمرت كميات الدولار في الخارج بالتصاعد السريع مقابل المزيد من الاستنزاف في حجم احتياطات الولايات المتحدة من الذهب.

المحاولة الاخيرة: الذهب الورقي

في عام 1968 كررت الولايات المتحدة التصرف نفسه عندما كشفت النقاب عن مشروع آخر في اجتماع لمجموعة العشر لإيجاد "الذهب الورقي" ، وهو بديل عن الذهب كاحتياط لتغطية العملة الورقية من خلال صندوق النقد الدولي أطلقت عليه اسم "حقوق السحب الخاصة SDR" . لقي المشروع الأمريكي الجديد معارضة من قبل الحكومة الفرنسية وأصر وزير المالية ميشيل ديبري وقتها على العودة إلى اتفاقيات بريتون وودز. كما كررت فرنسا طلبها الخاص بتخفيض قيمة الدولار أمام الذهب. جاءت ردة الفعل الأمريكية عنيفة هذه المرة، حيث شنت البنوك الأمريكية والبريطانية هجمة مشتركة على الفرنك الفرنسي، متسببة في استنزاف 30% من احتياطات الذهب الفرنسية قبل نهاية عام 1968. وتفجرت المظاهرات وأعمال العنف

في الشوارع الفرنسية وخلال عام واحد أصبح الجنرال ديغول خارج قصر الإليزيه.

الغاء نظام الصرف الثابت: بداية السبعينات الحرجة

تعد أوائل السبعينات فترة تحول كبير بالنسبة للشرق والغرب على حد سواء وما زالت حالة المد والجزر في النفط تتحكم بمعظم هذه العملية. غير أن ما بدا مصدراً للثروة الهائلة منذ اكتشافاته الرئيسية في القرن التاسع عشر تحول الآن إلى جزء لا يتجزأ من المال نفسه وإلى أداة رئيسية في تغيير وجه الأسواق العالمية بصورة جذرية. جاءت سلسلة من الأحداث الهامة التي قد لا تبدو مترابطة في الظاهر لتقود إلى مثل هذا التحول، وكان أولها توقعات البعض مثل م. كنف هوبرت M. King Huppert القائلة بأن الإنتاج النفطي الأمريكي في الولايات الـ "48 التحتية" سيصل إلى نقطة الذروة عام 1970، ليبدأ بعدها مرحلة من الانحدار التدريجي، وهو ما تحقق بالفعل، حيث أصبحت الولايات المتحدة عام 1970 مستوردة للنفط، وفي العام التالي سجلت البلاد أول عجز في ميزانها التجاري.

في العام المذكور كان حجم الدولارات الأمريكية المتداولة في الأسواق العالمية يقترب من 300 مليار دولار، بينما كان حجم احتياط البلاد من الذهب في فورت نوكس Fort Knox لا يزيد على 14 مليار دولار بالسعر الرسمي الذي كان وقتها 35 دولاراً للأونصة، وذلك طبقاً للمعايير التي وضعتها اتفاقية بريتون وودز الخاصة بنظام الصرف العالمي. وهذه الاتفاقية التي تم التوصل إليها عام 1944 جاءت لتنظيم الأنشطة التجارية والمالية بين كبرى الدول الصناعية في العالم. وينص نظام الصرف هذا على ربط العملات بالدولار وربط الدولار بالذهب.

كان هذا الخلل الكبير في الميزان التجاري الأمريكي بمثابة كارثة مؤجلة بالنسبة للولايات المتحدة. فالفجوة الحاصلة بين حجم الدولارات المطبوعة والمتداولة عالمياً، وحجم ما تملكه واشنطن من احتياطات الذهب لم يعودا سرّاً على أحد، وذلك في وقت يسمح فيه لأي دولة ترغب في استبدال ما تملكه من دولارات بالذهب في أي وقت تشاء أو قد تقدم عليه في المستقبل على الأقل.

وجاء لجوء الإدارات الأمريكية إلى سياسة طبع كميات كبيرة من الدولارات لتمويل الحرب في فيتنام ، وإنفاقها الهائل خلال سنوات الحرب الباردة من دون توفير أي غطاء من الذهب ، ليشكل خروجاً في غاية الخطورة على نظام الصرف العالمي ، كما نصت عليه اتفاقية بريتون وودز. مما اضطر الولايات المتحدة إلى حد الانقلاب على الاتفاقية بإعلان نيكسون بتاريخ 15 أغسطس 1971 ، بأن أمريكا قررت ، ومن جانب واحد ، إلغاء التزامها بالاتفاقية وتعليق خيار ربط الدولار بالذهب.

الخطّة : الذهب الاسود بدل الذهب الاصفر غطاءً للدولار

ما فعله نيكسون كان استبدال معيار الذهب بمعيار الدولار وفرض العملة الأمريكية على العالم كأمر واقع. أو على حد قول هيلموت شميدت - وزير الدفاع الألماني في عهد ويلي برانندت - في وصف النظام المالي الجديد ، بأنه نظام اللانظام "لأنه كان انتقالاً من نظام السعر الثابت إلى السعر العائم ، الذي لا يستند إلى أي نظام سوى المصالح الأميركية ، كما اتضح لاحقاً كان القرار الأمريكي في نظر الكثيرين ممارسة لأكبر ابتزاز اقتصادي عرفه العالم. فمع قفز أسعار الذهب إلى 350 دولاراً للأونصة ، أي عشرة أضعاف السعر الرسمي ، أدرك الجميع بأن من يرغب في تحويل أمواله إلى ذهب لن يحصل بعد الآن على أكثر من 10% من القيمة التي كانت تضمنها له اتفاقية بريتون وودز ، التي شكلت الأساس الذي كان يحكم شراء البنوك المركزية والأفراد للدولار.

كانت المحصلة الفعلية للقرار الأمريكي انفصال الاقتصاد النقدي عن الاقتصاد الحقيقي المنتج للبضائع والخدمات الفعلية ، وظهور اقتصاد المضاربة الجديد ومعه نظام متذبذب إلى الأبد. كما أن هذا القرار جاء حاملاً معه "موت النقد" كما عرفته البشرية على مدار خمسة آلاف عام ومفسحاً المجال لهيمنة "اقتصاد الكازينو" على الاقتصاد المنتج ، وليذهب إلى غير رجعة عالم الأنشطة التجارية والاقتصادية المعمرة ، التي تقاس على أساس من المعايير الثابتة.

تقرير حدود النمو

لعل من أبرز الافتراضات الأساسية التي يقوم عليها النظام الرأسمالي الأمريكي هو العمل على تحقيق معدلات نمو لا محدودة، وهو افتراض تحداه تقرير معمق صدر عام 1972 تحت عنوان "حدود النمو"⁸، باعتبار أن حلم الاقتصاد الأمريكي يصطدم بعقبات ليس أقلها الانفجار السكاني ، ومصير المصادر الطبيعية مثل النفط والغاز آيل للنضوب. ومما جاء في التقرير الإشارة إلى أن النظام الحالي ، القائم على افتراض وجود مصادر لا حدود لها ، قد ينهار في غضون قرن على الأبعد ، خاصة في ظل الزيادة المطردة في عدد سكان العالم.

لامست الرسالة التي تضمنها التقرير مسامع البيت الأبيض ، فكان قرار نيكسون عام 1972 بتعيين جون. دي. روكيفيلر John D. Rockefeller على رأس لجنة رئاسية جديدة حول السكان والمستقبل الأمريكي. جاءت النتائج التي توصلت لها دراسات اللجنة حول هذا الموضوع لترسي الأساس لمذكرة صدرت عن مجلس الأمن القومي في ابريل 1974 تحت إشراف مباشر من هنري كيسنجر، اعتبر فيها معدلات النمو السكاني العالية المسجلة في بعض الدول النامية الغنية بثروات طبيعية معينة "مصدر قلق للأمن القومي الأمريكي من النوع الذي ينبغي إعطاؤه أولوية عالية"⁹. ومضى التقرير إلى حد الدعوة إلى مراقبة مناطق معينة - معروفة بامتلاكها احتياطات واسعة من المصادر الطبيعية لضبط النمو السكاني فيها، باعتبار هذه المصادر ضرورة استراتيجية لنمو الشركات الأمريكية، ولم يتطرق التقرير إلى ما هو مطلوب من جانب الشركات نفسها. المثير في الأمر أن معظم البلدان التي وردت أسماؤها في مذكرة كيسنجر وهي: بنغلادش ، باكستان ، الهند، اندونيسيا، الفلبين، تركيا، مصر وأثيوبيا، مع إيران وسوريا اللتين اضيفتا لاحقاً، هي دول إسلامية بالكامل، أو أن المسلمين يشكلون نسبة كبيرة من السكان فيها.

⁸Donella H. Meadows, Dennis L. Meadows, Jorgen Randers and William W. Behrens III, The Limits to Growth (University Books, 1972)

⁹National Security Study Memorandum 200: Implications of Worldwide Population Growth for U.S. Security and Overseas Interests, US National Security Council, December 10, 1974

المفارقة: نمو الغرب تحت اقدام المسلمين

المفارقة هنا تكمن في أن المصادر النفطية اللازمة لتحقيق النمو الرأسمالي تقع تحت الأرض الإسلامية... ولهذا نجد أن القوى الاستعمارية تعمدت ، وفي وقت مبكر ، يعود إلى الحرب العالمية الأولى ، إلى تقسيم الجزء الشرق أوسطي من الإمبراطورية العثمانية، بطريقة تضمن أن تأتي الحدود الجديدة للدول ما بعد الدولة العثمانية بطريقة تصبح معها الدول التي تمتلك مصادر غنية هي نسبياً الأقل من حيث عدد السكان، في حين أن الدول الأكثر سكاناً جاءت أفقر منها من حيث وفرة المصادر الطبيعية.

نظام مالي جديد

جاء إلغاء نظام الصرف الثابت الذي وضعته اتفاقية بريتون وودز وما ترتب عليها من استبدال معيار الذهب بمعيار النفط بصورة غير مباشرة ، ليضع العالم أمام نظام مالي جديد أصبح فيه الدولار عملة المبيعات النفطية. غير أن فرض هذا النظام عالمياً كان يتطلب إحداث تغييرات كاسحة من قبل الولايات المتحدة. فكان أن أصدر نيكسون تعليماته لهنري كيسنجر للتحرك بهذا الاتجاه... وطبقاً لدراسة حالة صدرت عن كلية الإدارة بجامعة هارفارد ، بعنوان "السيطرة على النفط العالمي: 1920 - 1974" فقد كان لكيسنجر خطط أخرى على ما يبدو.

"طبقاً لأحد التقارير (نشرته النيويورك تايمز "المجلة") عام 1973، فإن الرئيس نيكسون اقترح على الملك فيصل المساعدة على إقناع السادات بالتحرك لتخفيف حجم الوجود السوفيتي في مصر، مقابل ممارسة الولايات المتحدة الضغط على إسرائيل للانسحاب من أراض عربية احتلتها عام 1967. ومع أن الملك فيصل فعل ما طلبته واشنطن، إلا أن نيكسون، وكما هو واضح ، لم يتحرك لتنفيذ الجانب المطلوب منه طبقاً للصفحة".

الواقع أن نيكسون كان منشغلاً تماماً بفضيحة ووترغيت ، الأمر الذي جعل من كيسنجر الرئيس الفعلي للولايات المتحدة. ومن موقع المتحكم بالقرار الأمريكي.

بدأ كيسنجر بتنشيط خطته الخاصة بالشرق الأوسط ، من خلال إعداد المسرح لحرب عربية إسرائيلية جديدة حدد هو نفسه معالمها كخطوة تتلوها رفع اسعار النفط بصورة فلكية (بأربعة أضعاف)، وأخيراً وليس آخراً فرض الدولار على العالم باعتباره العملة الوحيدة المستعملة لتجارة النفط وهكذا يتم خلق أوضاع تملي إقبالاً عظيماً على الدولار وبشكل إجباري ، بما يسمح لمطابع العملة الورقية الأمريكية بمواصلة العمل على طبع ما تشاء من الأوراق النقدية طالما بقي النفط المصدر الرئيسي للطاقة في العالم. ومن أجل هذا الأمر، كان التنام جمع لجنة بيلدربيرغ في مايو عام 1973.¹⁰

إذا كان الدولار قد خسر دعم الذهب فقد وجد البديل الأفضل: الذهب الأسود، وفوق ذلك فإن فرض الدولار كعملة تسعير إجباري لشراء النفط ، خلق طلباً لا ينقطع على العملة الأمريكية ، وهو وضع لم يتغير كثيراً عبر السنوات الطويلة التالية. ففي أوائل عام 2013 كانت أسعار النفط تتراوح حول 100 دولاراً للبرميل. وإذا كان معدل الاستهلاك العالمي من النفط يصل إلى 90 مليون برميل يومياً، فإن الخزينة الأمريكية تطبع حوالي 9 مليارات ورقة دولار يومياً (\$90000000000) مغطاة في الأساس من النفط والاقتصاد القوي المفترض. غير أن مثل هذا الاقتصاد يزرح حالياً تحت وطأة ديون سجلت معدلات فلكية، لدرجة أن العديد من المحللين الاقتصاديين فقدوا ثقتهم بقدرة الاقتصاد الأمريكي على الاستمرار... لا عجب إذاً ، والحالة كذلك ، أن تسعى الولايات المتحدة حالياً لإبقاء المصادر النفطية تحت سيطرتها العسكرية المباشرة.

في اجتماع بلدبيرغ والذي سنشير إليه في الفصل التالي ، عرضت دراسة والتر ليفي أبعاد الأعمال المطلوبة للتعامل مع ظاهرة ارتفاع اسعار النفط المتوقع بنسبة 400% ، وذلك قبل ستة أشهر من وقوعها، كما ناقش المشاركون خطة إدارة خاصة بتدفق الدولارات البترولية الناجمة عن رفع أسعار النفط أربعة أضعاف.

¹⁰The Bilderberg conference is an annual unofficial conference of around 120 high-profile representatives from government, media, and academia. Discussions are not reported and while conference venues are kept secret, meetings are usually held in Europe, the United States, and Canada. For further information, see Mark Oliver, "The Bilderberg Group," Guardian, June 4, 2004

وهكذا فسيغطي سعر النفط الجديد عدداً أكبر من البترودولارات الى الدول المنتجة والتي يتم تدويرها الى البنوك الغربية والتي بدورها تقرضها الى الدول النامية التي تضطر للاستدانة من اجل دفع ثمن بترولها مما خلق حلقة من مصادد الديون والتي لا تنتهي والتي تجعل قسماً كبيراً من اقتصاديات الدول النامية مخصصة لسداد فائدة القروض الى تكتل المال العالمي مع بقاء أصول تلك الديون الى يوم يبعثون .

مصادد الديون

تشير تقديرات صندوق النقد الدولي إلى أن العجز المترتب على هذه الدول، بفعل النظام المالي الجديد ، ارتفع بمعدل 400% عام 1974 عما كان عليه قبل عام واحد فقط. فقد وجدت هذه الدول نفسها أمام خيار وحيد لتسديد فائورتها النفطية بالأسعار الفلكية الجديدة، وهو الاقتراض من البنوك الغربية، وسرعان ما تحولت هذه القروض إلى عبء كبير على اقتصادياتها الوطنية. وبعبارة أخرى ، فإن ما فعلته سياسة كيسنجر كان إيقاع الدول النامية في مصيدة الديون التي أجبرت الدول الأفقر الى اللجوء لصندوق النقد الدولي على أمل تجنب تراكم الفوائد المستحقة من الديون للبنوك الغربية. غير أن قروض الصندوق بدورها لم تكن بأفضل من ديون البنوك بكثير ، فقد جاءت مرتبطة بشروط جعلت من اقتصاد الدولة المقترضة أقرب إلى رهينة فعلية لسياسات الصندوق المعروفة وشروطه، من تبني الدولة الضحية لمبادئ التجارة الحرة، وفتح أسواقها أمام الشركات ورجال المال والأعمال الأمريكيين. وفي ظل هذا النوع من الشروط الضاغطة تصبح مصادر البلاد الطبيعية إما تحت سيطرة أو التملك المباشر "للمستثمرين الأجانب" الذين يشترونها بأسعار احتكارية، وصولاً إلى أن تنتهي البلاد رهينة في أيدي المجموعة المالية العالمية.

وتعد تجربة الاقتصاد الهندي مع ظروف ما بعد فورة الأسعار النفطية نهاية عام 1973 مجرد مثال يختزل المشكلة. ففي عام 1974 كانت نيودلهي تملك 629 مليون دولار من الاحتياطات ، وكان نصف هذا الرقم يكفي لتسديد فائورتها النفطية بأسعار عام 1973. غير أن الفاتورة التالية تجاوزت 1,241 مليار دولار. وسرعان ما وجدت الدول النامية نفسها أسيرة أرقام غير مسبقة من الديون وصلت عام 1974 إلى 34 مليار دولار. وفوق ذلك هناك

حقيقة أن الدولارات النفطية تجد طريقها عائدة إلى البنوك الكبيرة في نيويورك ولندن، وهذه البنوك هي التي تحدد حاليًا البلد الذي يستحق الحصول على قروض وطبقًا لأي شروط. في غضون ذلك تحولت الديون المتراكمة إلى عبء كبير يثقل كاهل الاقتصاد في العديد من الدول. فهذا بلد مثل الأردن على سبيل المثال، ينفق جزءاً كبيراً من ميزانيته السنوية بالكامل على خدمة الفوائد المترتبة على ديونه، مع استمرار الزيادة في أصول الدين. أما لبنان بعدد سكانه المقارب لعدد سكان الأردن (6 ملايين) فقد تجاوزت ديونه لحوالي ضعف الدين الاردني طبقاً لأرقام 2006. ومع وصول أسعار النفط إلى 100 دولاراً للبرميل، ارتفعت فاتورة الأردن النفطية عام 2012 إلى ما يعادل 20% من الناتج القومي الإجمالي للبلاد GDP، في حين أن الفاتورة النفطية للولايات المتحدة للفترة نفسها لم تتجاوز 3% من الناتج القومي الإجمالي الأمريكي.

وجدت الدول النامية نفسها الضحية الرئيسية للنظام المالي الجديد الذي فرضته تكتيكات كيسنجر في مرحلة ما بعد بريتون وودز، حيث ترتب على هذه الدول المنتجة للنفط إخضاع دولاراتها لعملية لا ترحم، تتحول معها مصادرها الطبيعية في النهاية إلى أرقام في سجلات بنوك نيويورك التي تقوم بإقراضها إلى دول نامية أخرى، بدفع ثمن بترولها بالأسعار الجديدة. وهكذا وجدت العديد من دول أمريكا الجنوبية وأفريقيا وآسيا نفسها تباغاً في مواجهة العجز الحاد في ميزان المدفوعات. وفي المقابل كان الرابحون الوحيدون من هذا النظام، الشركات النفطية المتعددة الجنسيات والبنوك الأمريكية والبريطانية، والمضاربين في الـوول ستريت وسوق المال اللندني.

تدوير البترول ودولارات

بل إن الأمر تجاوز البلدان الفقيرة، حيث وجدت الدول النامية الأغنى نفسها مجبرة على الإسهام في ملء الخزائن الغربية. ففي يناير 1974، على سبيل المثال، توصلت وزارة الخزانة الأمريكية إلى اتفاق سري مع السعودية، الدولة الأكثر تلقياً للدولارات النفطية، ينص على حصر استثمارات أموال النفط السعودية في شراء سندات الخزانة. وكان البنك المركزي السعودي قد استعان بمستشار استثماري أمريكي من العاملين في الـوول ستريت هو ديفيد ملفورد، David Mulford الذي "نصح" السعوديين بشراء سندات الخزانة

الأمريكية. وهكذا تحول البترول العربي من مادة استراتيجية هامة إلى أوراق
دولارية لم تطأ أراضي العرب البتة ، بل بقيت أرقاماً في بيوت المال الغربية
سوى اليسير منها. أما أكثرها فيتم إعادة تدويره إلى اقتصاديات تلك الدول أو
إقراضه للدول النامية، لمنفعة أصحاب الرأسمال العالمي والشركات عبر
القطرية العملاقة.

وعلى الجانب المالي ، استخدمت السبعينات في معظمها لتثبيت " نظام –
اللانظام " العالمي الجديد ، والذي يقضي بطباعة كميات ضخمة من النقود ،
دون تغطية ، سوى أن العالم كان مجبراً على استعمال هذه الدولارات -
عديمة القيمة -في دفع ثمن النفط . وهكذا ، أصبح النفط ، أي الذهب الأسود
ضمانة للدولار كبديل للذهب الأصفر. وأيضاً - وكي يتاح للنقود أن تخلق -
فإنه لابد للديون أن تخلق . وهكذا تم إثقال كاهل معظم الدول النامية بععبء
الأسعار الفاحشة للنفط ، وكان على هذه الدول أن تقترض لتدفع من البنوك
الغربية العالمية التي تخزن البترودولارات. لا شك أن الشيطان كان حاضراً
مع كيسنجر ورفاقه حينما تم تصميم هذا النظام الجديد .

ترتيبات خفية : إغواء أوبك أن تسعّر بالدولار فقط

وعبر ترتيبات خفية مع دول منتجة رئيسية من عملائها مثل شاه ايران ، تمّ
إغواء أوبك أن تسعّر بالدولار فقط . وبذا تم خلق طلب هائل على الدولار،
تمخض عنه طباعة أوراق عديمة القيمة بكلفة 5 سنتات للورقة على أنها
ورقة نقدية من فئة 100 دولار وكان هذا سبب آخر للولايات المتحدة لرفع
درجة اهتمامها بحقول النفط من مجرد مستوى السيطرة إلى الاحتلال
المباشر.

**"11 دولاراً : هو المبلغ الذي تدفعه الدول النامية
على صورة خدمة الديون مقابل كل دولار تحصل عليه
على صورة مساعدات"**

عن مجلة تايم الامريكية (1حزيران 1998)

قال وزير الطاقة الأمريكي ريتشاردسون أياى الرئيس كلنتون سنة
1999:

" لقد كان البترول محور القرارات الأمنية للسياسة الخارجية
للولايات المتحدة خلال القرن العشرين، والنفط كان وراء تقسيمات
الشرق الأوسط إلى دويلات بعد الحرب العالمية الأولى "

في سنة 2004 كان للولايات المتحدة 237000 جندي على
الاراضي الاجنبية وأكثر من 50000 في البحار والمحيطات . كما
أنها كانت تمتلك 800 منشأة عسكرية في الخارج بما فيها 60
قاعدة كبرى . كما أن تواجدها كان في 160 بلد أجنبي بما في ذلك
تواجد كبير في 25 منها.

الفصل الثامن

خطوة فخطوة : من السيطرة إلى الاحتلال
عقد السبعينات : مرحلة التخطيط
الجزء الاول

احتلال حقول النفط

عندما قرّرت شبكة تلفزيون الجزيرة المعروفة عمل حلقتين وثائقيتين مدة كل منهما ساعة حول كتابي "حروب البترول الصليبية- أميركا بعيون عربية" ، قمت و مخرج الحلقات بوضع قائمة بالشخصيات التي سيتم مقابلتها ، استناداً إلى من تم الاستشهاد بأقوالهم من تلك الشخصيات في كتابي .. ومن بين هؤلاء كان جيمس إيكنز ، وهو سفير سابق للولايات المتحدة لدى العربية السعودية أوائل سبعينيات القرن الماضي ، وفي كتابي ذاك ذكرت قصة كان رواها إيكنز حول نفس موضوع احتلال حقول النفط .

قابلت الجزيرة إيكنز لغرض المسلسل الوثائقي ، وفيما يلي النص الحرفي لما قاله وكما بنّته قناة الجزيرة :

" عندما طلع علينا كيسنجر بخطته لاحتلال حقول نفط الشرق الأوسط ، سئلتُ عما كان قد نُشر في مقالة بمجلة " هاربر " كتبت من قبل كاتب مجهول دعا نفسه " الجندي المجهول " ولم يعرف أحد حقيقة هويته إلا بعد ربح من الزمن.

وكان كاتب المقالة اقترح على الولايات المتحدة احتلال حقول النفط العربية من الكويت وحتى دبي، مع إحضار موظفين من تكساس وأوكلاهوما لتشغيل هذه الحقول وترحيل جميع مواطني هذه البلدان إلى نجد (في العربية السعودية) ، بحيث تملأ المنطقة بكاملها من مواطنيها العرب ، ونقوم نحن بإنتاج النفط لمدة الخمسين أو السبعين سنة القادمة إلى أن تجف حقول النفط. بحثت الخطة مع أرامكو (شركة النفط السعودية الأمريكية) فارتعبوا، إذ من السذاجة بمكان أن يجول بخاطر المرء مثل هذا الحلم، وقد سألتني وسائل الاعلام الأميركية عن هذه الخطة ، وكنت حينها سفير أميركا لدى العربية السعودية ، فأبلغت وسائل الإعلام الأميركية بأن من يفكر بحل أزمة الطاقة الأميركية بهذه الطريقة إما أن يكون مجنوناً أو مجرماً أو عميلاً للاتحاد السوفيتي ، ويبدو ان هذه الكلمات لم تسرّ ذاك الذي كتب مقالة "هاربر" ، وكنت أعتقد أنه حمقى وكالة الاستخبارات المركزية أو البنتاجون ، حيث لم أكن أعرف بعد من قد يكون ، وأخيراً عرفت : لقد كان رئيسي كيسنجر، حيث لم ألبث بعدها أن طردت "

أما أن مثل هذا الخيار كان تمّ اعتباره جدياً، فقد ورد ذكر ذلك في دراسة لكلية الدراسات العليا للأعمال في هارفارد تحت عنوان : **السيطرة على النفط العالمي** . وعلى الأغلب ونظراً للمخاطر التي ينطوي عليها مثل هذا التصرف في عالم ثنائي القطبية - وبالتأكيد ليس لاعتبارات أخلاقية - فقد تم تبني نهج الخطوة خطوة ، كما أطلقت الولايات المتحدة العنان لنظام مالي عالمي جديد بعد إلغاء قابلية تحويل الدولار إلى ذهب في 1971، مما أدى إلى إحداث متغيرات اقتصادية ومالية كثيرة في الولايات المتحدة وعبر العالم .

انشغلت الدوائر العليا في واشنطن طوال عام 1973 بمناقشة الخطط الحربية الخاصة بالاحتلال الفعلي لحقول النفط في الشرق الأوسط ، إلا أن انطباعاً غلب في النهاية مؤداه بأن الوقت لا يزال مبكراً للإقدام على هذه الخطوة ، غير أن الخطط أعدت بالفعل في الأعوام التالية ، حيث تم تشكيل ما عرف بالقيادة الوسطى التي ستتولى المهمة ولكن على مراحل أو طبقاً لسياسة كيسنجر المعروفة ب "الخطوة خطوة". بدأت العملية بإقامة قواعد جوية ومدن عسكرية بتمويل من الدولارات النفطية للدول المنتجة. تلا ذلك تصعيد ملحوظ للوجود البحري الأمريكي في مياه الخليج. وكما سيتضح لاحقاً في

نهاية هذا الفصل فقد كانت الخطة الأمريكية لاحتلال منابع النفط تتجاوز في حجمها التوقعات كافة.

أصبح تأمين احتياطات النفط مطلباً استعمارياً ملحاً

وبعد أن بلغ إنتاج نفط الولايات المتحدة ذروته كما كان متنبأ به ، والذي تزامن مع عدم قدرة الولايات المتحدة على الوفاء بالتزاماتها بموجب اتفاقية بريتون وودز المتعلقة بتحويل الدولارات إلى ذهب بنسبة ثابتة ، أصبح تأمين احتياطات النفط للولايات المتحدة مطلباً استعمارياً ملحاً وضروريا لاستمرارية مجمعها الصناعي العسكري وهيمنتها العالمية .

كانت الخطوة الأولى هي تحويل احتياطات ألاسكا وبحر الشمال الضخمة – والتي كانت غير مجدية اقتصادياً - إلى احتياطات اقتصادية، وهو أمر تمّ تأمينه عبر زيادة أسعار النفط ، والذي أنجز بصورة مسرحية من خلال حرب تشرين/يوم كيפור في 1973 . وكان أيضاً من الضروري ضمان أن تتدفق البترودولارات الى الدول المنتجة على نحو مسيطر عليه ، فيما أصبح يعرف بإعادة التدوير من المنتجين إلى البنوك الغربية. وعملياً فإن النقود لم تكن تغادر، المصارف الغربية أبدا ، حيث كان يجري تحويلها من حساب إلى آخر بينما يسمح لقطرات من النقود - لا تزيد عملياً عن الفائدة - أن ترشح إلى البلدان المنتجة ، كي تنفقها في استهلاك منتجات غربية ، وفي شراء أسلحة فائضة قديمة الطراز.

مفاوضات سرّية مع السادات

عندما طرد السادات عشرات الآلاف مع المستشارين السوقيات من مصر كجزء من خطة بلاده للابتعاد عن الاتحاد السوفياتي ، حث ميلفن ليرد وزير الدفاع نيكسون على بدء مفاوضات سرّية مع السادات ، غير مدرك أن القنوات كانت مفتوحة- أصلاً - على وسعها منذ بعض الوقت . وفي هذه الأثناء ارتقى كيسنجر بمستوى صلته المصرية الخاصة ، ففي زيارة لحافظ اسماعيل – مبعوث السادات- الى الولايات المتحدة في شهر شباط 1973 ، قام بوضع برنامج يمكنه من الاجتماع خفية بكيسنجر بعد انتهاء واجباته

الرسمية ، فتالياً لاجتماعاته بنيكسون وممثلي الخارجية - كان اسماعيل - كما كتب كيسنجر في كتابه " سنوات الهياج" ... سوف ينسلّ بنفسه في 25 شباط إلى نيويورك ، ومن هناك يتوجه إلى موقع اجتماع سري في الضواحي .. بيت خاص استؤجر لهذا لغرض- حيث هو وأنا نتباحث ليومين في مراجعة كاملة وخاصة للعلاقات المصرية الأميركية"¹¹.

وأضاف كيسنجر : " لا أنا ، ولا أي عضو من معاوني ، كان ضمن مناقشات إدارة الخارجية ، بينما إدارة الخارجية حتى لم تعرف بلقائي السري مع اسماعيل" .

وقبل وصول اسماعيل إلى واشنطن كتب نيكسون إلى كيسنجر: " لقد حان الوقت للتخلي عن الانصياع لموقف اسرائيل المتصلّب ، فقد قادتهم تصرفاتنا في الماضي إلى الاعتقاد بأننا سنقف إلى جانبهم بغض النظر عن مدى لا معقوليتهم."

ومع ذلك فإن خطة كيسنجر كانت -والى حدّ كبير - متمشيّة مع قرار اسرائيل، والذي نصّ في حزيران 1967 ، على أنه يمكن بحث جبهتي مصر وسوريا والتفاوض حولهما ، اما الضفة الغربية وغزة فلا، والتي كان مجلس الوزراء الإسرائيلي قد أصرّ على ضمّها الى اسرائيل ، وحيث أن الضفة الغربية كانت جزءاً من الأردن قبل حرب 1967 ، فقد عمد كيسنجر إلى استبعاد الأردن من مفاوضات الخطوة خطوة ، وخطط للسادات وللعرب الآخرين من " أصدقاء " الولايات المتحدة المعروفين ، باستبعاد الأردن كلية عن مسألة مفاوضات الضفة الغربية الفلسطينية .. وكما تم تنفيذه فعلاً في الرباط في مراكش في وقت لاحق.

وفي 6 آذار 1973 ، تم تزويد السعوديين بإيجاز عن اجتماع كيسنجر مع اسماعيل ، وذلك على أساس " العلم بالشيء في حدود ما يلزم فقط"، حيث أن العربية السعودية - البلد النفطي الرائد - سوف يكون لها دور في حظر النفط وزيادة سعره مستقبلاً .

¹¹[Henry A. Kissinger](#), *Years of Upheaval*, B D D Promotional Books Company, Incorporated, 1996

وفي ذلك الشهر زارت جولداماثير رئيسة وزراء إسرائيل الولايات المتحدة ، وعارضت وبشكل مطلق موقف نيكسون ، ورفضت أية ضغوط لتعديل موقف إسرائيل المتشدد ، كما أبلغت نيكسون بأنه ليس لدى العرب خيار عسكري ، وأن الأمور لم تكن بأفضل مما هي عليه الآن بالنسبة لإسرائيل.

وفي 11 نيسان انعقد اجتماع آخر بين اسماعيل وكيسنجر ، وكانت القوات العربية وفي معظمها من البلدان الأشد تحالفاً مع الولايات المتحدة قد بدأت في شباط 1973 التحرك ، بما في ذلك طائرات سعودية إلى مصر وقوات مراكشية إلى سوريا . وتوافق المصادر العلمية على أن مثل هذه القرارات لم يكن لها لتتخذ دون موافقة - ضمنية على الأقل - من طرف الولايات المتحدة وفي 20 نيسان أفادت تقارير المخابرات المركزية الأميركية بأن بدء العمليات العسكرية قد أصبح وشيكاً .

اجتماع بيلدربرغ في أيار 1973 السري

اجتماع بيلدربرغ في أيار 1973 المنعقد في سالتس جو بادن قبالة ساحل السويد في فيلا أسرة والينبرغ اليهودية الواسعة الثراء (في 1997 كانوا يسيطرون على موجودات شركات مبيعاتها السنوية 100 مليار دولار) ، كان كيسنجر حاضراً مع كبار مدراء شركات النفط الكبرى والمؤسسات المالية متعددة الجنسيات والبنوك.

ومن بين النجوم كان روبرت أندرسون رئيس شركة أتلانتك ريتشفيلد للنفط ، وزملاؤه الأقطاب سير إريك دريك من بريتش بترولיום ، وباي.جي.كولادو نائب رئيس إكسون ، ورينيه جرينزدي ليلياك من سي.إف.بي ، والمصرفيون البارون إدموند دي روتشايلد ، وماركوس وولنيرغ ، وكريستر ويكمان ، ومن السياسيين أولاف بالمه رئيس وزراء السويد ، ودنيس هيلي من المملكة المتحدة ، وهيلموت شميت وزير مالية ألمانيا الغربية في ذلك الوقت . ومثل رجال النفط جميع الشركات التي حققت كشوفاً وطورت حقول النفط في ألaska وفي بحر الشمال ، أما البيت الأبيض فمثله هنري كيسنجر وجيمس إيكنز وهو خبير نفطي .

وكان كيسنجر قد أمضى ردهاً من الوقت في التحضير لهذا الاجتماع ، وفي كانون ثاني من تلك السنة عين نيكسون جورج شولتز وزير الخزانة الأميركية مساعداً للرئيس للشؤون الاقتصادية، وكنتيجه لهذا التعيين أصبح جورج شولتز - والذي كان فيما سبق تاجر صكوك في وول ستريت - رئيساً للجنة سياسات النفط . وفي شباط شكلت اللجنة الخاصة لشؤون الطاقة التابعة للبيت الأبيض من كل من هنري كيسنجر وشولتز وجون إيهرليخمان ، وكان لهذه اللجنة شأن كبير في التحضير لاجتماع بيلدربيرغ .

حرب اكتوبر 1973

كانت هذه هي السنة التي أدت التوترات فيها بين العالم العربي وإسرائيل إلى حرب أكتوبر (والتي عرفت أيضاً بالحرب العربية الاسرائيلية ، وحرب رمضان ، أو حرب يوم كيبور) . وفي 1972 أعلن الرئيس أنور السادات جهاراً بأن بلاده ملتزمة بمحاربة إسرائيل، كما كرّر تهديده في نيسان 1973 وهكذا وبعد تحضيرات سرية بين كسينجر (وأصدقائه العرب) وبعدما وضع تكتل المال وشركات النفط النظام المالي الجديد والذي يعتمد على النفط كغطاء للدولار وتم رفع الاسعار اربعة اضعاف بدأت مصائب ومصائد الديون للدول الفقيرة ودول العالم الثالث. كان لا بد لهذا السيناريو لحرب تحريك فكانت حرب السادس من اكتوبر 1973 التي قامت بدايته كل من مصر وسوريا . فاجئ الهجوم اسرائيل وتقدمت القوات المصرية بأسرع مما كان متوقعا لها وكان بإمكانها حسب تقديرات القادة المصريين انذاك كالفريق الشاذلي مواصله الهجوم الى مواقع أمنة بل والى أكثر من ذلك ولكن قام الرئيس السادات بإجبار القوات المصرية بالوقوف في مواقع مكشوفة صعبة الدفاع عنها. كان ذلك جزءاً من الخطة التي تسمح بتدخل كسينجر في سياسته لفك الارتباط بين مصر وبقية الدول العربية أنذاك والاستقواء عليها منفردة باتفاقية يقول كسينجر بنفسه أنها كانت افصل حتى من التوقعات الاسرائيلية . وهكذا بدأت سياسة الخطوة خطوة للهيمنة الامريكية الاسرائيلية على منطقة الشرق الاوسط وكذلك سياسية هيمنة الخطوة خطوة في الهيمنة على حقول النفط العربية الى درجة احتلال بعض تلك الدول أو انشاء قواعد عسكرية كبرى تتمركز فيها القوات الامريكية . فهذه الحرب التي رتب لها كيسنجر بشكل مسرحي ، انتهت بقرار عربي بحظر النفط عن الغرب وبارتفاع فلكي

في أسعاره. غير أن ارتفاع أسعار النفط لم يقد إلى إثراء الشركات النفطية فحسب ، بل زاد من الطلب على الدولار الأمريكي.

وكانت " الدبلوماسية المكوكية " أو اتصالات الوساطة التي تلت الحرب ، قد تم وضع تفاصيلها الدقيقة من قبل هنري كيسنجر والذي كان رئيساً للامن القومي آنذاك . وكانت خارجية الولايات المتحدة تعتقد بأن على إسرائيل الانسحاب لحدودها عام 1967 ، إلا أن كيسنجر كان لديه خطة أخرى . وقد جاء في كتابه "سنوات الهياج " :

"كانت نقطة البداية لدي تقع عاطفياً لدى الجانب الآخر .. وعلى الرغم من عدم ممارستي شعائر عقيدتي الدينية ، فلم يكن بمقدوري نسيان أعضاء أسرتي الثلاثة عشرالذين ماتوا في معسكرات الاعتقال النازية، ولم يكن في قدرتي احتمال هولوكوست آخر من قبل سياسات حسنة النية يمكن لزامها الإفلات من السيطرة"¹².

كتب كيسنجر في كتابه سنوات الاضطراب : "شارك نيكسون الفئة الدنيا من الطبقة الوسطى في كاليفورنيا شاركها تحاملاتها وضغائنهما، فقد اعتقد أن اليهود يشكلون مجموعة قوية متجانسة داخل المجتمع الأميركي وأن سيطرتهم على وسائل الإعلام تجعل منهم خصوماً خطرين ، وفوق كل شيء فإنه يتوجب إرغام إسرائيل على تسوية سلمية وأنه لايجوز السماح لها بتعريض علاقات أميركا العربية للخطر".

إلا أن كيسنجر ثابر على فعل الأشياء على طريقته هو ، فباشر مفاوضات مع السادات دون معرفة إدارتي الخارجية والدفاع .. ولا حتى البعثة الدبلوماسية الأميركية في القاهرة ، ولم تكن لدى كيسنجر الرغبة في الاعتماد على خبراء الشرق الأوسط لدى الخارجية ، والذين كان ينظر لهم بصفتهم " مستعربين"، وصمم على تحاشيهم جميعاً .

¹²[Henry A. Kissinger](#), *Years of Upheaval*, B D D Promotional Book Company, Incorporated, 1996

عقد السبعينات عقد التخطيط

وعلى الجانب العسكري أنشأت الولايات المتحدة قيادة قوة الانتشار السريع في فلوريدا ، وهي القوة التي أنشئت ودربت وجمعت ليتمكن نشرها بسرعة في الخليج ، في حال بروز أي داع لحماية ما تعرفه أميركا على أنه مصلحتها في المنطقة. وصبغت القوة أسلحتها بألوان الصحراء ، وأما أفرادها فتم تدريبهم على حرب الصحراء ، وأصبحت هذه القيادة تعرف فيما بعد باسم القيادة المركزية (سنتكوم).

وكان أن أعدت الخطط العسكرية والمناورات الحربية للتدخل الأميركي . ومما يثير الدهشة أن السيناريو الدقيق لحرب عاصفة الصحراء كان قد أعد في 1978 على أساس الافتراض بحدوث هجوم عراقي على الكويت واحتمال رد أميركي عليه . وفي عدد 7 أيار 1979 لمجلة فورتن ، تم نشر سيناريو لمناورة حربية تصف خططا و ردّاً عسكرياً أميركياً ممكناً في حالة غزو عراقي للكويت يركز على نزاعات حدودية أو غيرها ، وفي صفحة 158 ، وتحت عنوان " إذا غزا العراق الكويت.." قالت المجلة: " القوات العراقية ، المجهزة بشكل رئيسي بأسلحة سوفيتية ، يمكن لها الأجهزة على أي البلدين بسرعة ؛ والمعونة إذا طلبت ، يمكن لها أن تتضمن ضربات جوية تكتيكية ضد الدروع العراقية وضد دعمها الجوي ، وربما أيضاً تهديدات بتدمير المنشآت النفطية العراقية ، ولغرض دحر القوات الأرضية العراقية ، فإن ذلك سيتطلب مشاة بحرية من الأسطولين السادس والسابع ، ومشاة من الفرقتين الثانية والثمانون ومائة وواحد ؛ كذلك ارتأت الخطة " جيشاً في السماء " لنقل الجنود ، والإفادة من جسر إمداد القوة الجوية الأميركية الاستراتيجية – السبعين سي 5 إيه إس العملاقة ، و 234 ناقلة سي 141 الأصغر حجماً ، زانداً 700 كيه سي 135 صهريج لإعادة التزود بالوقود جواً." ¹³ وكان هذا قد أعد في 1978 !!

وفي هذه الفترة ، تم بناء قواعد عسكرية أميركية ومدن بحرية ضخمة في الخليج ، على نحو غير لافتٍ للنظر ، وتحت مختلف الحجج والأعذار الواهية.

¹³If Iraq Invades Kuwait or Saudi Arabia", *Fortune Magazine*, May 7, 1979, 158

سؤال : من الذي يقرر سعر البترول؟ ولمصلحة من؟

في "دراسة سرية جداً " لوزارة الطاقة الامريكية¹⁴ وجهته الى وزارة الخارجية في 1984/10/24 جاء فيها " سياستنا يجب أن تتحوا نحو هبوط أسعار النفط 30-40 بالمئة وذلك لمعافاة الاقتصاد الامريكي."

وفي برقية عاجلة من وزارة الخارجية الى سفارتها في لندن مشفرة سري جداً جاء فيها إن :
" وزير الخارجية مهتم جداً بدراسة سريعة عن تأثير هبوط كبير في اسعار البترول ". كان ذلك في البرقية رقم 081715 المرسلة في شهر مارس 1985

هبطت الاسعار من معدل 26 دولار للبرميل في شتاء 1985 الى اقل من (10) دولار للبرميل 1986.

الله يحيي ويميت ، والرب اخذ واعطى ، والولايات المتحدة تدبر امر رفع اسعار البترول أو هبوطها بما يتوافق مع مصلحة اقتصادها لا اقتصاد الآخرين من منتجين او مستهلكين .

¹⁴ Richard T, Mc Cormac Information Memorandum On Oil Price

"إن أي أميركي يعرف ألف باء السياسة يعلم أن الولايات المتحدة لا تحارب من أجل الديمقراطية (ضد العراق) لأنها غير موجودة في العالم العربي. وإنها لا تقاتل من أجل العائلة المالكة الكويتية..."

لقد تحركت الولايات المتحدة نحو الحرب لتوقف العراق من السيطرة على مورد هو العصب الأساسي للصناعة والذي يعني الفرق ما بين الحياة أو الموت الاقتصادي".

آي. إم. روزنثال *A. M. Rusenthal*
هيرالد تريبيون – عدد 1990/8/27

الفصل التاسع

خطوة فخطوة: من السيطرة إلى الاحتلال
عقد الثمانينات بناء بنية عسكرية
لتنشيط الهيمنة السياسية والاقتصادية
الجزء الثاني

اليوم كالأمس:

في 1980 أصدر الرئيس كارتر مبدأه - مبدأ كارتر - والذي عملياً يعلن منطقة الخليج بحيرة أميركية ، تماماً كما فعل البريطانيون من قبله.
وأعلن كارتر:

" أي محاولة من أي قوة خارجية لحيازة السيطرة على منطقة الخليج الفارسي ، سوف تعتبر هجوماً على المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأميركية ، وإن مثل هذا الهجوم سيتم صدّه بكافة الوسائل اللازمة ، بما فيها القوة المسلحة."

أليس هذا بالضبط هو صدى وزير الخارجية البريطاني لانزداون ، الذي أصدر تحذيراً مماثلاً قبل 77 عاماً من كارتر ، حيث أعلن في 1903 وفور بدء الحفر للنفط في إيران أن الحكومة البريطانية :

" تعتبر إنشاء أي ميناء بحري محصّن في الخليج الفارسي من قبل أي قوة أخرى ، تهديداً بالغ الخطورة للمصالح البريطانية ، وأنا بالتأكيد سنتصدى له ونقاومه بكل الوسائل المتاحة لنا." وكما كانت البحرين مركزاً لقيادة الاسطول الملكي البريطاني في الخليج أصبحت مركزاً لقيادة الاسطول الخامس الأمريكي لاحقاً. وهذا برهانٌ دامغ على تبادل الادوار بين الامبراطوريتين البريطانية والأمريكية.

وبعد ثورة 1979 الإسلامية بقيادة آية الله الخميني وخلع الشاه ، شجعت الولايات المتحدة وحلفاؤها العراق على أن ينتهز الفرصة ويزعزع نظام الخميني ، وكانت الفكرة تتلخص في أن شط العرب يمكن له أن يصبح ممراً مائياً عراقياً خالصاً ، وكان الرئيس العراقي البكر معارضاً لهذا المخطط بينما أيده صدام ، وأصبح صدام رئيساً في 1979 عندما استقال البكر ، وتمّ إعدام أعضاء حزب البعث المعارضين بعد ذلك بوقتٍ قصير.

جر صدام لمعركة مع ايران

وفي 1980 ، وبوجود رعايا أميركيين محتجزين كرهائن في السفارة الأميركية في طهران ، كانت الولايات المتحدة متلهفة لتوجيه ضربة ضد الثورة الإسلامية، إلا أن محاولة الرئيس كارتر لتحرير الرهائن بعملية خاصة انتهت بكارثته ، وفي هذه الأثناء كان شيوخ النفط في الخليج متخوفين من تهديد الثورة لهم بالخلع ، في مصير مماثل لمصير المشاه .

كان صدام حسين الآن قد ألغى اتفاقيته حول شط العرب ، فحرضت إيران على خلعه والانقلاب عليه. كذلك راجت ادعاءات حول قيام إيرانيين بمحاولات اغتيال لمسؤولين عراقيين . إلا أن ما رجع الكفة نحو حربٍ شاملة إنما كان الموافقة الضمنية لواشنطن على أنشطة صدام المعادية لإيران ، والوعد الذي قطعه شيوخ النفط والعربية السعودية لتمويل حربه ضدّ إيران . وجاء الإشعار الأخير لبدء الحرب خلال الزيارة الرسمية التي قام بها صدام في 1980 للعربية السعودية ، وهي أول زيارة - إطلاقاً - من رئيس عراقي ، وطبقاً للمحقق الصحفي بوب باري في مقالته " تاريخ أميركي/عراقي مفقود:" .. ويقول القادة السعوديون أيضاً أنهم حثوا صدام على نقل الحرب

إلى النظام الإيراني المتشدد، كما أبلغوه أن قولهم يتضمن " ضوعاً أخضر للغزو من الرئيس كارتر." ¹⁵

وكان أن غزا صدام إيران في 22 أيلول 1980 ، وبعد مضي ستة أسابيع - لا أكثر - على زيارته الرسمية للعربية السعودية .ودارت رحى حرب طاحنة بين العراق وإيران على مدى ثماني سنوات ، وكان الخط الرسمي للولايات المتحدة هو الحياد ، إلا أنه في الواقع بقي وقيماً لمقولة كيسنجر المأثورة والمشهورة بأنه في الحروب يكون هناك - في العادة - رابح وخاسر ، أما في الحرب العراقية الإيرانية فيجب أن يكون هناك خاسران .

حرب اريد بها خاسران

عبر حلفائها أولاً ، ثم بصورة مباشرة ، زودت الولايات المتحدة العراق بالمعلومات الاستخبارية من الأقمار الصناعية ومن مصادر أخرى لتمكينه من إيقاع افدح الخسائر بالإيرانيين ؛ ولكنها وفي نفس الوقت كانت تزود إيران بقطع الغيار وبالأسلحة ، كما تم الكشف عنه في فضيحة إيران/كونترا . كذلك باعت العراق تكنولوجيا ثنائية الاستخدام (يمكن استخدامها لأغراض عسكرية ومدنية) وتم نهب جيوب شيوخ النفط لدفع أثمانها . وفي مقالة نشرتها نيوزويك في عددها المؤرخ 23 أيلول 2002 كشفت عن أن الرئيس ريغان سمح ببيع قواعد بيانات حاسوبية للعراق كان من الممكن استخدامها في تتبع خصومه السياسيين مع شحنات من المواد التي استخدمها في إنتاج الجمرة الخبيثة (الأنثراكس) ، وترسانات من الأسلحة الكيماوية . وبصفته مبعوثاً لريغان ، زار دونالد رمسفيلد العراق مرتين في 1983 و1984 قابل فيهما صدام حسين . وطبقاً للصحفيين موري واس وكريچ أونجر - في مقالة لهما في النيويوركر بتاريخ 11/2-1992 فإنه يُعتقد بأن بوش الأب، أثناء عمله نائباً للرئيس ريغان ، أشار على صدام - عن طريق وسطاء عرب - بتكثيف عمليات القصف الجوي ضد إيران ، في مسعى - على ما يبدو - القصد منه حث إيران على زيادة طلبها من أسلحة مقاومة الطائرات من صنع الولايات المتحدة .

¹⁵Robert Parry, "Missing U.S.-Iraq History", *Consortium News*, February 27, 2003, <http://www.consortiumnews.com/2003/022703a.html>

ومن حيث الرقعة الأرضية ، فإن الحرب الإيرانية العراقية تركت البلدين في ذات الأماكن التي كانوا فيها عندما بدأت الحرب في 1980 إلا أنها تركت الاقتصاد العراقي ممزقاً غارقاً في الديون ، في حين كان يملك فائضاً قدره 30 مليار دولار عند بدء الحرب ، وزيادة على ذلك، قتل أو جرح أكثر من مليون عراقي بينما وقع الكثيرون منهم في الأسر بينما قاست إيران خسائر مماثلة .

وهكذا يبدو أن عبارة كيسنجر قد تحققت : كلا البلدين خرجا من الحرب خاسرين ، وكانت الولايات المتحدة تزيد من وجودها العلني في الخليج في ذات الوقت؛ وإنه في حزيران 1982 قرّر الرئيس ريغان أن الولايات المتحدة ليس بمقدورها السماح للعراق بأن يخسر الحرب لصالح إيران ، ولذا قرّر الرئيس ريغان أن الولايات المتحدة ستفعل كل ما هو ضروري وقانوني لمنع العراق من خسارة الحرب مع إيران ، وكان أن صاغ الرئيس ريغان هذه السياسة بإصدار قرار أمن قومي توجيهي بهذا المعنى في شهر حزيران 1982، وفي هذا النطاق ، فإن شهادة تحت القسم محفوظة في محكمة فلوريدا لها دلالة ذات مغزى كبير، وهذا التصريح تحت القسم من قبل هوارد تيشر - وهو موظف أمن قومي سابق في إدارة ريغان - قد أدرج لدى المحكمة بخصوص محاكمة جنائية في ميامي في عام 1995 . وطبقاً لتيشر فإن هجوم إيران في عام 1982 أقلق واشنطن ، فقرّرت أن تعطي من العون بما يكفي لمنع إيران من كسب الحرب الإيرانية /العراقية . وفي إفادته تحت القسم كتب تيشر: "ولدي معرفة شخصية بهذا التوجيه لأنني شاركت في صياغته مع عضو آخر لمجلس الأمن القومي هو جيف كيمب ، وهذا التوضيح بما في ذلك رقمه المميز يعتبر سرّاً مكتوماً".¹⁶

وقال تيشر "ان هذا التوجيه الذي وقعه ريغان أجاز مساعدة الولايات الخفية لقوات صدام حسين . " .¹⁷

وكان على رأس الجهود الرامية لتسليح العراقيين مدير المخابرات المركزية وليام كيسي ونائبه روبرت جيتس . وطبقاً لتيشر "فقد عرفوا عن ، ووافقوا

¹⁶The Teicher Affidavit, January 31, 1995,
<http://www.informationclearinghouse.info/article1413.htm>

¹⁷Ibid.

على ، وساعدوا في بيع أسلحة وذخائر و مركبات عسكرية من منشأ غير اميركي للعراق".

زيارة رمسفيلد لبغداد

وبخصوص زيارة رمسفيلد لبغداد في 1984 كتب تيشر : " سافرت مع رمسفيلد إلى بغداد ، وكنت حاضراً في الاجتماع الذي أخبر فيه رمسفيلد وزير الخارجية العراقي عزيز عن عرض اسرائيل بالمساعدة . وقد رفض عزيز حتى قبول الرسالة الاسرائيلية لصدّام حسين بغرض المساعدة لأن عزيز أعلمنا بأنه سيعدم على الفور من قبل صدام فيما لو فعل ذلك".¹⁸

وأضاف تيشر :

“وفي 1986 أرسل الرئيس ريغان رسالة سرّية إلى صدام حسين يبلغه فيها أن على العراق أن يصعد من حربه الجوية ومن قصف إيران ؛ وقد سلّمت هذه الرسالة من قبل بوش نائب الرئيس ، والذي أبلغها للرئيس المصري حسني مبارك ، والذي بدوره مرّر الرسالة إلى صدام حسين . وكانت مشورات مماثلة ذات طبيعة استراتيجية وعملياته تمرّر للرئيس صدام حسين خلال اجتماعات مختلفة مع رؤساء دول أوروبيين وشرق أوسطيين. ولقد قمت بصياغة نقاط مباحثات بوش في اجتماع 1986 مع مبارك ، كما حضرت شخصياً اجتماعات عديدة مع رؤساء دول أوروبية وشرق أوسطية، حيث كانت تبلغ المشورة الاستراتيجية العملية“. وقد هاجمت إدارة كلينتون تيشر وشهادته ، ثم ما لبثت أن أعلنت شهادته وثيقة سرّية؛ وبذا حفظت تحت خاتم المحكمة.

توسعة قوات الولايات المتحدة في الخليج

وبدءاً من العام 1983 تمّ توسعة قوات الولايات المتحدة ، وعرضت أن تقوم بمرافقة ناقلات نفط الكويت خلال حرب العراق/إيران ، وحشدت الولايات

¹⁸Ibid.

المتحدة 24 سفينة حربية رئيسية و 16,000 جندي تحت ذريعة المرافقة والحماية هذه ، وبالاسم الرمزي إيرنست ويل . وبعد التحاقه بمهمته الجديدة التحق شوارزكوف بمدرسة الخدمة الأجنبية في آرلنجتون بفرجينيا ، وقد أعجب بمهمته الجديدة في حماية تدفق النفط من 'الخليج الفارسي' ، والذي يعتبر مصدراً لثلثي الاستهلاك السنوي لليابان ، وعشر استهلاك الولايات المتحدة ، و30 بالمائة من استهلاك أوروبا الغربية ، و65 بالمائة من الاحتياطي المثبتة في العالم . وكان الإجراء الأول لشوارزكوف هو دراسة تاريخ الرئيس العراقي صدام حسين ونمطه السيكولوجي ، وكذا دراسة الألة العسكرية العراقية .

الولايات المتحدة في وضع فريد

وفي 1990 وجدت الولايات المتحدة نفسها في وضع فريد : لقد كانت القوة المطلقة الوحيدة في العالم بعد الانفجار الذاتي للاتحاد السوفيتي ، وأضحى الوقت ناضجاً لخلق العولمة الاقتصادية وتوسيع " خطة المنطقة الكبرى " لتشمل العالم بأكمله ، " فإما الآن وإما فلا " .

وأصبح لدى الولايات المتحدة الآن - بصفتها القوة المطلقة الوحيدة - سبب أكثر من أي وقت مضى للسيطرة على النفط.

- ففي عام 1989 استوردت 45 بالمائة من نفطها ، كما أشارت دراساتها الى أنه ربما كان عليها أن تستورد أكثر من 65 بالمائة من فطها مع نهاية عقد التسعينات من القرن العشرين.
- حوالي 40 بالمائة من عجز الميزان التجاري للولايات المتحدة عام 1989 ناشيء عن وارداتها النفطية ، حيث أن الطاقة النووية تعتبر عملياً غير موجوده كمصدر تزويد للطاقة في الولايات المتحدة -اذ تقف عند حد 7 بالمائة فقط. وفي 1989 كان النفط مسؤولاً عن تزويد ما نسبته 41,9 بالمائة من الطاقة ، بينما كان الغاز مصدر 24 بالمائة منها ، والفحم وفحم الكوك مصدر 23,3 بالمائة ، والطاقة المائية 3,5 بالمائة والمصادر الأخرى 0,5 بالمائة .

- يمكن الآن "مساعدة" جمهوريات آسيا الوسطى وبحر الخزر لتحقيق "الاستقلال" ، وبذا يمكن تأمين احتياطاتهم النفطية الضخمة والسيطرة عليها . هل كان مجرد صدفة أن تقوم المؤسسة الأميركية - عبر سحر إعلامها وتسويقها - بتسليم السلطة إلى فريق يملك خبرة نفطية من الطراز الأول ، ويتكون من خبراء مجربين عبر عقد التسعينات من القرن العشرين ، والذي ستشن فيه عمليات عسكرية سرية تحت هذا المسمى أو ذاك ، لإتمام دورة السيطرة الأميركية على موارد النفط؟! إنه لأمر يجدر بصاحب نظرية المؤامرة أن يتأمله ويفكر فيه!!
- جورج بوش ، لا يفهم النفط فقط ، وإنما ملك - في وقت ما - شركة نفط ؛ وهو على دراية بهذا العمل ، ولذا فهو مؤهل للغاية لوظيفة مدير عمليات السيطرة على نفط العالم ، إلى جانب أنه - في وقت ما ايضاً - كان مسؤولاً عن إدارة وكالة الاستخبارات المركزية ، ولذا يعتبر واحداً من أيقونات ورموز مؤسسة الأمن القومي الأميركي.
- وكذلك كان ديك تشيني وزير الدفاع ، أحد شخصيات المؤسسة لوقت طويل ، ومما يدعو للسخرية أنه بعد مغادرته واشنطن أصبح رئيساً تنفيذياً لشركة خدمات نفطية مقرها تكساس. ومن المفيد بيان ان تشيني عضو بارز في مجلس العلاقات الخارجية وقوى الظل الاخرى.
- كولن باول - رئيس الأركان - كان عضواً في مؤسسة الأمن القومي ، كما سبق له وعمل مستشاراً للأمن القومي أيضاً .
- برنت سكوكروفت ، مستشار الأمن القومي .. كان نائباً لهنري كيسنجر في سنوات نيكسون ، وحتى عندما كان خارج الحكومة .. كان يعمل لحساب مشاركي كيسنجر.
- وهؤلاء الناس المؤهلون .. بمقدورهم الاسهام في سرٍّ مشترك، وكان هذا السرّ هو إقامة نظام عالمي جديد لفترة ما بعد الحرب الباردة .. مؤداه جعل سيطرة الولايات المتحدة على النفط العالمي في قمة أولوياته.

ضائقة اقتصادية وشعور بالخذلان

من المرجح تماماً أن احتلال الكويت وحرب الخليج في 1991 انما كانتا نتيجة للحرب الايرانية العراقية .

شعر صدام بأن شيوخ النفط مدينين له بالكثير خلال الصراع مع إيران، ولاسترداد عافية اقتصاده أراد منهم شطب ديون العراق ، إلا أنهم لم يكونوا راغبين في عمل ذلك ، فطلب من الكويت قرضاً بقيمة عشرة بلايين دولار إلا أنها رفضت ولقد كان تحريك صدام لقوات جنوباً صوب الحدود الكويتية ظاهراً، ليس فقط للأقمار الصناعية الأميركية ، وانما حتى للمراسلين الغربيين. إلا أن صدام كان قد تم تضليله من قبل إبريل جلاسبي سفيرة الولايات المتحدة لدى بغداد ، حيث أبلغته أن الصراعات العربية/العربية لم تكن لتعنى الولايات المتحدة . وعندما سئل أحد رسمي الإدارة في الكونجرس عن رد فعل أميركا فيما لو تم غزو الكويت أجاب : " لا توجد لدينا اتفاقية دفاعية للدفاع عن الكويت ." لم يكذب هذا المسؤول لكنه قال نصف الحقيقة.

ووقع صدام بالمصيدة !!

" كل ما تحتاجه هو نظرة واحدة على الخريطة ، فليس من المصادفة أن تكون خرائط الحرب على الإرهاب وخرائط دول النفط متطابقة تماماً . "

2002 Asia Times سنة

الفصل العاشر

خطوة فخطوة : من السيطرة إلى الاحتلال
عقد التسعينات من القرن العشرين:
"وداعاً يا قومية عربية" ونظام عالمي جديد

الجزء الثالث

حينما غزا العراق الكويت واصطفت جيوشٌ عربية لتحارب
أخرى وانتقلت الحرب العربية / العربية الباردة الى حرب عربية /
عربية ساخنة في جبهات القتال قال عندها وزير الخارجية الفرنسي
"وداعاً يا قومية عربية"

العراق يغزو الكويت

غزا العراق الكويت ، وهي بلد ينتج 2,1 مليون برميل من النفط
يوميّاً ، وبين أشياء أخرى ادعى العراق بأن الكويت كانت تضخ نفطاً
أكثر مما هو مقرر لها بموجب كوتا أوبك ، وتبيعه بسعر أدنى من
الأسعار المعلنة مكبّدة العراق مليار دولار من الخسائر في العام
مقابل كل دولار هبوط في السعر ، كما كانت تضخ النفط من حقل
الرميلة عبر آبار موجهة ، وهذا الحقل كان - في معظمه - يقع تحت
أرض عراقية ، وبهذا يمكن للمرء أن يفترض بأن إغراق الأسواق
العالمية بالنفط قبيل حرب الخليج لم يكن فعل مصادفة ، وفي الحقيقة
أنه كان مؤشراً على أن المخطط بكامله ودراما الغزو العراقي ،

كانت قد افتعلت لحشد 500,000 جندي أميركي في خطة خطوة .. فخطوة، بهدف السيطرة على نفط المسلمين والشرق الأوسط ، بعد أن كانت البنية التحتية اللازمة لمثل هذه القوات الضخمة قد تم إنجازها في عقد الثمانينيات، فيما لم يكن إنتاج ما قبل الغزو العراقي وزيادة المخزون النفطي .. الا عملية تحضير للأسواق العالمية لاحتمالية مقاطعة النفط العراقي والكويتي ، وبما يمنع ارتفاعات حادة في أسعار النفط كنتيجة لذلك . وكانت المناورات والخطط العسكرية لحرب عاصفة الصحراء قد أعدت في معظمها في السبعينيات طبقاً لما ذكرته مجلة فورتن - وبوضوح - في عددها تاريخ 15 أيار 1979. واستخدمت الولايات المتحدة الأمم المتحدة، كمركبة مفيدة لدبلوماسيتها الخاصة بغزو الكويت، على الرغم من أن الولايات المتحدة - وهي أغنى بلد في العالم - (والتي كانت أيضاً وقتها أكثر البلدان مديونية في العالم) ، كانت متخلفة عن دفع مستحققاتها للأمم المتحدة ! وتم تأمين القرارات اللازمة للتدخل ، وكان بمقدور الولايات المتحدة استخدام نفس النفوذ لوقف الغزو قبل حدوثه ، وكان بمقدورها فعل ذلك بمجرد تحذير يوجهه دبلوماسي درجة ثالثة في وزارة خارجيتها .

حرب دفع العرب تكاليفها

وكانت حرب الخليج فرصة للولايات المتحدة للتخلص من فائض مخزونها من السلاح ، مثلما كانت فرصة لاختبار نظم أسلحة جديدة . وتم دفع معظم أثمان هذه الأسلحة من قبل الدول العربية المنتجة للنفط وكان العراق مسرحاً لكل هذا ، حيث أن من كتب سيناريو حرب الخليج الأولى لا بد وأنه كاتب أفلام لهوليوود من الطراز الأول فأصحاب هوليوود هم أنفسهم اصحاب النظام العالمي .

ينطوي أحد المعالم الجديدة للنظام العالمي الجديد على إشراك ثاني وثالث أكبر اقتصاديات العالم أي اليابان وألمانيا في الحروب الاميركية ، حيث طلب اليها تحمل جزء من نفقات هذه الحروب ، لا بل إرسال جنود ؛ وعندما احتجت اليابان بأن دستورها - والذي وضعته لها أميركا نفسها (بعد الحرب العالمية الثانية) - لا يسمح لها بالاشتراك في مثل هذه الحروب، تم إبلاغها بأن الدساتير يمكن تعديلها . وكانت حرب الخليج، فريدة من نوعها

في التاريخ من حيث تم دفع كامل تكاليفها من قبل آخرين وليس من قبل المستفيد الاول.

وتحت مظلة الأمم المتحدة ، شنت الولايات المتحدة الأميركية حرباً ، على بلد من العالم الثالث ، تعداد سكانه 17 مليوناً .. ويا للهول .. تصوروا .. انتصرت ! وتمّ إبلاغ الشعب الأميركي بأنه في مقدوره الآن دفن ظاهرة الأعراض الفيتناميّة ، والتي جلبتها عليهم حرب كبدهم ما قارب 250,000 جندي أميركي خسروا أرواحهم أو جرحوا فيها . ومع نهاية حرب الخليج في 1991 كان كل شخص في الشرق الأوسط والكثيرون ممن انضموا إلى هذه الحرب قد خسروا ، كذلك انخفض سعر النفط إلى مستويات أدنى من تلك التي كان عليها في سنوات ما قبل 1973 (بدولارات 1973 الثابتة) .

وعود كاذبة

ومن أجل الترويج للحرب ، دافعت الولايات المتحدة ، عبر جيمس بيكر ، وأيدت إنشاء " صندوق تطوير الشرق الأوسط " ، بمساهمة سنوية قيمتها 15 مليار دولار تدفعها الدول العربية المنتجة للنفط ، حتى يصبح بالإمكان توزيع الثروة النفطية بصورة أكثر عدلاً ، وتمّ التلّهي والعبث بهذه الفكرة في دمشق من قبل عرب تحالف عاصفة الصحراء ، وذهبت هذه والقرارات الناشئة عن اجتماع دمشق أدراج الرياح قبل أن يجف حبرها وفور انتهاء العمليات العسكرية لحرب عاصفة الصحراء ، وتركت فواتير الحرب التي قدّمتها الولايات المتحدة للدول العربية المنتجة للنفط ، وفواتير شراء فائض السلاح الأميركي اللاحقة ، لمواجهة التهديد العراقي الوهمي والذي استعمل كذريعة مناسبة ، تركت خزائن تلك الدول خاوية دون أن يتبقى لديها شيء تتبرع به أو توزعه.

ووجدت دول الخليج نفسها وقد استنزفت الحرب موجوداتها الاقتصادية ، وكان على حكوماتها إلغاء أعدادٍ من مشاريعها الرئيسية ، كما انهارت أسواق أسهمها ، وتم سحب نسبة هامةٍ من ودائع البنوك من قبل المواطنين المذعورين ، وكان على الحكومات أن تضخ البلايين في نظمها المالية للحيلولة دون أن تنهار ، ومن أجل إعادة إسكان السعوديين الذين فروا من المنطقة الشرقية أثناء الحرب ، ومن أجل الإنفاق على 200,000 كويتي

قدموا إلى السعودية بعد احتلال الكويت، ولتغطية نفقات هجرة العمال الأجانب الجماعية، كان عليها أن تنفق قرابة 4 بلايين دولار، ومن أجل "تهيئة وتحضير" المملكة للحرب، أنفقت العربية السعودية 13 مليار دولار على الأقل حتى نهاية عام 1990، وكان المخطط يقضي بإنفاق قرابة 17 مليار دولار تدفعها العربية السعودية لتخزين أسلحة في المملكة، كما وافق الملك فهد في أيلول 1990 على تغطية نفقات القوات الأميركية المرسلة إلى عاصفة الصحراء " بالكامل داخل البلد"، حيث زعمت الولايات المتحدة أن هذه القوات إنما أرسلت لحماية المملكة السعودية، وقدرت نفقاتها بـ 500 مليون دولار شهرياً، وعندما اندلعت الحرب تعهد الملك بـ 13,5 مليار إضافية لتغطية نفقات الحلفاء العسكرية وحتى آذار 1991، كما تعهد الملك فهد بالإسهام بـ 3-4 مليار دولار إلى صندوق خزينة أمريكي خاص لمساعدة أقطار مثل تركيا على مواجهة أعباء ونتائج الحظر الذي فرضته الأمم المتحدة على العراق، وأعطت العربية السعودية بالاشتراك مع الكويت 1,5 مليار دولار لمصر، كما شطبت 6,6 مليار دولار مما لها عليها من ديون، كما تم دفع مليار آخر لسوريا. هذا الكرم الحاتمي كان يتم بواسطة اموال نفطية عربية.

وقبل الحرب كان معدل إنتاج النفط السعودي 5,6 مليون برميل في اليوم، وبعد الحظر على خام العراق ثم رفع الانتاج إلى 8,7 مليون برميل، منها 300,000 برميل يتم تزويدها للقوات الحليفة يومياً، وهي كمية تعادل أكثر من ثلاثة أمثال الاستهلاك اليومي للأردن. وكانت الأموال التي تم جنيها نتيجة ارتفاع أسعار النفط إنما ربحها مضاربو نيوويورك وليس البلدان العربية المنتجة، حيث كان النفط يباع بموجب عقود طويلة الأجل؛ وكمثال كانت السعودية تتقاضى 28 دولاراً للبرميل، والتي منها كلفة الإنتاج والشحن، بينما كان سعره في بورصة نيوويورك التجارية 40 دولاراً للبرميل.

نتائج كارثية للحرب

وكان لول ستريت والممولين العالميين يومهم وفرصتهم أيضاً، كنتيجة للحرب، عندما تم سحب 13,7 مليار دولار من وحدات مصارف الأوف شور للبحرين، أي ما يعادل 21 % بالتمام من كامل موجوداتها، بينما كانت

بنوك الكويت قد اوقفت عملياتها نهائياً خلال فترة الاحتلال ، بينما بلغت المسحوبات في الإمارات العربية المتحدة 21% من مديونيتها .

وقبل الحرب كانت دول الخليج تستخدم عدداً كبيراً من المغتربين العرب ، والتي كانت تحويلاتهم المالية تشكل مصدراً رئيسياً من العملة الصعبة لبلدانهم ، وكان سيناريو الحرب الذي نشرته مجلة فورتشن عام 1979 قد ارتأى إبعاد و ترحيل الفلسطينيين واليمنيين عن الخليج في أول فرصة سانحة باعتبارهم يشكلون مخاطرة أمنية ، وحين تمّ التنفيذ أثناء حرب الخليج و في فترة زمنية قصيرة تالية لها ، سبب ذلك الكثير من المصاعب لمئات الآلاف من الفلسطينيين واليمنيين ، وكذلك لبلدانهم التي شهدت خفصاً جسيماً في تحويلات مغتريبيها والتي كانت تشكل واحداً من أكبر المصادر لعائداتها القومية ، وبدلاً من مشروع " تنمية الشرق الأوسط " والذي كانت الولايات المتحدة قد وعدت به قبل الحرب ، تفاقم الفقر والبطالة والتفاوت في الثراء ، كما تم تشجيع حرب باردة عربية/عربية. وبعد غزو العراق للكويت في 1990 ردّت الولايات المتحدة بهجوم ذي شعبتين إحداها اقتصادية والثانية على شكل هجوم عسكري ، وبمجرد انقضاء أيام قليلة على غزو القوات العراقية للكويت وتحت ضغط واشنطن ، فرض مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة أقصى عقوبات اقتصادية كان وافق عليها في تاريخه ، بما في ذلك تضمينها عقوبات على كافة الواردات الغذائية .

حرب غير متكافئة

وكان الإجراء العسكري ذي تركيز ساحق ، ففي 16 كانون الثاني 1991 ، أطلق البنتاجون العنان لستة أسابيع من قصف جوي وبحري متواصل ودون هواده .. وأسقطت طائرات من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا وكندا وبلدان أخرى 88,500 طنّاً من القنابل، مدمرة بذلك بنية البلد التحتية ، بما في ذلك المصانع والجسور ومحطات القوى الكهربائية ومنشآت الريّ وأنظمة المجاري وكلّ شيء آخر ضمن نطاق القصف ، ثم أتبع ذلك بأربعة أيام من " الحرب البرية " .

وعندما زار مارتي أهتيساري - المقرّر الخاص للأمم المتحدة ورئيس فنلندا فيما بعد - العراق بعد حرب الخليج مباشرة ، كتب يقول : " لم يكن ممكناً

لأي شيء كنا قد رأيناه أو قرأناه تهينتنا لهذا النوع المتميز من التدمير والتخريب.. بلد تمّ الاجهاز عليه وردّه إلى ما قبل العصر الصناعي وإلى فترة طويلة قادمة.¹⁹، وتكون الولايات المتحدة بذلك قد أنجزت هدفها. وكان وزير خارجية الولايات المتحدة في ذلك الوقت جيمس بيكر الثالث ، قد وعد - بذلك تماماً - طارق عزيز نائب الرئيس العراقي والمفاوض الرئيسي في جنيفاً ، قبل أيام قليلة من الغزو.

ما هي أهداف الولايات المتحدة؟

إلا أن السؤال لا بدّ أن يُسأل : إذا كانت الولايات المتحدة معنية حقيقة بمجرد دحر القوات العراقية وإخراجها من الكويت .. فلماذا اذن انغمست وبمثل هذا الإفراط في تدمير البنية التحتية المدنية للعراق؟!.. وإذا كان الهدف هو الإطاحة بصدّام حسين عن السلطة ، الأمر الذي كان بمتناول يدهم بعد الحرب ، فلماذا اتخذت الولايات المتحدة فجأة سياسة خلفاً دُر؟!.. لذا يتبين أن حشد القوات الأميركية والحليفة لم يكن مكرّساً للإطاحة بصدّام ، وإنما - و بالنتيجة - للحفاظ عليه في السلطة .. لماذا؟!!

في 1991 دعا بوش الأب شعب العراق للإطاحة بصدّام ، ولم يكن - على كل حال - يوجه دعوته للأكراد أو للشيعية أو إلى أية قوى ديموقراطية ، وإنما .. إلى الجيش العراقي أو إلى حزب البعث ، وأوضح وليم وبستر المدير السابق لوكالة الاستخبارات المركزية ذلك بالقول : " لو أننا كنا محظوظين فإن الجنود في جيشه أو الكوادر في حزبه كانوا تحركوا للقضاء عليه".²⁰ وكانت مخاوف واشنطن من ثورة شعبية على ما يبدو أكبر كثيراً من رغبتها في التخلص من صدّام.

¹⁹Felicity Arbuthnot, "Crimes in Iraq: Lest We Forget – Thirteen Years of Sanctions", August, 4,

2004, http://www.islamonline.net/english/In_Depth/Iraq_Aftermath/2004/04/article_03.shtml

²⁰Abdulhay Y. Zalloum, *Oil crusades: America through Arab Eyes*, Pluto Press, 2007, 44

لقد كان المحرك الدافع لحرب الخليج – والتي هي افضع ممارسة وحشية للقوة الاستغلالية ، فرض على أي بلد أن يقاسيها في التاريخ الحديث- لقد كان هذا المحرك الدافع .. وبكلمة واحدة .. النفط . وحرب الخليج لم تكن سوى البداية فقط، فالولايات المتحدة ، والتي تتفوق على العراق بشكل ساحق سواءً من حيث السكان أو القوة الاقتصادية ، ارتأت شن حربين أخريين ضد هذا البلد المنتمي إلى العالم الثالث ، والذي صورته واشنطن وإعلام شركاتها على أنه قوة عملاقة مؤذية وضارة!

حرب مناطق حظر الطيران (حرب الخليج الثانية)

وكانت حرب الخليج الثانية هي ما يمكن نعتة " بحرب مناطق حظر الطيران " والتي زُعم بأنها إنما بدأت لحماية الشيعة في الجنوب والأكراد في الشمال ، وعلى كلّ .. فأولئك الذين يعرفون مواقع حقول النفط العراقي ومنشآت إنتاجه كما أعرفها ، فانه لن يكون من الصعب عليهم الاستنتاج .. بأنه ليس من قبيل المصادفة أن منشآت إنتاج النفط إنما كانت تقع في " مناطق حظر الطيران " .

وخلال هذا الصراع الذي دام من نهاية حرب الخليج الفعلية في 1991 وحتى 2003 فإن جميع وسائل الدفاع الجوي والدفاعات الأخرى في هذه المناطق قد تمّ تدميرها من قبل القوات الجوية الأميركية والبريطانية . وعلى الرغم من تجاهلها وعلى نطاق واسع من قبل وسائل الاعلام الأميركية والبريطانية فقد تصاعدت هذه الحرب بوتيرة ثابتة ، ففي كانون أول 1998 ، على سبيل المثال ، تم شن هجوم ضخم ولأربعة أيام تحت اسم " ثعلب الصحراء " ، وخلال الأشهر الثمانية الأولى من 1999 ، أطلقت القوات الأميركية والبريطانية 11000 قذيفة وصاروخ ضد 359 هدفاً عراقياً طبقاً لما أوردته صحيفة نيويورك تايمز في مقالة لها بتاريخ 13 آب 1999.

ومع نهاية التسعينات كان قد تم حشد 22000 عسكري أميركي و200 طائرة عسكرية و 19 سفينة حربية . ومن المعتقد ان 500.000 طفل عراقي قد قضوا نحبهم في هذه الحرب كنتيجة مشتركة للنتائج الصحية الناجمة عن

العقوبات وعن الضربات الصاروخية ، وعندما سئلت مادلين أولبرايت وزيرة خارجية الرئيس كلنتون عما إذا كانت متابعة أميركا لأهدافها تستأهل هذا الثمن ، كان ردّها البذيء " أعتقد أن هذه مفاضلة صعبة ، إلا أن الامر - كما أعتقد- يستأهل هذا الثمن " 21.

الحرب الثالثة - حرب الاحتلال الفعلي -

في الساعة 05:34 بتوقيت العراق من صباح 19 مارس 2003, بدأت الحرب الثالثة - حرب الاحتلال الفعلي - على العراق بشن طائرات الستيلث والسفن الحربية هجوماً صاروخياً على أهداف في بغداد. وفي الخامس من ابريل توجت القوات الغازية عملية الصدمة والرعب (أعيدت تسميتها لاحقاً لتصبح عملية الحرية) بدخول الأمريكيين بغداد.

المحطة التالية... آسيا الوسطى

بإعلانها الحرب على الإرهاب, تكون واشنطن قد وسعت من دائرة استراتيجيتها العسكرية السرية الرامية للسيطرة على النفط في العالم. كما أن حروب أمريكا العالمية حالياً (الحرب على الإرهاب) تهدف إلى خدمة فئة معينة وليس الأغلبية الساحقة من الأميركيين.

بدأت حرب بوش على الإرهاب - والتي هي في المقام الأول, وبصورة لا تخفى على أحد ، حرب من أجل النفط - رسمياً بعد 11 سبتمبر 2001... فهل هي محض مصادفة أن تكون الدول المستهدفة هي تلك التي تتمتع باحتياطات نفطية هائلة ، أو من تلك التي تصلح لاستضافة خطوط النفط عبر أراضيها ؟ فهناك شبه إجماع على أن الهدف من مهاجمة أفغانستان كان لتأمين السيطرة على احتياطات بحر قزوين - أكبر احتياطات نفطية غير مستغلة خارج الشرق الأوسط - وتوفير الحماية لخطوط الأنابيب المقرر مدها من دول بحر قزوين إلى تركيا ، وهو المشروع الذي تم الاتفاق عليه عام 2004.

²¹60 minutes interview that aired on May,12,1996, CBS television program

بتاريخ 27 مايو عام 2002 علقت مجلة البيزنس وويك على هذه الظاهرة، واصفة بناء الوجود الأمريكي في آسيا الوسطى بعد 11 سبتمبر بأنه " جهد يأخذ بالأنفاس"²²، وأشار تقرير المجلة إلى حقيقة أنه " قبل عام واحد فقط لم يكن هناك جندي أمريكي واحد في المنطقة ، أما اليوم فإن ما لا يقل عن أربعة آلاف جندي أمريكي يعملون على بناء سلسلة من القواعد على طول حافة منحدر قاس بطول 2000 ميل، يمتد من قرقيزستان على الحدود الصينية إلى جورجيا على البحر الأسود... وعلى الأغلب فإن القوات الأمريكية ستبقى هناك طالما تطلب الأمر ذلك ، على حد قول وزير الدفاع دونالد رامسفيلد".

ومما جاء في مقالة البيزنيس وويك القول بأن «المؤشرات على أن الولايات المتحدة تخطط لبقاء طويل الأمد في المنطقة كثيرة ومن ذلك الارتفاع الكبير الذي طرأ على حجم الاستثمارات الأمريكية هناك، والتي وصلت إلى 20 مليار دولار، مع إعلان كبرى الشركات النفطية عن استثمارات إضافية جديدة (بريتيش بتروليوم وهالبرتون وحدهما أعلنتا عن تخصيص 12 مليار دولار لهذا الغرض). وأضاف التقرير "بأن السياسة الأمريكية هناك تقوم على السلاح والنفط - السلاح الذي سيخصص لحماية المناطق المحلية من الأصوليين الإسلاميين، بالإضافة إلى حماية النفط."

وطبقاً لتقديرات الخبراء، كما يقول التقرير، فإن احتياطات بحر قزوين النفطية تصل إلى 200 مليار برميل، أي ما يعادل حجم الاحتياطات السعودية، في حين يرى البعض بأن هذا الرقم قد ينخفض إلى النصف ، ومع ذلك يظل يشكل مصدرًا لا يستهان به ، بحيث لا يقل عن احتياطات بحر الشمال ، وقد تصل قيمة نفط قزوين بالأسعار الحالية إلى 2,7 تريليون دولار... في غضون ذلك أرسلت وزارة الدفاع الأمريكية 150 مدربًا عسكريًا إلى جورجيا ، التي سيمر أنبوب نفط بحر قزوين عبر أراضيها بطول ألف ميل، حاملاً الإمدادات إلى موانئ التصدير التركية.

²²"The Next Oil Frontier," Business Week, May 27, 2002.

وهنا لا يختلف اثنان على حقيقة أننا أمام وضع هش في آسيا الوسطى، ويبقى انتظار ما إذا كان هذا المزيج غير المقدس من المدافع والنفط والدولارات هناك سينفجر بالقوة نفسها التي شهدناها في العراق.

ركائز رئيسية لسياسة الامبراطورية الأمريكية

في كتابه المعنون "أمريكا الدينية... مخاطر وسياسات الدين، النفط والقروض" 23 تناول كيفين فيليبس Kevin Philips قضية المزج بين النفط والأمن القومي بالقول: "منذ انتخابات عام 2000، وبخاصة الانتخابات التالية عام 2004، وثلاث عناصر آخذة في تشكيل ركائز رئيسية لسياسة الإدارة الأمريكية وهي:

1. مجمع النفط - الأمن القومي ومصالحه القوية.
2. اليمين الديني المدعوم بقاعدة انتخابية عقائدية واسعة.
3. القطاع المالي المتخصص بالقروض ، والذي يتجاوز كثيراً الرمز القديم الذي يمثله الـوول ستريت".

ويضيف كيفين فيليبس: "لا يقتصر النفط على كونه رمزاً للقوة العالمية للولايات المتحدة، فهو الوقود الفعلي لقوتها العسكرية وهيمنتها الصناعية في القرن العشرين. الواقع أن الوفرة النفطية كانت على الدوم جزءاً من الهدف الذي تحارب أمريكا من أجله، وفي الوقت نفسه هي جزء من السلاح الذي تحارب به..".

²³Kevin Phillips, American Theocracy: The Peril and Politics of Radical Religion, Oil and Borrowed Money (Viking, 2006).

دراسة مادة الحالة 096-383-9 في كلية الدراسات العليا للإدارة في جامعة
هارفارد تقول

" السيطرة على سعر النفط وكمية انتاجه هما من ركائز الامن القومي
الامريكي "

تُنسّق الولايات المتحدة مع العربية السعودية للسيطرة على اسعار النفط. عن
ذلك قال الشيخ احمد زكي اليماني وزير البترول السعودي الاسبق :

«لتدمير دول أوبك الأخرى، يكفي أن ندفع انتاجنا إلى أقصى طاقته، ولتدمير
الدول المستهلكة، يكفي أن نخفض معدلات إنتاجنا»

ولكن يا ترى من يملك القرار الحقيقي لاستعمال "قوة التدمير" هذه ؟

الفصل الحادي عشر

ضجة اعلامية كبرى زيادة الانتاج الامريكي ومستقبل النفط العربي

هل فاق انتاج الولايات المتحدة انتاج السعودية؟

قامت خلال العام 2013 ضجة اعلامية كبرى خصوصاً في الولايات المتحدة والغرب بأن الولايات المتحدة قد فاق انتاجها من النفط انتاج المملكة العربية السعودية ، وأنها قد حققت استقلالها في مجال الطاقة ولم تعد بحاجة الى العربية السعودية . وأن ثورة قد حصلت في مجال تكنولوجيا الطاقة والتي مكنت الولايات المتحدة لتتبوّ مركز الصدارة هذا . فهل هذا صحيح يا ترى؟ أما ان ثورة تكنولوجية قد حصلت خلال العقدين الاخيرين في وسائل انتاج النفط والغاز فذلك أمر صحيح وذلك في مجال الاستكشاف والانتاج في مياه البحر العميقة وكذلك في الانتاج من النفط الجبسي (Tight Oil) ومن صخور الـ Shale . Oil كذلك تم انجازات كبيرة في التحكم بكميات النفط او الغاز الممكن انتاجها من حقل ما (Recoverable oil) وذلك بوضع مجسّات (Sensors) في أجزاء متفرقة من الحقل يتم ربطها مع اجهزة حواسيب تقوم بعمل أدق الحسابات للاستغلال الامثل للحقل وبأعمال المراقبة أيضاً.

ولكن الجزء الثاني من الادعاء بان انتاج الولايات المتحدة من النفط قد فاق انتاج العربية السعودية فذلك غير صحيح . انتاج النفط في الولايات المتحدة بعد كل الاكتشافات الجديدة من Shale Oil بواسطة الوسائل الجديدة من التكسير الهيدروليكي (Fracking) والحفر الافقي هو سنة 2013 حوالي 7.5 مليون برميل ، و 3 مليون من هذا الرقم جاء من استعمال التكنولوجيا الجديدة آفة الذكر من استكشاف وانتاج البترول من طبقات الـ Shale Oil لكن المغالطة الاتية من الصحافة الغربية المعادية دوماً لاي خير عربي أو اسلامي هو أن مجموع ما تم انتاجه سنة 2013 من مواد هايدروكاربونية من نفط وسوائل مصاحبة للغاز وكذلك الميثانول المنتج من النباتات يساوي أو ربما زاد بكمية لا تكاد تذكر عن انتاج النفط السعودي تقدر بـ 300 الف / برميل. ومجموع انتاج المواد الهيدروكاربونية الامريكية ياتي من:

- 7.4 مليون برميل من انتاج البترول بما في ذلك حوالي 3.2 مليون برميل من نفط الـ Shale Oil.
- 2.5 مليون برميل من السوائل الخفيفة المصاحبة لانتاج الغاز من ابار الغاز.
- 1.0 مليون برميل من البيوفويل (Biofuel) من الميثانول المنتج من المنتجات الزراعية.
- 1.3 مليون برميل من اتحاد الهيدروجين مع السوائل النفطية المكررة بواسطة عمليات (الهدرجة) في مصافي التكرير. المجموع لاعلاه هو 12.2 مليون برميل مقابل 11.9 مليون برميل نفط . إن انتاج السعودية للنفط فقد كان 11.9 مليون برميل مقابل 7.4 مليون برميل بترول للولايات المتحدة . علماً بان السعودية ستزيد طاقتها بسهولة بـ 2 مليون برميل يومياً خلال السنتين القادمتين . إذا أضفنا سوائل الغاز و الكميات الناتجة عن اتحاد الهيدروجين في عمليات التكرير للانتاج النفطي لاصبح المجموع يزيد عن مجموع المنتجات الهايدروكاربونية المنتجة في الولايات المتحدة .

وسوف نأخذ بجميع العوامل المختلفة لنبيّن ان اعتماد الولايات المتحدة على النفط العربي سيبقى ما بقيت امريكا أو ما بقي النفط العربي قبل ان ينضب ، أيهما اول . فالنفط بالنسبة للولايات المتحدة هو طاقة ، وانتاجها لن يغطي استهلاكها الى الان ولا في المدى المتوسط ولا حتى البعيد ، وكذلك فالبترول المدفوع ثمنه بالدولار هو غطاء دولاراتها وهو عماد نظامها المالي

كما بيّنا في فصل سابق . كذلك فليس هناك مقارنة ما بين احتياطي الولايات المتحدة واحتياط دول المنطقة العربية .

تصاعد كلفة الاستخراج والانتاج من المياه العميقة

حيث أن انتاج النفط من اعالي البحار يُمثل ثاني أكبر مصدر لانتاج النفط الأمريكي الى ما قبل الاستخراجات الحديثة فسنضرب مثلاً على التسلسل في صعوبة وكلفة الانتاج الأمريكي حتى من النفط التقليدي من أعالي البحار . في صباح 2010/4/20 أقلعت طائرة هيلوكبتر من ساحل ولاية لويزيانا وعلى متنها فريق من مديري شركة البترول البريطانية BP وشركة ترانس أوشن الشركة المالكة للحفارة البحرية العملاقة عالية التقنية Deepwater Horizon ديب ووتر هورازين والتي كانت تنهي اخر اعمالها الروتينية فوق البئر البحري ماكوندو (Mocondo) . كانت الحفارة البحرية ديب ووتر هورازين مستأجرة من شركة BP منذ أن انتهى بناؤها قبل 9 سنوات حيث قامت بحفر العديد من الابار العميقة حتى عمق 35000 قدم . أما في ذلك اليوم فكانت الحفارة قد انتهت من حفر البئر البحري فوق مياه عمقها 5000 قدم ، وكان المدراء المشار اليهم اعلاه قد ذهبوا لتهنئة طاقم الحفارة على سجل السلامة التي رافقت عملياتها منذ انطلاقتها قبل 9 سنين . عمق البئر ماكوندو الاخير كان 13000 قدم تحت ارض. البحر في خليج المكسيك وعلى بُعد (66) كم في عرض البحر بعيداً عن الشاطئ. كان على الحفارة أن تغلق البئر بالاسمنت ، وهو اجراء روتيني ، لتنتقل إلى موقع آخر ويحل محلها ناصية الانتاج لبدء انتاج وضخ البترول من البئر إلى اليابسة فالاسواق. في الساعة 9:41 من مساء اليوم نفسه أتصل ربّان سفينة كانت على مقربة من الحفارة برّبان الحفارة ديب ووتر هورازين يعلمه بأنه يرى طيناً يندفع بقوة شديدة فوق الحفارة . أعلمه طاقم الحفارة بأنهم يواجهون صعوبات وعليه الابتعاد ما أمكن عنهم .

أتصل قائد الحفارة بإدارته وأعلمهم أنهم يواجهون صعوبات حيث أن البئر قد انفجر - خط الدفاع الاخير كان محاولة الاطباق على الانبوب الخارج من البئر بواسطة جهاز اسمه مانع الانفجار- وهو كماشه تطبق على الانبوب وتغلقه تماماً. وزن هذا الجهاز 450 طن وطوله يوازي طول عماره من خمس طوابق يتم وضعه على سطح أرض البحر لاستعماله في مثل هذه

المهات . تم اغلاق انبوب فتحة البئر ، ولكن بقيت فتحه حوالي 3 سنتيمتر لم يتمكن من اغلاقها .

في الساعة 9:47 بدء الغاز يتدفق من البئر وفي الساعة 9:49 شراره ما فجرت الغاز وطار جزء من الحفارة العملاقة وأحاطت النيران الحفارة من كل اتجاه . وبعد يومين غرقت وأصبحت أثراً بعد عين. مات (11) من الـ 126 من العاملين على الحفارة وجرح آخرون.

في مقابل هذا كله عمق البئر الاول الذي تم حفره في ولاية بنسلفانيا سنة 1859 كان (69) قدم فقط . وكان على مقربه من سيل جاري له أثار نفط من الشقوق الصخرية المجاورة . وبدأت الشركات تبحث عن النفط وتحفر إلى أعماق أكثر فاكثرت كلما تقدم الزمان حتى أن كافة الاكتشافات الارضية المهمة كانت قد اكتشفت بحلول السبعينات من القرن الماضي. وتزداد الكلفة مع الأيام سواءاً للتكنولوجيا الأكثر تعقيداً كلما خرجنا عن خانة البترول التقليدي والرخيص كالانتاج العربي إلى الانتاج من اعالي البحار كما في حالة الديب ووتر هورازن في خليج المكسيك والذي تُشكل 90% من الاكتشافات الامريكية الحديثة قبل الانتاج الاخير من منطقة الـ shale oil. ولكي نكوّن فكرة عن كلفة الاستخراج من هذه المياه العميقة فإن الاجرة اليومية التي تدفعها BP إلى أصحاب الحفارة كانت حوالي نصف مليون دولار في اليوم، كما أن كلفة تشغيل الحفارة لليوم الواحد هي ايضا بحدود نصف مليون دولار وكلفة حفارة مشابهة بتاريخ غرقها حوالي مليار دولار . وزن الحفارة القائم كان 32588 طن والوزن الصافي 9778 طن. وكانت مزودة بأحدث نظم المعلومات التي تبث مباشرة كافة المعلومات الفنية اثناء الحفر الى مركز القيادة في الحفارة نفسها وايضاً إلى مركز القيادة الفني في مقر الشركة في هيوستن تكساس.

بالاضافة إلى كلفة الايجار والتشغيل للحفارة البحرية اعلاه بحدود المليون دولار يومياً فإن نتائج مثل هذه الحوادث كارثية تستطيع أن تهز كيان شركة مثل BP والتي هي ثالث أكبر شركة للطاقة في العالم بل ورابع أكبر شركة في العالم بمقياس الدخل ، إذ بلغ دخلها سنة 2009 (240) مليار دولار.

غطى تسريب النفط مساحة 6500 كيلو متر مربع من مياه خليج المكسيك وهدد سواحل لويزيانا، مسيسيبي ، الاباما ، تكساس وفلوريدا اذ كان التسريب

حوالي 35000 برميل/اليوم ولقد أجبرت الحكومة الامريكية شركة BP أن تؤمن 20 مليار دولار كجزء من التعويضات للتمضيين من هذا التسرب ، كما اضطرت الشركة أن ترهن ما يعادل 20 مليار دولار من ممتلكاتها في الولايات المتحدة كضمانة لدفع تلك التعويضات واضطرت لبيع 10 مليار دولار من أصولها في الولايات المتحدة . كما وهبطت اسمها بمقدار 52% في غضون 50 يوم واصبحت هذه الشركة العملاقة عرضه للاستملاك من شركات نفط أخرى وبدأت بالبحث عن ممولين بما فيهم بعض الصناديق السيادية الخليجية مثل صندوق أبو ظبي للاستثمار.

الانتاج البحري :

بدأ الحفر بداية في اعماق ضحلة وقريبة من الشاطئ ، وكان أول محاولة في الحفر في مسافات بعيدة سنة 1947 من قبل شركة كير ماغي Kerr McGhee في موقع يبعد حوالي 15 كيلو متر عن الشاطئ . تم بدأ الحفر في بحر الشمال حيث. سرعة الرياح تصل احياناً الى أكثر من 200 كم / الساعة . في شهر أكتوبر 1969 تم العثور على نفط في حقل ايكوفيسكت Ekofisk . لم يكن الانتاج اقتصادياً حيث كانت كلفة الانتاج (7 دولار) للبرميل بينما سعر البرميل العالمي حوالي 2 دولار. وفي مكان آخر من الكتاب نبين أن أحد أهداف حرب 1973 كان رفع لاسعار البترول والتي جعلت نفط بحر الشمال ذو جدوى اقتصادية .

وبذلك بدأ الانتاج التجاري من بحر الشمال حيث وصل الانتاج الى 3.5 مليون برميل / اليوم سنة 1985 موزعة بين بريطانيا والنرويج . ولكن تبقى مياه بحر الشمال ضحلة نسبياً . وبالانتاج من حقوله نشأ ما تم تسميته نفط دول خارج أوبل (non-Opec Oil). وكان هناك انتاج من الخليج العربي بواسطة الشركة العربية اليابانية AOC و التي كانت تنتج من البحر في منطقة الخفجة والتي كانت ضمن المنطقة المحايدة بين الكويت والسعودية وانضمت أخيراً الى ارامكو السعودية . كما حفرت السعودية أباراً في حقل السفانية البحري في الخليج في فترة الخمسينات والستينات من القرن العشرين.

الانتاج من اعالي البحار

كانت شركة بتروبراس Petrobras البرازيلية هي الرائدة في الحفر والانتاج من اعالي البحار حيث حفرت سنة 1992 فوق مياه المحيط بعمق 2562 قدم فوق قاع المحيط بعد سنوات من العمل الشاق. في تلك الاثناء طورت شركة شل Shell تقنية متطورة وجديدة لتحديد المناطق الواعدة تحت مياه البحار. وعلى عمق 2864 قدم تم العمل بواسطة حفارة بحرية عملاقة بعادل ارتفاعها ما يوازي 26 طابقاً ، وتم وضع معدات الانتاج سنة 1994 حيث ما لبث أن وصل الانتاج الى 100 الف برميل/ اليوم . كان المشروع بحاجة الى تسع سنوات و 102 مليار دولار لانجازه . وبهذا الانجاز انفتح خليج المكسيك على مصراعيه للاستكشاف والانتاج من اعالي البحار . فارتفع الانتاج البحري منه من 1.5 مليون برميل / اليوم سنة 2000 الى 5 مليون / اليوم سنة 2009 اي بما يزيد عن انتاج الكويت بمرة ونصف . وفي هذه الفترة تم حفر 1400 بئر استكشافي و انتاجي في المياه العميقة، وفتح الباب أمام ما يسمى بالمثلث الذهبي في المحيط بين خليج المكسيك وشواطئ غرب افريقيا وشواطئ البرازيل . وما بدأت الشركات الامريكية في الانتاج على شواطئ غرب افريقيا حتى سارعت الولايات المتحدة بانشاء قيادتها العسكرية Africom افريكوم على غرار القيادة المركزية لدول الشرق الاوسط وشمال افريقيا Centcom سنتكوم.

سارعت كافة شركات النفط العملاقة بالتسارع للانتاج البحري بالرغم من كلفته التي لا تقارن مع كلفة الانتاج الرخيص في العالم العربي ، حيث قد تزيد الكلفة عن العشر و عشرين ضعفاً ، فقامت شركة شيفرون Chevron فعلاً بالحفر بمسافة 250 كم داخل خليج المكسيك في موقع يقع جنوب شرق مدينة نيو اولينز . كانت المياه بعمق 6500 قدم حيث رگبت منصتها البحرية بلايند فيث (Blind Faith) العملاقة والتي تزن 40000 طن وارتفاعها يوازي ارتفاع عمارة من 29 طابق . وكما في كافة المشاريع البحرية العميقة ، يتم استخدام الانسان الالي Robot لعمل كافة التمديدات في قعر البحر وربطها مع فوّهة الابار الاربعة المنتجة من هذا الحقل.

يتم حوالي 30% من انتاج النفط العالمي أي 26 مليون برميل من مياه البحر الضحلة في بداية الامر والعميقة لاحقاً . فالיום يتم انتاج 6 ملايين برميل/ اليوم من اعالي البحار .

المقارنة بين انتاج السعودية والولايات المتحدة

لا يوجد اساساً مقارنة بين الانتاج الامريكي الجديد واعتباره تهديداً الى النفط العربي او السعودي لاعتبارات عديدة هذا بعضها :

فأولاً: فإن الابار المنتجة عن طريق الحفر الافقي لأبار الزيت الصخري عمرها قصير . ومع أن عمر التكنولوجيا المستعملة هو أيضاً قصير الا أنه بدى واضحاً كما جاء في مجلة بزنس ويك (10 اكتوبر 2013) فإنه مثلاً بدأ الإنتاج في البئر 1-3H Serenity برقم محترم نسبياً وهو 1200 برميل / اليوم سنة 2009 . اما في منتصف 2013 فلقد هبط الانتاج الى 100 برميل/ اليوم فقط . كان هذا في ولاية أوكلاهوما . وكمثال آخر فالبئر المعروف Robert Heuer 1-17B بدء انتاجه في ولاية داكوتا الشمالية بقدرة 2358 برميل / اليوم سنة 2004 ولكن انتاجه انخفض 69 بالمئة في السنة الاولى فقط . لكي يحافظ المستثمرون على كمية انتاجهم من الحقل الواحد يضطروا الى حفر مزيد من الابار للتعويض عن النقص السريع للانتاج . هذه الظاهرة أطلق عليها رجال النفط بظاهرة الملكة الحمراء (Red queen) وذلك نسبة الى الملكة الحمراء التي تقول الى اليس (Alice) في احد الافلام الاميركية : " عليك الركض بكل قواك لتستطيعي البقاء في المكان نفسه"

وثانياً : ان هذا الانتاج مرتفع الكلفة أكثر بكثير من انتاج السعودية أو أي من الدول العربية الاخرى : تقدر شركة غلوبال سستينبلتي Global Sustainability الاستشارية أن الولايات المتحدة بحاجة الى حفر 6000 بئر جديد كل سنة بكلفة 35 مليار دولار للمحافظة على المستوى الحالي من الانتاج فقط . واستطردت الدراسة أن الابار الجديدة المكتشفة طاقاتها الانتاجية بداية ضعيفة مما يعني ان الاماكن الاكثر انتاجية قد تم الانتاج منها. وتتوقع الدراسة ان يصل الانتاج من هذا النوع من الابار لذروته بحلول سنة 2017 لكن هذا الانتاج سيهبط خلال سنتين أي سنة 2019 الى مستويات سنة 2012 .

ثالثاً : يحتاج حفر البئر ملايين الغالونات من الماء مما يسبب العديد من المشاكل لتوفير هذا المصدر في ولاية تكساس ونيفادا. بالرغم من هذه المشاكل غير المتواجدة في انتاج النفط العربي الا ان هذا الانتاج هو فعلاً ثورة تكنولوجية ، وأيضاً اقتصادية حسنت من ميزان المدفوعات التجاري الأمريكي لكنها لم تنقذه.

رابعاً: الولايات المتحدة بحاجة الى استيراد

ومن المناسب أن نذكر هنا أن الولايات المتحدة تستهلك حالياً حوالي 18.5 مليون برميل يومياً فهي بحاجة الى استيراد حوالي 6 مليون برميل يومياً بعد كل هذه الثورة وتلك الانجازات وهم رقم يساوي تقريباً مجموع انتاج الكويت والامارات العربية المتحدة أو نصف الانتاج السعودي .

خامساً: الاحتياط العالمي المثبت للنفط

يتضح من الجدول المرفق بان احتياطي النفط الأمريكي برأً وبحراً هو 23 مليار برميل بينما احتياط المملكة العربية السعودية هو 268 مليار برميل ، أي ان احتياطي العربية السعودية أكبر من الاحتياط الأمريكي بـ حوالي 12 مرة. وبينما الاحتياط السعودي هو في المرتبة الثانية عالمياً فإن الاحتياط الأمريكي مرتبته الرابع عشر وهو يأتي بعد ايران العراق ، الكويت، الامارات العربية المتحدة ، ليبيا وحتى قطر.

ونلاحظ هنا أن ترتيب الاحتياطي للدول قد تغير في السنوات العشر الاخيرة، فأصبحت صاحبة الاحتياطي الاول هي فنزويلانتيجة اضافة احتياطي الزيت الثقيل جداً الى مجموع احتياطها بعد ان بدء العمل في استغلاله وأصبح مصنفاً بأنه مجد اقتصادياً . كذلك كندا والتي كانت تملك فقط 5 مليارات برميل من الاحتياطي فقط أصبحت ثالث مالك للاحتياط الكبير بالعالم بعد أن بدأ الانتاج الاقتصادي من بترول الرمل (sand Oil) وتصديره بالملايين من البراميل .

لا شك ان زيادة الانتاج في الولايات المتحدة قد ساهمت الى حد كبير بزيادة الاحتياط النفطي من 16 مليار برميل سنة 2008 ، الى 17 مليار سنة 2009 الى 19 مليار برميل سنة 2010 الى 21 مليار سنة 2011 والى 23 مليار

برميل سنة 2012، ومع ان هذه الزيادة في تلك السنوات الاربع تعني زيادة 44% الا أنها كميًا تعتبر زيادة متواضعة .

نضوب النفط

ما يتفق عليه الجميع ان النفط مادة آيلة النضوب ولكن هناك وجهات نظر عن متى سيكون هذا النضوب . ولكن أيضاً يتفق أكثر الخبراء على أن النفط التقليدي الذي عرفه العالم طوال القرن العشرين سينتهي آجله قبل نهاية هذا القرن ومنه النفط العربي. ولقد بدأت فعلاً مرحلة بداية الانحدار في احتياطات النفط التقليدي خارج العالم العربي وكما في نفط بحر الشمال وكثير من الحقول في مناطق مختلفة من العالم.

التقدم العلمي الهائل الذي صاحب عمليات استكشاف وانتاج النفط في السنوات العشرين الماضية ، سمحت بزيادة الانتاج من النفط التقليدي من اعالي البحار وعلى اعماق مياه وصلت الى 6000 قدم، والى ابار ذات اعماق تحت سطح البحر بـ 35000 قدم، ولكن الكلفة عالية . حادثة BP سنة 2010 كادت ان تكلف شركة عملاقة ليس فقط استثماريتها بل زادت كلفتها لتاريخه عن 20 مليار دولار . كل ذلك يوصلنا الى النتيجة إن عهد النفط السهل والرخيص قد ولى الى غير رجعة .

كان M.King Hubbert م. كنغ هيوبرت بشهادة اعدائه قبل اصدقائه متقد الذكاء حيث تخرج في الجيولوجيا والفيزياء والرياضيات وحصل على شهادة الدكتوراة من جامعة شيكاغو . عمل استاذاً في جامعة كولومبيا لكنه كان يُعْتَبَر (مشاغباً) حيث انه كان من قادة حركة اسمها (التكنوقراطية Technocracy) والتي نظّر اعضاؤها أثناء الكساد الكبير في فترة الثلاثينات من القرن العشرين بأن اصل البلاء هو في السياسيين وفي الاقتصاديين الذي ينظرون نظرياتهم حسب الطلب من اصحاب السياسة والمال لو كان تكنوقراطيون في عصرنا هذا لو كنت منهم. قال التكنوقراطيون أن عمليه ما يسمى بالديمقراطية هي مؤامرة وخديعة حيث اتقن اصحاب النظام اخراجها عن محتواها ومفهومها الحقيقي . كما نظّر التكنوقراطيون أن على العلماء والمهندسين مسك زمام الامور لتسييرها بطريقة علمية . لم يتم ترقية كنغ هيوبرت في جامعة كولومبيا ربما نتيجة

لافكاره ، فاستقال وذهب ليعمل في شركة شل SHELL . كان هيوبرت من السباقين في الابحاث العلمية . لكن ما يهنا هنا هو بحثه الذي قدّمه سنة 1956 في سان انتونيو ، تكساس وقال فيه أنه توصل في حساباته ان الولايات المتحدة ال 48 (قبل انضمام الاسكا وهاواي للاتحاد الامريكي) ستصل الى ذروة انتاجها قبل سنة 1970 ، وسيبدأ الانتاج الامريكي بالهبوط بعد ذلك التاريخ . قابلت صناعة النفط وكذلك الحاضرون ورقته بكثير من العداء والاستهجان بحيث أن هيوبرت قال حينها : " ظننت أن الحضور كانوا سيشنقوني على أول عمود كهرباء خارج القاعة" . لكن ما حصل هو أن انتاج النفط الامريكي قد وصل ذروته فعلاً سنة 1970 حيث أيضاً كان الاستهلاك مساوياً للانتاج . وبقي الانتاج في هبوط الى ان وصل الى 4.5 مليون برميل / اليوم منتصف العقد الاول من القرن الواحد والعشرين . اما زيادة الانتاج الامريكي منذ 2004 لليوم فهي من البترول غير التقليدي عالي الكلفة والمخاطر . أما جامعة كولومبيا فأرادت أن تُكفّر عن تصرفها تجاه هيوبرت فقامت بمنحه جائزة فيتلسن vetlesen وهي اعلى جائزة شرف في حقل الجيولوجيا وإن كان ذلك بعد 40 سنة من ترك هيوبرت لتلك الجامعة .

نستطيع أن نستنتج أن الضجة الاعلامية الاخيرة لم تكن دقيقة لو احسنا النية أو انها كانت لغرض في نفس يعقوب لارهاب الدول العربية المنتجة للنفط . سيقى النفط العربي هو الافضل عالمياً من حيث كلفة انتاجه ونوعه و قربه من البحار وموانئ التصدير وكميات احتياطاته .

ماذا لو انخفض انتاج النفط العربي؟

اقتبسنا قبل بداية هذا الفصل ما جاء في دراسة مادة الحالة 9-383-096 في كلية الدراسات العليا للإدارة في جامعة هارفارد والتي تقول "السيطرة على سعر النفط وكمية انتاجه هما من ركائز الامن القومي الامريكي". وبدون موارد ولغة مطاطة فاختصار هذا القول هو أن الولايات المتحدة هي التي تحدد كميات الانتاج من النفط خصوصاً للدول المنتجة الكبرى لهذه المادة وكذلك تتحكم بأكثر من طريقة في السعر .

لذلك ليس سراً ان اكثر الدول في منطقتنا تنتج أكثر بكثير من حاجاتها للتنمية الاقتصادية مما يحول أثمان الفائض عن تلك الحاجة الى خزائن الولايات المتحدة لسد عجوزات ميزانياتها أو في احسن الاحوال الى اسهم في شركاتها لتدعيم اقتصادها .

إذن لو تمّ خفض الانتاج الى قرابة احتياجات الدول لاقتصاداتها لكان ذلك نعمة من السماء عليها . دعنا هنا نعطي مثلاً . لو فرضنا أن دولة تنتج عشر ملايين برميل يومياً ومخزونها منتهي مليار برميل عندئذ سينضب نفطها خلال 55 سنة. لكنها لو انتجت حاجتها فقط ولنفرض انها 4 مليون برميل في اليوم عندها سينضب احتياط نفطها بعد 137 سنة . إن الانتاج الكافي فقط لتنمية دون فوائض تبادل مادةً ثمينة كالنفط مقابلة أوراق تعاد الى اصحابها بطريقة أو بأخرى هو ما يجب أن تتطلع اليها الدول المنتجة إن امكنها . وأقول صراحة أن ذلك من باب التمنيات وليس بمقدورها أن تفعل ذلك دون تصادم في المصالح مع القوى العالمية المهيمنة وذلك يحتاج الى مقومات قد لا تكون متوفرة في الوقت الحالي .

من المؤسف حقاً أن القوى العظمى المهيمنة على العالم هذه الايام يعتقد ان وجود أكثر احتياطات النفط تحت اراض عربية أو اسلامية هي صدفة جيولوجية لا أكثر. فهم يرون أنهم هم من قام باكتشاف واستخراج ونقل وتكرير النفط وهم من يستعملونه في صناعاتهم ومزارعهم واساطيلهم التجارية والحربية ولا يرون بئساً أن يكون لهم نصيب الاسد من هذه الثروة . أفلا يكفي اصحاب " الصدفة " هذه أن يشتروا ما ارادوا من سيارات يصنعونها لهم ومن طبيبات المأكولات ما ارادوا ، ومن أمراض السكر كما يشاؤون؟

Proven Oil Reserves

	Country	Reserves (<u>MMbbl</u>)
—	<u>OPEC</u>	1,112,448 - 1,199,707
1	<u>Venezuela</u>	297,570¹¹
2	<u>Saudi Arabia</u>	267,910
3	<u>Canada</u>	173,625 - 175,200
4	<u>Iran</u>	154,580
5	<u>Iraq</u>	151,167 - 154,580
6	<u>Kuwait</u>	103,998
7	<u>United Arab Emirates</u>	97,800
8	<u>Russia</u>	60,003
9	<u>Libya</u>	47,102
10	<u>Kazakhstan</u>	30,002
11	<u>Nigeria</u>	37,200

12	<u>China</u>	25,585
13	<u>Qatar</u>	25,382
14	<u>United States</u>	23,267^[2]
15	<u>Brazil</u>	13,986
16	<u>Mexico</u>	10,264^[1]
17	<u>Algeria</u>	12,200
18	<u>Angola</u>	10,470
19	<u>India</u>	9,043
20	<u>Ecuador</u>	8,240
21	<u>Azerbaijan</u>	7,000
22	<u>Norway</u>	5,321 - 6,700
23	<u>Sudan</u>	6,700
24	<u>European Union</u>	6,700
25	<u>Malaysia</u>	5,800

SOURCE;

http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_by_proven_oil_reserves

USA OIL RESERVES 2008-2012

Oil reserves

US – proved oil reserves (a) (million barrels) (b)

	2008	2009	2010 (c)	2011	2012 (d)
Beginning of year	16,572.9	16,067.0	16,943.3	18,956.6	20,734.3
Additions:					
Extensions and discoveries	781.7	940.5	1,686.1	2,528.7	3,789.0
Improved recovery	395.5	170.1	397.4	324.3	520.0
Revisions	(1,200.7)	1,121.2	957.2	556.4	(118.7)
Production	(1,196.0)	(1,387.7)	(1,414.4)	(1,440.2)	(1,621.4)
Purchases	293.8	195.0	1,112.7	305.8	891.1
Sales	(159.9)	(165.9)	(730.4)	(223.1)	(864.4)
Other (e)	579.8	3.1	4.7	(274.1)	0.0
End of year	16,067.0	16,943.3	18,956.6	20,734.3	23,329.9

(a) Includes condensate and natural gas liquids.

(b) Includes the 50 largest companies based on 2012 end-of-year oil and gas reserve estimates. Activity related to acquired companies has also been reflected as described on page 1.

(c) Beginning-of-year reserves for 2010 include 387.6 million barrels, which represent XTO Energy's end-of-year 2009 oil reserves. Sales for 2010 include 387.6 million barrels, to reflect the sale of XTO Energy's reserves to ExxonMobil.

(d) Beginning-of-year reserves for 2012 include 114.8 million barrels, which represent Petrohawk Energy's end-of-year 2011 oil reserves. Sales for 2012 include 114.8 million barrels, to reflect the sale of Petrohawk Energy's reserves to BHP Billiton.

(e) Includes transfers, reclassifications and other.

SOURCE:

[http://www.ev.com/Publication/vwLUAssets/US oil and gas reserves study 2013/\\$FILE/US oil and gas reserves study 2013 DW0267.pdf](http://www.ev.com/Publication/vwLUAssets/US_oil_and_gas_reserves_study_2013/$FILE/US_oil_and_gas_reserves_study_2013_DW0267.pdf)

سأل أحد طلبة كلية البترول السعودية في الظهران، وزير بترول المملكة العربية السعودية أحمد زكي اليماني في يناير 1981، هذا السؤال:

"المواطن السعودي الذي ينظر إلى السياسة النفطية الحالية سيجد بأن المملكة تنتج أكثر مما يحتاجه اقتصادها، وتبيع نفطها بأسعار أقل من المعدلات الجارية، بل أقل من الأسعار التي تباع بها دول الخليج الأخرى . ومع ذلك فإن هذه التضحية تقابل بهجمات معادية من قبل الصحافة ووسائل الإعلام، بل وحتى من مسؤولين حكوميين كبار في الدول الغربية. ألا تعتقد بأنه حان الوقت لأن نتوقف عن التضحية بأنفسنا في سبيل إرضاء مستهلكي النفط؟".

مثل هذه المحادثة لم تغب عن آذان الولايات المتحدة، فلقد وردت في إحدى حالات الدراسة (CASE STUDY) عن " السيطرة على النفط العالمي " لكلية الدراسات العليا للإدارة بجامعة هارفارد.

قال ديك شيني Dick Cheney سنة 1999 في لندن في معهد البترول حينما كان يعمل كالرئيس التنفيذي لشركة هالبرتون (وأصبح لاحقاً نائباً لرئيس الولايات المتحدة):

" إن النفط مادة آيلة للنضوب. ففي كل سنة يجب أن يتم استكشاف ما يعادل انتاج تلك السنة بالاضافة الى نسبة النمو السنوي . فشركة مدمجة مثل شركة ايكسون - موبيل Exxon-Mobil عليها استكشاف مليار ونصف برميل سنويا للمحافظة على احتياطيتها الحالي كما هو . وعلى العالم ككل أن يعوض عن انتاجه اليومي البالغ 71 مليون برميل (ذلك سنة 1999 - سنة 2014 حوالي 90 مليون برميل/ اليوم). ومع أن عدداً من المناطق في العالم تعطي فرصاً جيدة. الا أن الشرق الاوسط بما يملك من ثلثي احتياط العالم و كلفة الانتاج فيه هي الارخص في العالم ، سيبقى محط الانظار حيث هناك الجائزة الكبرى."

لهذا تتواجد القواعد العسكرية في الشرق الاوسط وتم احتلال العراق، ويتم اشاعة الفوضى غير الخلاقه ليصبح شعار كل دولة اللهم أسألك نفسي ومن بعدي الطوفان ونرى جميعاً الطوفان في هذه الايام .

الفصل الثاني عشر

احتياط النفط والغاز العربي العالمي

احتياط البترول العالمي

حتى سنة 1850 وقبل حفر أول بئر بترول من الكولونيل دريك سنة 1859 كان الفحم الحجري يكون 5% من مكونات الطاقة العالمية بينما، كانت الطاقة الناتجة عن جهد الانسان والحيوان تمثل 94% . وبعد مئة عام أي في منتصف القرن العشرين أصبح الفحم الحجري والنفط والغاز يمثلون 93% من الطاقة العالمية . وبدخول الطاقة النووية والمتجددة إلى المسرح ، أصبحت النسبة 80% هذه الايام واليوم ينتج العالم من البترول خمس أضعاف ما كان ينتجه قبل نصف قرن ، فهل يستطيع العالم أن ينتج خمس أضعاف ما ينتج العالم من النفط هذه الأيام بعد نصف قرن اي 450 مليون برميل يومياً ؟ هناك اتجاه تصاعدي على استهلاك النفط في الوقت الذي بدأت علامات وصول أنواع البترول السائدة في القرن العشرين من البترول التقليدي السهل والرخيص إلى أعلى مستوياتها وليس امام هذه النفوط التقليدية سوى الهبوط حتى الوصول إلى نقطة النضوب. سيكون هناك انواع اخرى من البترول غير التقليدية لكنها معقدة سبل الانتاج وعالية التكلفة مقارنة مع البترول التقليدي والسهل.

تمثل الصين والهند حوالي 2.5 مليار انسان معظمهم يعيشون في الارياف بدون كهرباء ولا سيارات وبمعدلات استهلاك طاقة منخفضة جداً . فبينما معدل استهلاك الطاقة في الدول المتطورة صناعياً في اوروبا وامريكا هو بين 12-14 برميل نفط في السنة للفرد فإن المعدل في الصين والهند هو حوالي (1) برميل نفط في السنة للفرد فمن أين

ستأتي الطاقة أو البترول لو زاد استهلاكهما أثنا عشر ضعفاً ليتساوى مع المعدل الاوروبي أو الامريكي ؟

في السنوات الأخيرة يزيد استهلاك البترول في الصين بمعدل 15% في السنة . زاد الاستهلاك قرابة المئة بالمئة خلال ثماني سنوات من 4.570 مليون برميل في اليوم سنة 2001 إلى 8.200 مليون برميل في اليوم سنة 2010. وإذا صدقت دراسات المؤسسات الدولية بأن حجم الاقتصاد العالمي سيتضاعف من 65 تريليون دولار إلى 130 تريليون دولار في السنة خلال عقدين من الزمان فقط ، فمن أين ستأتي كل هذه الطاقة المطلوبة لهذا النمو ؟

البترول التقليدي:

ويمثل 30% من الاحتياط العالمي وهو البترول ذو الكثافة الخفيفة والمتوسطة كالبترول العربي عموماً والامريكي في تكساس ، اكلاهوما، ولويزيانا خصوصاً، وبحر الشمال في اوروبا . بدأ الانتاج من حقول هذا النوع من البترول في اليابسة (On-Shore) في معظمه حتى الستينات من القرن العشرين ويمكن تسمية هذا النوع من البترول بالنفط السهل.

وكانت الخطوة الثانية هي الاستكشافات ثم الانتاج في المياه الضحلة نسبياً مثل مياه بحر الشمال كحقول برنت Brent وحقول الفورتييز Forties ولقد استمر هذا النوع من الاستكشاف والانتاج يتسارع في الربع الأخير من القرن العشرين .

أما الاستكشاف والحفر والانتاج في أعالي البحار وهو ما يسمى Out of Sight Oil والذي يبعد عشرات بل مئات الكيلو مترات عن الشاطئ وفي اعماق مياه تزيد عن 5000 قدم فقد بدأ يتسارع مع تطور التكنولوجيا في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين .

هبط الانتاج الامريكي بداية ابتداءً من سنة 1970 حيث وصل الانتاج في تلك السنة ليتساوى مع الاستهلاك ثم ارتفع بعد ذلك بمقدار ما تم انتاجه من آلاسكا في النصف الثاني من سبعينات القرن العشرين. لكنه ما لبث أن بدأ بالهبوط ثانية بعد وصول انتاج آلاسكا إلى ذروته بحلول سنة 1987 . وبقي

الانتاج الامريكي في تناقص حتى سنة 2008 حيث زاد الانتاج حوالي 500 ألف برميل في اليوم معظمها جاء من انتاج حقول أعالي البحار من خليج المكسيك وقليل منها جاء من أكثر من 1000 بئر افقي ضبيلة الانتاج من حقول داكن (Dakken) في ولاية داكوتا الشمالية . وما زالت الولايات المتحدة تستورد جزءاً كبيراً من استهلاكها من النفط بالرغم من ذلك .

إن النفط الامريكي المستخرج من مناطق Shale Oil هو من ضمن هذا النوع من البترول والذي اصبح انتاجه ممكناً نتيجة الى التطور التكنولوجي بالحفر الافقي وعملية ما يسمى التكسير الهيدروليكي.

البترول الثقيل: ويمثل 15% من الاحتياط العالمي

حين توفر البترول التقليدي السهل في اليابسة والقريب على موانئ التصدير بكميات تفوق الاستهلاك والطلب ، كان هذا النوع من البترول متى وجد غير مرغوب فيه وذلك لكونه يحتوي عادة على نسب قليلة من المشتقات النفطية الخفيفة كالبنزين والديزل ، وتكون كلفة تكريره اعلى من مثيله من البترول الأخف. إلا أنه بعد ارتفاع الاستهلاك لمعدلات تزيد عن المتوفر من البترول الخفيف بدأ الاهتمام باستثمار هذا النوع من البترول . ولعل السودان مثال جيد لشرح هذا النوع من النفوط.

أكتشفت إحدى الشركات الأمريكية الكبرى النفط في جنوب السودان في منتصف السبعينات من القرن الماضي لكنها لم تجد في استثماره تحت الظروف آنذاك أي جدوى اقتصادية . كان البترول ثقيلاً ، وبعضه يكون في حالة صلابة حتى على درجة حرارة 38° C ، في حين أن الحقول تبعد حوالي 1500 كم عن أقرب ميناء تصدير . و حيث ان الزيت الخفيف والسهل تناقص و أصبح متوفراً بكميات أقل ، بدأت الأسعار بالارتفاع لتسمح للكلفة الإضافية المطلوبة للاستخراج لانواع البترول الاخرى. في عقد التسعينات اشترت بعض الشركات الصينية والماليزية الامتياز من الشركة الأمريكية وبدأت في الانتاج.

البترول الثقيل جداً ويمثل 25% من الاحتياط العالمي

يكمّن معظم هذا الزيت في حزام اورينوكو ORINOCO BELT في داخل فنزويلا وهو مزيج اسفلتي داخل الصخور الرملية. ومساحة هذا الحزام 54000 ميل مربع ويحتوي على 513 مليار برميل من النفط القابل للاستخراج ، وهذه الكمية تعادل ضعفي احتياطي السعودية مع احتمال ارتفاع الرقم الى 1.3 تريليون برميل وهو رقم يكاد يشبه الاحتياط العالمي بأكمله اذا تم استثناء فنزويلا من المجموع !

قامت الشركة الحكومية الفنزويلية PDVSA في اوائل التسعينات من القرن الماضي بدعوة الشركات الاجنبية للاستثمار في ما أسموه عهد الانفتاح النفطي. تمّ المشاركة مع PDVSA وشركات اجنبية وتم بناء مجمع جوزي Jose . وبعد عشر سنوات واستثمار ما يزيد عن 20 مليار دولار تم العمل بنجاح في بدء الانتاج من هذا المجمع وبطاقة (600 000) برميل / يومياً ، وهكذا أصبح استغلال هذا الحزام الاسفلتي مجدداً فدخل في احتياط فنزويلا النفطي.

في الاول من ايار 2007 ، يوم عيد العمال جاء الجيش الفنزولي ليحتل منشأة مجمع جوزي ، والطائرات الحربية في سماء المجمع كعلامة بأن عهد الاستعمار الاقتصادي {والذي سماه اعوان الاستعمار بالانفتاح النفط حسب الرئيس شيفيز} قد ولى وأعلن تأميم عمليات المجمع.

الزيت الرملّي ويمثل 30% من الاحتياط العالمي

وأغلبه موجود في كندا . ويسمى هذا النوع احياناً بالاسفلت الرملّي حيث يتواجد كخليط مع الرمل. حتى نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين . كان المتشككون دوماً في أي تقدم علمي قد جادلوا بأن هذا النوع من الزيوت ليس له جدوى اقتصادية كما أن مضاره البيئية تجعل من عملية استخراجها أمراً غير مقبول. فهو شديد الصلابة كالاسفلت ولا ينساب تحت درجات الحرارة العادية . ولقد تم تطوير شاحنات خاصة قطر عجلها 3.5 متر . وهي أكبر عجلات في الكرة الأرضية ومزودة بجرافات ضخمة تنقل الزيت الرملّي لفصل المادة الاسفلتية عن الرمل . ويتم معالجة الاسفلت بواسطة عمليات تصنيع وتكرير لتجعل منه بترولاً صناعياً ذا جودة عالية

توازي أفضل أنواع البترول قليل الكبريت والخفيف ، ثم يتم ضخه عبر انابيب إلى الولايات المتحدة لتكريره في مصافيها .

تقوم الشركات العاملة في حقول Alberta والمنتجة للبترول من البترول الرملي بتطوير طرق استخراج متطورة وتسمى التعدين في نفس المكان (In Situ Mining) وهي آبار يتم حقنها بالبخر عالي الحرارة في الاعماق ، مما ينتج عنه سائل مزيج من المادة الاسفلتية والماء الساخن وتسمى هذه الطريقة Steam Assisted Gravity Drainage - وتختصر بـ SAGD - وتلفظ Sag-Dee - ويعتبر هذا التطور من التطورات المهمة خلال العقود الماضية.

بعد 20 مليار دولار من الاستثمار واستكشاف طرق جديدة للانتاج ارتفع الانتاج من الرمل الزيتي (Oil Sand) من 6 00 000 برميل / اليوم سنة 2000 الى 1.5 مليون برميل / اليوم سنة 2009 ويخطط للانتاج ليصل الى 3 مليون برميل / اليوم سنة 2020 . كانت كندا تصنف من الدول ذات الاحتياط القليل حيث كان احتياطيها يقدر بحوالي 5 مليار برميل. أما بعد ضم احتياطي الزيت الرملي الى احتياط كندا ، وذلك بعدما اصبح انتاجه مجدياً من الناحية الفنية والاقتصادية ، فأصبحت كندا صاحبة ثالث أكبر احتياط في العالم ويصدر معظم نفط كندا الى الولايات المتحدة.

الصخر الزيتي (Oil Shale)

نود أن نلفت الانتباه إلى أن هذا النوع من البترول هو مختلف عن نوع البترول المكتشف حديثاً في الولايات المتحدة من Shale Oil والذي هو عبارة عن بترول عادي كان محبوساً ضمن طبقات جيولوجية لم تسمح التكنولوجيا القديمة باستخراجه ، الا ان المادة الهيدروكربونية الموجودة في الصخر الزيتي هي عبارة عن بترول غير مكتمل النضوج ويسمى علمياً كيروجين تصبح نفطاً بعد معالجة طبيعية وكيميائية .ويمكن تحويله إلى مصدر طاقة بواسطة الحرق المباشر (كالفحم الحجري) لتوليد الكهرباء ، أو تصنيعه ليصبح بترولاً بواسطة عملية كيميائية اسمها Pyrolysis . وتقدر كمية البترول الممكن استخراجه من مكامن الصخر الزيتي في العالم برقم فلكي يقدر بحوالي 3 تريليون (3000مليار) برميل. يتم تعريض هذا الصخر في عملية Pyrolysis إلى درجات حرارة مرتفعة يتحول خلالها الكيروجين إلى بخار يتم

تكثيفه ، وينتج عن هذه العملية سائل نفطي وغاز والذي يمكن تحويله إلى صناعات كيميائية متعددة. أكبر دولتين متطورتين في صناعة الصخر الزيتي هما استونيا والصين في حين أن ألمانيا ، البرازيل ، إسرائيل وروسيا يستخدمونه بشكل أو بآخر .

ومع أن استعمالات الصخر الزيتي معروفة منذ تاريخ قديم إلا أن التعدين الصناعي الحديث بدأ سنة 1837 في أوتون Autun بفرنسا و في سكوتلندا وألمانيا و بلاد أخرى. ولقد كان أهم مادة تستخرج منه أبان القرن التاسع عشر هي مادة الكاز . وقد نمت هذه الصناعة قبل الحرب العالمية الأولى.

لقد تم استعمال البترول من الصخر الزيتي في شمال الاردن قبل وأثناء الحرب العالمية الأولى . وحسب المصادر العديدة ومنها موسوعة ويكيبيديا فقد " تمّ استعمال البترول المستخرج من الصخر الزيتي في الاردن أيام الحرب العالمية الأولى ابان الحكم العثماني وذلك لتسيير الخط الحديدي الحجازي واستغلاله في تسيير القاطرات ايضاً بمزج الصخر الزيتي مع الفحم الحجري²⁴ . "

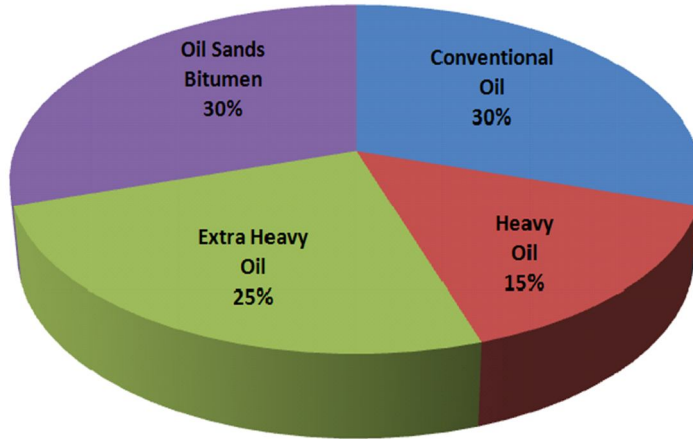
وبعد اكتشافات النفط الخفيف والسهل بعد الحرب العالمية الأولى بدأ الاهتمام العالمي يتركز على النفط التقليدي ، إلا ان صناعة الصخر الزيتي استمرت في النمو في بلدين هما أستونيا والصين . وبعد ارتفاع الاسعار سنة 1973 وصل الانتاج في الصخر الزيتي إلى 46 مليون طن في سنة 1980 . لكن تواجد البترول الرخيص نسبياً ، وهبوط اسعاره إلى ما دون كلفة الانتاج من الصخر الزيتي أدى إلى تراجع الانتاج لـ 16 مليون طن لسنة 2000. إلا أن الاهتمام به عاد في بداية القرن الواحد والعشرين لدرجة أن الولايات المتحدة سمحت باستغلال الصخر الزيتي والزيت الرملي المتواجد على أراضي الدولة الفدرالية حسب قانون سياسة الطاقة لسنة 2005. وهكذا رجع اهتمام الدول لاستثمار هذا الصخر الزيتي بعد ارتفاع اسعار البترول فبدأ تصنيعه في البرازيل والصين واستونيا لإنتاج البترول ، وفي استونيا والبرازيل والصين لتوليد الكهرباء ، وفي الصين وإسرائيل لإنتاج الاسمنت . وتعتبر استونيا في مقدمة الدول المستغلة للصخر الزيتي حيث تولّد 2967 ميغا واط بواسطة الحرق المباشر للصخر الزيتي.

²⁴ http://en.wikipedia.org/wiki/Oil_shale_in_Jordan

حسب كبير الباحثين السابق في شركة شل Dr. Harold Vinegar الدكتور هارولد فينغار والذي هاجر بعد تقاعده إلى إسرائيل أسس شركة IEI والتي اخذت امتيازاً لانتاج البترول من الصخر الزيتي بالطريقة الاحفورية (in situ) و للعلم فإن خصائص هارود فنغار (خريج جامعة هارفارد) والذي اشرف على ابحاث شركة شل في تطوير طريقة In-Situ لاستخراج البترول سواءاً من الصخر الزيتي او الرملي الصخر الزيتي الاردني يتشابه مع الفلسطيني والاسرائيلي:

- ❖ عند تسخين الصخر الزيتي بواسطة سخانات كهربائية إلى درجة حرارة 300°C يخرج الغاز والنفط (كيروجين) إلى السطح بواسطة ابار محفورة ويتم تكثيف النفط لتطوير تكريره. ويمثل النفط الثلثين والغاز الثلث.
- ❖ كثافة البترول المستخرج بهذه الطريقة 33 درجة API
- ❖ هذه الطريقة كفؤه جداً . يتم توليد الطاقة للسخانات الكهربائية بواسطة الغاز الطبيعي ومقابل كل دولار ثمن الغاز يتم انتاج 23 دولار من النفط والغاز .
- ❖ تم استعمال هذه الطريقة بنجاح من شركة شل في كندا لاستخراج النفط من الزيت الرملي.

Total World Oil Reserves



Notes

1. Shale oil now responsible for the increase of the USA production and reserves fall under 'conventional oil'
2. Oil shale is not shown here because the produced hydrocarbon is Kerogen which is immature oil than requires treatment to become oil.

تذبذب وارتفاع اسعار النفط

بدأ العالم بانتاج النفط من أعماق ضئيلة حيث كان عمق اول بئر تم حفره 69 قدماً، وبدأت صعوبة الانتاج تتصاعد وكذلك الكلفة ، فبعد اكتشاف اكبر الكميات المتواجدة من هذا النوع من البترول السهل وخصوصاً على اليابسة بنهاية العقد السادس للقرن العشرين بدأ البحث ثم الانتاج من المناطق الاكثر صعوبة كالمياه الضحلة والمتوسطة مثل بحر الشمال وآلاسكا واستمر ذلك حتى نهاية القرن العشرين. وعندئذ بدأ الحفر في الاماكن الاكثر صعوبة في أعالي البحار في أعماق مياه يزيد عمقها عن 5000 قدم وتبعد عشرات بل ومئات الكيلومترات عن الشواطئ او اليابسة . وكانت إحدى الآبار التي حفرت حديثاً في اعالي البحار فوق مياه تزيد عن 5000 قدم وآبار تزيد اعماقها عن 35000 قدم . ولقد تزامن وقت بدء الانتاج من الآبار البحرية العميقة مع البدء بالانتاج من البترول الثقيل جداً في فنزويلا والزيوت الرملي خصوصاً في كندا والصخر الزيتي والذي بدأ يحظى باهتمام غير مسبوق كون هذا النوع من البترول غير التقليدي هو صاحب اعلى احتياطي عالمي من كل انواع البترول . لكن الشيء الاكيد أن عصر النفط السهل والرخيص قد انتهى وإلى غير رجعه وأن الضغط على الانتاج سيزيد لزيادة الطلب نتيجة إلى تعويض الفاقد من المخزون والجديد الناتج عن النمو السكاني .

العوامل التالية تؤثر على الاسعار :

- **كلفة الانتاج:** ارتفاع كلفة الانتاج من الابار العميقة داخل البحار و الزيت الرملي والبترول الثقيل قد تصل الى ما بين 10 الى 20 ضعفاً لكلفة الانتاج العربي عموماً مما ينعكس على السعر.

- العرض والطلب : كما هو الحال في اي سلعة
- السياسة: دراسة مادة الحالة 096-383-9 في كلية الدراسات العليا للإدارة في جامعة هارفارد تقول « السيطرة على سعر النفط وكمية انتاجه هما من ركائز الامن القومي الامريكي». لذلك تتحكم الولايات المتحدة بالسعر لمصلحتها عن طريق رفع أو خفض الانتاج عن طريق (حلفائها من المنتجين الكبار)
- المضاربات: بينما كان البترول يباع مباشرة من المنتجين الى شركات التكرير والتسويق أصبح اليوم سلعة من السلع التي يتلاعب بها وول ستريت صعوداً وهبوطاً لاسباب غير حقيقية يتم تبريرها لعمل هامش ربح في حالة الصعود وفي حالة الهبوط.

العرض والطلب

يستهلك العالم اليوم 90 مليون برميل في اليوم ، وهي حوالي 40000 غالون في الثانية . وعلى الاكتشافات الجديدة أن تعوض أولاً عن هذا الاستهلاك مضافاً إليه النمو السكاني والزيادة نتيجة للنمو الاقتصادي خصوصاً للدول النامية.

يتوقع الديمغرافيون أن يزداد عدد سكان العالم من 7 مليار إلى 9 مليار نسمة بحلول سنة 2025. وأغلب الزيادة ستكون في بلدان فقيرة معدّل الدخل فيها أقل من \$3000/ للشخص. تبدأ الزيادة اللوغرتمية عند وصول المعدل إلى \$3000 فما فوق . عندئذ سيزداد الطلب على الأقل إلى ضعف ما هو عليه اليوم أي حوالي 160 مليون برميل يومياً .

أكثر الاحتياطات العالمية من النفط السهل والرخيص والعادي ستنتهي خلال 25 سنة ، عدا الدول العربية في المشرق والمغرب العربي حيث ستنتضب هذه الموارد خلال معدّل 75 سنة .

حتى 2030 – المتوقع زيادة الطلب على النفط 80 مليون برميل /اليوم زيادة من الاستهلاك الحالي باعتبار استمرار الصين لاستخدامه و للفحم الحجري كما الآن، وكذلك الزيادة في الغاز أكثر من الزيادة في البترول. اما معدل العجز في الاستكشافات لتعويض الاستهلاك هو الآن بمعدّل 4.6%. لذلك

يتوقع السعر في أحسن أحواله أن يصل في سنة 2030 إلى ضعف السعر الحالي أي \$230/البرميل.

غاز الصخر الزيتي Shale Gas في السعودية

بفضل اكتشافات الولايات المتحدة لهذا النوع من الغاز انتقلت من مستورد للغاز الى مصدر له ، وهبط سعر المليون BTU من الغاز من حوالي 11 دولار الى 4 دولارات خلال سنوات قليلة .

معدّل استهلاك النفط في السعودية يتسارع بشكل كبير ، قرابة 3 مليون برميل أي حوالي ثلاث أضعاف الانتاج الكلي لدولة مثل قطر وجزء كبير من هذا الاستهلاك يستعمل لتوليد الكهرباء. تعتبر المملكة العربية السعودية كصاحبة خامس اكبر احتياطي للغاز في العالم بدون غاز الـ (Shale) .

ويقدر وزير البترول السعودي علي النعيمي كمية الغاز الصخري بحوالي 600 تريليون قدم مكعب . أما صاحبة المركز الاول لهذا النوع من الغاز فهي الصين والتي بدأت بخطة تطويره بداية لانتاج 230 مليون قدم مكعب في اليوم.

ستقوم السعودية بتزويد محطة كهرباء لمؤسسة معادن الحكومية لانتاج الفوسفات بطاقة 1000 ميغاوات مستعملة الغاز الصخري لتوليد الكهرباء في هذه المحطة، كذلك ستقوم بتزويد محطة كهرباء جيزان والتي ستزود مصفاة تحت الانشاء بطاقة 400 ألف برميل . كما انها تقوم بعمليات استكشاف في البحر الاحمر وكذلك جنوب حقل غوار والربع الخالي والشمال الغربي من البلاد ، وسيتم استبدال النفط ومشتقاته السائلة بهذا الغاز مع التركيز على بناء المحطات الكهربائية الجديدة لتعمل على الغاز.

الاحتياط العالمي المثبت للغاز

Proven gas reserves

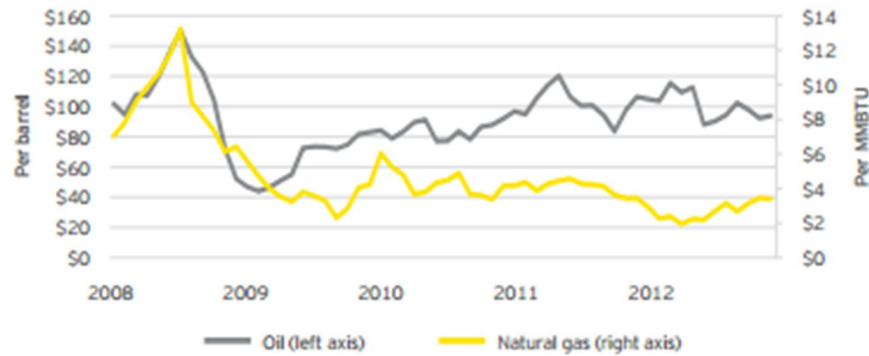
Rank	Country/Region	Natural gas proven reserves (m ³)	Date of information
Total	<i>World</i>	187,300,000,000,000	
1	Iran (see: Natural gas reserves in Iran)	33,600,000,000,000	12 June 2013 est.^[3]
2	Russia	32,900,000,000,000	12 June 2013 est.^[3]
3	Qatar	25,100,000,000,000	12 June 2013 est.^[4]
4	Turkmenistan	17,500,000,000,000	12 June 2013 est.^[5]
5	United States	8,500,000,000,000	12 June 2013 est.^[5]
6	Saudi Arabia	8,200,000,000,000	1 January 2012 est.^[6]
7	Venezuela	5,524,500,000,000	19 July 2011^[7]
8	Nigeria	5,246,000,000,000	1 January 2010 est.
9	Algeria	4,502,000,000,000	1 January 2010 est.
10	Australia	3,825,000,000,000	1 January 2012 est.^[6]
11	Iraq	3,600,000,000,000	1 January 2012 est.^[6]
12	China	3,100,000,000,000	1 January 2012 est.^[6]
13	Indonesia	3,001,000,000,000	1 January 2010 est.

14	Kazakhstan	1,900,000,000,000	12 June 2013 est.^[5]
15	Malaysia	2,350,000,000,000	1 January 2010 est.
16	Norway	2,313,000,000,000	1 January 2010 est.
17	United Arab Emirates	2,250,000,000,000	1 January 2010 est.
18	Uzbekistan	1,841,000,000,000	1 January 2010 est.
19	Kuwait	1,798,000,000,000	1 January 2010 est.
20	Canada	1,754,000,000,000	1 January 2010 est.
21	Egypt	1,656,000,000,000	1 January 2010 est.
22	Libya	1,539,000,000,000	1 January 2010 est.
23	Netherlands	1,416,000,000,000	1 January 2010 est.
24	Ukraine	1,104,000,000,000	1 January 2010 est.
25	India		

Source;

http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_by_natural_gas_proven_reserves

Beginning-of-month spot prices



Source: U.S. Energy Information Administration

Gas reserves

US – proved gas reserves (Bcf) (a)

	2008	2009	2010 (b)	2011	2012 (c)
Beginning of year	140,733.1	147,503.5	154,756.5	174,477.6	184,311.4
Additions:					
Extensions and discoveries	19,080.4	27,802.5	28,381.2	27,710.9	24,631.8
Improved recovery	1,866.9	719.9	1,338.2	846.3	1,382.4
Revisions	(6,866.1)	(8,709.9)	1,438.2	(4,252.8)	(29,310.1)
Production	(11,042.9)	(11,744.2)	(11,867.7)	(13,031.4)	(13,554.6)
Purchases	5,600.5	1,201.6	17,382.7	6,540.0	6,839.9
Sales	(2,588.3)	(2,416.6)	(17,018.5)	(7,977.6)	(9,238.1)
Other (d)	720.0	399.7	67.0	(1.6)	(0.1)
End of year	147,503.5	154,756.5	174,477.6	184,311.4	165,062.6

(a) Includes the 50 largest companies based on 2012 end-of-year oil and gas reserves. Activity related to acquired companies has also been reflected as described on page 1.

(b) Beginning-of-year reserves for 2010 include 12,501.7 Bcf, which represent XTO Energy's end-of-year 2009 gas reserves. Sales for 2010 include 12,501.7 Bcf, to reflect the sale of XTO Energy's reserves to ExxonMobil.

(c) Beginning-of-year reserves for 2012 include 3,355.1 Bcf, which represent Petrohawk Energy's end-of-year 2011 gas reserves. Sales for 2012 include 3,355.1 Bcf, to reflect the sale of Petrohawk Energy's reserves to BHP Billiton.

(d) Includes transfers, reclassifications and other.

Source;

[http://www.ey.com/Publication/vwLUAssets/US_oil_and_gas_reserves_study_2013/\\$FILE/US_oil_and_gas_reserves_study_2013_DW0267.pdf](http://www.ey.com/Publication/vwLUAssets/US_oil_and_gas_reserves_study_2013/$FILE/US_oil_and_gas_reserves_study_2013_DW0267.pdf)

القسم الرابع

نهاية نظام

قال البروفيسور جوزف ستغلنز Joseph Stiglitz استاذ الاقتصاد في جامعة كولومبيا والحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد:

" المشتقات المالية اعتمدت على مبدأ أن هناك أحمقاً يولد كل دقيقة ... أما العولمة فاعتمدت على مبدأ أن العالم قد أصبح مسرحاً للتفتيش عن هؤلاء الحمقى ، وقد وجدوهم في كل مكان" ²⁵

وقال في مقابلة بتاريخ 2009/3/29 مع مجلة نيوزويك : عن خطة غيتنر لتفريغ حمولة المصارف من الديون الرديئة في الولايات المتحدة:

" إنه لأمر فظيع ، أن لا يتحمل المستثمرون المسؤولية – ما زال بمقدورهم الابتعاد إذا ما ساءت الأمور ، إنه ما ادعوه بالاشتراكية الأميركية : اشتراكية الخسائر وخصخصة الأرباح."

²⁵Nobel Prize Laurette , Columbia University economics professor Joseph Stiglitz in testimony to Congress in October 2008

خرجت ماليزيا بأقل الخسائر من أزمة جنوب شرق آسيا في نهاية التسعينات من القرن الماضي لأنها رفضت وصفات صندوق النقد الدولي . حينها قال رئيس وزرائها مها تير محمد²⁶ في مقابلة مع مجلة بيزنس ويك: "سؤال : لكن الحجة هي أنه بعد فترة قصيرة من الالم ، فإنكم سوف تصبحون أكثر تنافسية في المدى البعيد .

جواب : لا اشتري هذا الادعاء . بعد ما تم قتل العديد من الشعب ، وتدمير الكثير من الشركات ، وتحطيم كافة البنوك ، وبعد هز الثقة بالنظام بأكمله، عندئذٍ تقولون : الان ستصبحون أقوى ثانية . لا . أن الامور لا تسير بهذا الشكل . لقد استغرقنا 40 سنة لنصل حيث وصلنا قبل الازمة ولقد اخذتنا هذه الازمة 25 سنة الى الوراء."

²⁶ MALAYSIAN PRIME MINISTER IN AN INTERVIEW WITH BUSSINISS WEEK

الفصل الثالث عشر

اشتراكية الخسائر وخصخصة الأرباح افلاس نظام اقتصاد كازينو العولمة الاشتراكية الأمريكية :

حُكم بارونات المال وشركاتهم بلغ قدراً أصبح معه من غير المستهجن أن يُصرح رئيس مجلس النواب الأمريكي السابق نيوت غينغرش (Newt Gingrich) " بأن السياسات الرئيسية يمكن إقرارها بعد سؤال شركاتنا عبر القطرية الكبرى لاسداء النصيحة ". أما George Gilder جورج غيلدر فأعلن أن " المبادرين (الرأسماليين) هم من يعرفون قوانين الأرض وكذلك قوانين السماء".

أبواق بارونات النظام الأنكلوساكسوني الرأسمالي المضارب من الاكاديميين أو الإعلاميين الذين أعلنوا عن نهاية التاريخ حيث أصبح لا بديل لأي دولة من الأمم عن اعتماد النظام الديمقراطي الغربي " متلازماً مع نظام السوق المفتوح كنموذج أوحده على سائر الدول أتباعه " أما توماس فريدمان Thomas Friedman فكتب في جريدة النيويورك تايمز بأن " النظام المالي (الأنكلوساكسوني) قد حوّل العالم إلى نظام برلماني يتم التصويت خلاله كل ساعة ، وكل يوم بواسطة وسطاء شارع المال عبر

ادواتهم مثل صناديق التحوط والادخار." ان ديمقراطية وول ستريت هذه والتي قال عنها جورج دبليو بوش أنها صالحة لكل زمان ومكان .

كتب أحد الاقتصاديين والسياسيين الأمريكيين بأنه قد يتبين لهؤلاء جميعاً أن نهاية التاريخ كانت حلمًا واذنوبة ، وأن هؤلاء أنفسهم قد بدؤوا يتعلمون اللغات الصينية والهندية لعصر من التاريخ قادم وجديد .

هل هذه هي الضربة القاضية ؟

حدثت أعاصير كثيرة خلال ربع القرن من الانفلات ، واسم الدلع لهذا الانقلاب هو فكفكة القوانين ، وعاش آلن جرينسبان 18.5 سنة منها على رأس البنك المركزي الأمريكي. فمذ أيام الريغانية Reaganomics حدثت ثلاثة أعاصير كلما جاءت واحدة لعنت أختها . الأولى كانت فقاعة 1984 – 1989 والتي نتج عنها انهيار سوق المال بشكل غير مسبوق ، وانهيار بنوك التوفير والإقراض ، مما اضطر الحكومة لحملة إنقاذ كلفت دافعي الضرائب الأمريكيين مئات بلايين الدولارات. ثم جاءت فقاعة 1996-2000 والتي تلاها انهيار سوق ناسداك (Nasdaq) ، وخسر 74% من قيمته أيام ذروة سعره سنة 2000 وحتى سعر هبوطه الأدنى سنة 2002 والذي صاحبه انخفاض بنسبة 40% لسوق داو جونز (Dow Jones) في الفترة نفسها. وكانت فقاعة 2003-2007 والتي انفجرت عام 2008 وكلفت دافعي الضرائب الأمريكيان تريليونات الدولارات حتى الآن.

هل هذه هي الضربة القاضية ؟ من الأكيد ان أزمة 2008 الاقتصادية ستكون أزمة عميقة وطويلة وسوف يخرج منها النظام ضعيفاً وبتغيرات عميقة والتي ستتم طوعاً أو كرهاً . وسيزداد عدد المعارضين للنظام والذين سيبدؤوا بالبحث عن نهج جديد ونستدل على ذلك بملاحظة أن الفترة ما بين الفقاعة والأخرى في تناقص زمني، وأن كل أزمة كانت أعمق من سابقتها ، وأنه قد تم تغليف الفقاعة بفقاعة أكبر وأخطر في كل مرة؟!!

بقي المصرفيون العالميون لصوصاً ...

منذ فجر التاريخ ، ومنذ أيام المسيح ، وقبل آلاف من السنين مضت وانقضت، وحتى أيام برنارد مادوف وأشباهه في وول ستريت ، وسرقته

64 مليار دولار ، بقي المصرفيون العالميون لصوصاً ... عدا أنهم أتقنوا حرفة لصوصيتهم- عبر مسيرتهم ، مستخدمين أحدث الحواسيب ومبرمجي علوم الصوراخ ، لتعظيم سرقاتهم . وأصبحت مناوراتهم والأعبيهم أكثر تعقيداً ، إلا أن ثقافتهم بقيت ثابتة لم تتغير ، ووظفوا " مأجورين " - أسموهم اقتصاديين - كُهاناً لنظامهم لتبرير تجاوزاتهم المفرطة ، والذين نظروا لهم ولعقيدتهم ، بأن " الجشع ورع " ، أو أن " الجشع والبخل والربا والحرص يجب أن تكون آلهتنا ... لأنها هي فقط تستطيع هدايتنا ..إلى ضوء النهار " ، كما جادل كينز في عمله المشهور " النظرية العامة في التوظيف والفائدة والنقود".

ويمكن لأحد كبار الكهنة - مثل كينز - أن يقوم على خدمة أغراضهم يوماً ، بينما يقوم كبير كهنة آخر - ربما ميلتون فريدمان - على خدمتهم في يوم غيره ، حيث يتم تبجيله ويضخم دوره كي يروج غرضاً آخر ؛ ولا يضر حتى لو ادعى بأن جميع سابقه في مؤسسة الكهانة ، كانوا على خطأ جملة وتفصيلاً ، وأن الخلاص إنما يتأتى من نظرياته .

آلان جرينسبان Alan Greenspan الرجل الذي أدار الاقتصاد الأميركي كرئيس للاحتياط الفيدرالي البنك المركزي الأمريكي لمدة 18.5 سنة - غطت الجزء الأعظم من فترة تحرير المحافظين للاقتصاد - هذا الرجل ، في شهادته بتاريخ 23 تشرين الأول 2008 أمام لجنة الكونغرس حول الأزمة المالية آنذاك ، قال : " إننا في وسط إعصار ، أو تسونامي تسهيلات ائتمانية ، يحدث مرة في القرن " . وطبقاً لسي.بي.إس. نيوز فإن آلان جرينسبان قد أنكر أن أزمة الأمة الاقتصادية هي غلطته .. " لا أنه سلم بأن عملية الانصهار ، أظهرت خلا ، في فترة عمر كامل من التفكير الاقتصادي ، وتركته في حالة من الصدمة وعدم التصديق " . واعترف أثناء الاستجواب ، بأنه قد ارتكب " غلطة " في اعتقاده بأن البنوك - وهي تعمل لمنفعتهم ومصالحهم الذاتية - ستقوم بعمل ما هو لازم لحماية مساهميه ومؤسساتها . ودعا جرينسبان ذلك عيباً ونقصاً في النموذج .. يعرف ويبين كيف يعمل العالم.

وكان العيب الذي " اكتشفه " جرينسبان في النموذج الاقتصادي الذي كان يقوده ، لا أقل من الاعتراف ، بأن يد آدم سميث " الخفية " - لتعديل أوضاع

الأسواق - ليست موجودة . وهكذا وبالنتيجة ، فإن النظرية وراء نظام جرينسبان الرأسمالي برمتها ، يعترئها النقص والعيب .

و تم إحضار بن برنانكي إلى عين الإعصار ، ليس بمحض الصدفة ، وإنما لأن أطروحته للدكتوراه بمعهد مساشوسيتس للتكنولوجيا (MIT) جادلت بأنه في حالات الكساد ، مثل الكساد الكبير ، فإنه ينبغي إنقاذ البنوك بأي ثمن . ولأنهم كانوا جالسين فوق بركان مالي يعلمون مخاطره قبل غيرهم جاؤا برئيس للبنك المركزي الجديد خصص حياته الأكاديمية على مبدأ ضرورة إنقاذ البنوك في حالات الكساد كالتى مرت في الثلاثينات من القرن العشرين ، وكان هو ومصرفي سابق من وول ستريت ..هنري بولسون (الرئيس التنفيذي لشركة جولدمان ساكس) وزير خزانة جورج بوش ، قد صدقا الرؤية والوعد ، باستخدام دفاتر شيكات دافعي الضرائب لإنقاذ المصرفيين ذاتهم، وهم الذين عرّضوا غالبية دافعي الضرائب للاجتياح بالتسونامي المالية .

داخل الانصهار

لكي نقوم بوصف حجم الأزمة التي عصفت بأسواق المال الأميركية والعالمية ، نورد اقتباساً عن البرنامج الذي أذاعته شبكة التلفزيون الأميركية (pbs) في 2009/2/17 تحت عنوان - خط الجبهة - داخل الانصهار:

في 2008/9/18 وصل هنري بولسون وزير الخزانة ، وبرنانكي رئيس الاحتياط الفيدرالي ، إلى اجتماع طارئ في الكابيتول الكونغرس، وذهبا إلى مكتب نانسي بيلوسي . وهناك كان اجتماع لكبار المشرعين من كلا الحزبين في كل من مجلسي النواب والشيوخ ، حيث وصف السناتور كريستوفر دود (ديموقراطي عن ولاية كونكتيكت) رئيس لجنة المصارف ذلك الاجتماع:

"من الواضح أنه كان اجتماعاً كبيراً ، ولم يكن لدي فكرة عن أنني سأسمع ما سمعته . وكان أن أكلنا الأمر لبن برنانكي وهانك بولسون ، اللذين قالاً بأنهما يحتاجان الصلاحية لاستخدام 700 مليار دولار ، لتسليك تدفقات أسواق الإئتمان "

وقال السناتور كريستوفر دود : "كنا جالسين في تلك الغرفة مع هانك بولسون وزير المالية وهو يقول لنا بلهجة محسوبة تماماً ، ودونما مبالغة أو نعوت تضخيمية بأنه ، مالم نتصرفوا ، فإن النظام المالي لهذا البلد وللعالم ، سينصهر خلال أيام . عندها قال برنانكي : " إذا لم نفعل هذا غداً ، فإنه لن يكون لدينا اقتصاد يوم الاثنين " . وأضاف السناتور دود " كان هناك - حرفياً - جمود في تلك الغرفة ، حيث هجرها الأكسجين"²⁷

دعنا نرى كيف وصفت النائبة نانسي بيلوسي (Pelosi) ذلك الاجتماع كما كتبتة هي بقلمها في جريدة USA Today في 2013/9/18 .

تقول بيلوسي انها ردت على اتصال وزير المالية بولسن يوم الخميس وطلبت منه الاجتماع في اليوم التالي لبحث موضوع الانصهار المالي والذي أخبرها عنه دونما تفاصيل. أجابها بولسن " غداً صباحاً سيكون الامر متأخراً جداً. " وفهمت من ان الرئيس جورج بوش لا يريد اطلاق كافة اعضاء الكونغرس على شدة الازمة . " عندها قررنا الاجتماع في نفس اليوم الساعة الخامسة مساءً، وطلبت من رئيس مجلس الاتحاد الفدرالي بالحضور ايضاً، وهكذا بدأ الاجتماع بحضور قادة الحزبين في مجلسي الشيوخ والنواب قال بولسن إن الانصهار المالي آتٍ من أعماق جهنم . عندها سألت برنانكي ما رأيه اجاب: اذا لم نتصرف فوراً الان سوف لن يكون هناك اقتصاد يوم الاثنين القادم . كان ذلك ليلة الخميس. أصيب بالرعب كل من كان في الغرفة."

سأل رئيس الاغلبية في مجلس الشيوخ (هنري رييد Reid) وزير المالية عن المبلغ الذي يحتاجه لخطته في شراء الاصول المتعذرة في البنوك والتي تسببت في الازمة المالية ... "هل المبلغ 100 مليار اجاب بولسن لا... إذن 200 مليار .. ايضاً لا.. 400 مليار ... ايضاً لا . عندها قال بولسن أنه سيرسل لنا المبلغ المطلوب لاحقاً."

يوم السبت التالي تقول بيلوسي " ارسل لنا بولسن أن المبلغ المطلوب هو 700 مليار دولار " . ليست المشكلة فقط كبر المبلغ ولكن بأن يكون المبلغ كله تحت تصرف وزير المالية و بدون اي مساءلة قانونية.

²⁷Frontline

Interview. <http://www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/meltdown/etc/script.html>

رجال الكونغرس يستمعون إلى وول ستريت

كتب غاري ويز Gary Weiss في بزنس ويك - 2002/2/25:

"فضيحة كبرى تتصدر الصحف. اجتماعات الكونغرس، واتهامات جنائية تبدو في الأفق. إنها الآن قصة شركة إنرون. لكن فضيحة جديدة تظهر، كل بضع سنوات، في عالم الشركات الأميركية... وفي كل حالة من هذه الحالات، وبعد أن ينجلي الموقف لا شيء ذا أهمية يتغير، لأن صانعي القرارات والقوانين يتراجعون عن اتخاذ أي إصلاح ذي معنى... فذاكرة الجمهور قصيرة... وجمهور المستثمرين الصغار الجدد غير منظمين... ورجال الكونغرس حتماً سيستمعون إلى وول ستريت، وقوى الضغط... حينما يتكلمون - فهؤلاء هم الذين يمطرونهم مالا لحملاتهم الانتخابية".

وهاهم أولاء ، مشرّعون من ضمنهم رئيس لجنة المصارف في الكونغرس، والذي قال هو ورئيس اللجنة المالية - من بين آخرين - بأنهم لم يكونوا يدرون بأنهم سيسمعون ما سمعوه . ومع ذلك طلب إليهم يوم الجمعة ، أن يتخذوا قرارات لإنقاذ وول ستريت ب700 مليار دولار ، دون إلقاء أسئلة ، ودون دراسة ، وإنما مجرد الكلمة الموثوقة لكل من بولسون ، الرئيس التنفيذي السابق لجولدمان ساكس ، وبن برنانكي - الذي كما هي العادة ، يدين بوظيفته لأول ستريت . وقد لام الكثير من المحللين الاحتياط الفيدرالي (البنك المركزي الأميركي) وسياساته، في فترة اقتصاديات ريغان ، حيث جرى تحرير الاقتصاد خلال الجيل الماضي . وقد أقيم مبنى الاحتياط الفيدرالي في واشنطن ، حيث بني على شكل يشبه المعبد ، ويحيط نفسه بغموضٍ روحي أحسن وصفه وليام جريدر:

" يستجيب كل من الصحافة والسياسيين لغموض بنك الاحتياط ، ويميلون إلى النظر إليه بتوقير وإجلال بصفته مؤسسة تكنوقراطية وسياسية حاكمة تتكون من اقتصاديين متحمسين ، يقرّرون في مواضيع غامضة وغاية في التعقيد ، يصعب على بقيتنا فهمها - وهذه الاستجابة والميل ، يعززان من قوة البنك المركزي . ويسمح إجمالي الجهالة ببنك الاحتياط لأن يتصرف

دون أن يكون عرضة للمسئولية عن أحكامه الأحادية الجانب ، أو عن أخطائه الجسيمة".²⁸

ازدهار وإفلاس وحروب

وشهد عقد التسعينيات ازدهاراً سرائياً مخادعاً أفاد منه وول ستريت والشركات متعددة الجنسية ، بينما عانت معظم الشركات متوسطة إلى صغيرة الحجم . وانفجر هذا الوهم في عام 2000 عندما انهار سوق أسهم التكنولوجيا ، وكان لابد من حادث كحادث 9/11 تبريراً للحرب لإخراج الاقتصاد الأمريكي من أزمتته . وتمّ تغطية فقاعة عام 2000 بأكبر فقاعة عرفها التاريخ. وأتبع ذلك بحرب ، كما يمكن للمرء أن يتوقع من النظام الرأسمالي عبر تاريخه تالياً لركود اقتصادي ، وفي هذه المرة دعيت تلاؤماً مع الحدث - بالحرب على الإرهاب . وأعلن أن هذه الحرب دائمة ومستمرة وبلا حدود ، ولا حاجة للدليل لإعلان الحروب وغزو البلدان، حيث الحرب الاستباقية حق إلهي منحه الرب لجورج بوش وأمريكاه ، وشنت الحرب على أفغانستان وتمّ غزو العراق ، وبذا تمّ تغطية فقاعة التكنولوجيا بأخرى أكبر منها . ثم تبع ذلك في 2007 انفجار فقاعة القروض العقارية عالية المخاطر وبالطبع ، فمن الواضح أن الاحتياط الفيدرالي لم ينجز مهمته المزعومة في تثبيت الاقتصاد ، من حيث الركود ، والإفلاس والازدهار ، بما في ذلك الكساد الكبير -فضلاً عن الأزمة الاقتصادية الراهنة -والتي حدثت في عهده ، لا بل - وإلى حدّ كبير- بسببه ، وبسبب سياساته . إلا أن الاحتياطي الفيدرالي مع ذلك ، قد أبدع في رعاية وتيسير مصالح المصرفيين عبر تاريخه كله ، بما في ذلك رصد أموال دافعي الضرائب لإنقاذ وول ستريت . وأوضح بول فولكر نفسه، وبشكل لا غموض فيه بأن ناخبي الاحتياط الفيدرالي ومسؤوليته هم وول ستريت أي شارع المال، وليس شارع العموم . تمّ تعيين فولكر رئيس المستشارين الاقتصاديين لباراك أوباما، وكان خدم في الثمانينيات رئيساً للاحتياط الفيدرالي ، وأدت سياساته الانكماشية إلى الإضرار بالمزارعين بشكل خاص ، وفي شباط 1985 قام وفد من نواب

²⁸[William Greider](#), *Come Home, America: The Rise and Fall (and Redeeming Promise) of Our Country*, Rodale, 2009, 44

13 ولاية زراعية بزيارة إلى واشنطن كي يشرحوا لفولكر أن سياساته تلحق الأذى بالمزارعين . وطبقاً لكتاب " أسرار المعبد " ص 670 كان رد فولكر للمشرعين : " إن ناخبيكم غير سعداء ، أما ناخبي أنا ، فليسوا كذلك " ، وناخبو فولكر السعداء هم بالطبع مصرفيو وول ستريت .

كانت الولايات المتحدة تفرض عولمتها وماركتها الخاصة للرأسمالية الإنكلوساكسونية الأميركية على معظم أرجاء العالم خلال تسعينيات القرن العشرين ، وكانت شركة طيران يونائيد الأميركية تشحن حمولات طائرات كاملة من ورقة المائة دولار النقدية إلى روسيا ، وكان هناك عشرات البلايين من الدولارات في التداول ، بعد فترة وجيزة من انهيار الاتحاد السوفيتي ، ومثل هذه النقود كانت قروضاً بلا فوائد لصالح خزينة الولايات المتحدة الأميركية ، طالما أبقوها في بلدهم ! ، ثم تبع ذلك في 2007 انفجار فقاعة القروض العقارية عالية المخاطر ، ثم انهيار وإخفاق النظام المصرفي بكامله .

جذور أزمة 2008

ويمكن تقفي آثار جذور أزمة 2008 إلى انهيار دوت.كوم (dot.com) في عام 2000 ، والذي مؤداه أن فقاعة تسعينيات القرن العشرين - قد غمرتها وأحاطت بها - فقاعة أكبر ، وذلك عندما خفض الاحتياطي الفيدرالي معدلات الفائدة من 6,5 إلى 3,1 بالمائة ، ثم إلى واحد بالمائة في تموز 2003 . وخلق هذا انفجاراً في شراء الموجودات المدعوم بالديون ، كما خلق فقاعة إسكان ، وذلك بسبب أنه ولمدة 31 شهراً متتالية ، كانت فائدة الأساس المعدلة تضخماً للأجل القصير ، سالبة وخلقت المصارف وسائل مالية وهمية خطيرة ، بغرض تحميل المخاطر لجهات أخرى ، ولكن لمن ؟ : لصناديق التقاعد ، وصناديق الاستثمار الوقائية (Hedge Funds) ، بصفتها وسائط استثمار تركيبية ، تستبقي مراكزها المالية الخاصة بها في منأى عن الظهور في صحائف ميزانياتها . وبالنتيجة ارتفعت قيم المنازل بأكثر من 40% بين سنتي 2000 و2005 ، وأغرى وول ستريت الناس بشراء البيوت لغرض الاستثمار ، هذا إذا كانوا يملكون بيتاً ، وكانت نسبة البيوت التي اشترت

لأغراض الاستثمار أكثر من 50% من مجموع ما تم شراؤه من بيوت ، وإغراء الناس بالشراء ، ابتدع وول ستريت منح سنتين فائدة بأقل من سعر السوق ، وسعر رهن قابل للتعديل ، وخفض وول ستريت معايير الائتمان ، وتم بيع بيوت لأناس ذوي تقارير ائتمان بتقديرات منخفضة ، فيما أصبح يعرف بالرهونات عالية المخاطر . وبيعت العقارات لأناس (بدون دخل ، بدون عمل ، بدون ممتلكات) ودعوا ذلك نينجا. (no income, no job or assets) Ninja. ومن أجل توفير حماية أكثر لأنفسهم ، اخترع مصرفيو وول ستريت الاستثماريون سوابس (SWAPS) حيث يمكن تأمين الائتمان ، ودعيت هذه الأدوات تبادل مخاطر الائتمان (CDS) ، ولقد تم إصدار 24,6 تريليون CDS مقارنة بالقيمة الكلية التقديرية لسوق الأسهم والبالغة 18,5 تريليون دولار ، بينما بلغ تقدير قيمة سوق الخزينة الأميركية بـ 4.5 تريليون دولار فقط .

وقد فُرع جرس الإنذار الأول عندما طرد بنك HSBC رئيس قسم الرهونات في أميركا لديه عام 2007 ، وفي هذه الأثناء أخفق صندوقا استثمار وقائي في الرهونات ، تابعان ل بيرشترنز Bear Stearns ، ولكن رئيس الاحتياط الفيدرالي بن برنانكي طمأن العالم بأن مشكلة الائتمان عالي المخاطر هي مشكلة معزولة، وحيث أن صناديق الاستثمار الوقائية الحيادية ، أو إن شئت المستقلة تعتمد بشكل كبير على الدين في شراء موجوداتها ، فإن الكثير منها قد مُسِحَ وعُصِفَ به تماماً ، وبدأت المصارف تشك ببيعها البعض حول الشفافية وحول مراكزها المالية، وتوقفت عن إقراض بعضها البعض ، وطالبت بالوفاء لعمليات الائتمان التبادلية SWAP ، وتفاقت المشكلة وساءت.

ومن المتفق عليه عموماً أنه يمكن الافتراض بأن تاريخ انفجار الأزمة الحالية هو شهر آب 2007، عندما أصبح على المصارف المركزية التدخل لتزويد النظم المصرفية بالسيولة ؛ ففي 9 آب أوقف مصرف BNP Paribas الفرنسي ، ثلاثاً من صناديق استثماره ، بعد رؤيته لمشاكل تنتاب قطاع الرهونات عالية المخاطر في الولايات المتحدة ، وأدى ذلك الى تجميد التسهيلات الائتمانية قصيرة الأجل ، وكان على المصرف المركزي الأوروبي (ECB) التدخل وضخ 95 مليار يورو في النظام المصرفي الأوروبي ، وتدخلت أيضاً المصارف المركزية للولايات المتحدة واليابان ، ولكن في اليوم التالي 10 آب كان على ECB ضخ 61 مليار يورو أخرى لإضعاف عضة الائتمان ، وفي 13 آب تدخل ECB كرهة أخرى وضخ 47,7 مليار يورو ، وفي اليوم ذاته

قالت جولدلمان ساكس إنها ستضخ 3 بلايين دولار في صندوق عمليات ائتمان تبادلية متعثر ، وفي 16 آب كان على Country Side Financial أن تسحب خطها الائتماني البالغ 11,5 مليار دولار في يوم واحد هو ذاك اليوم ذاته ، وكان الكثير من المصارف والمؤسسات المالية على شفا الإعسار.

وحسب كتاب سوروس الجديد:

" لقد تمشكل وول ستريت لأنه كان يبيع " ورقاً مالياً " رديناً ، إلى وسائل المستثمرين المالية التي كانت مضخمة القيمة ، وتم الترويج لها بإعلانات زائفة.وتفاقم حجم أعظم الموجودات/الصكوك العفنة شهرة، والتي حزم معها ما دعي بالرهونات عالية المخاطر ، على شكل سندات قابلة للتسويق، في الوقت الذي نمت فيه فقاعة أسعار الإسكان ، وقد بيعت سندات الرهن إلى مصارف ومستثمرين حول العالم بما في ذلك صناديق التقاعد والحكومات المحلية ، كاستثمار آمن وسليم ادعي بأنه يكاد يكون خلواً من المخاطر بتصنيف AAA ، الذي منحته لها وكالتا تصنيف خاصة . هذه الأزمة، وخلافاً للحلقات السابقة ، لا يمكن التملص من المسؤولية عنها بلوم حفنة من الفاعلين الأشرار ، أو بإلقاء اللوم على عاتق الحظ العاثر العشوائي ، ففي هذه المرة طال العار وول ستريت ذاته لأنه فشل بموجب شروطه.²⁹

الرأسمالية في طريق مسدود:

تحت عنوان : "بول فوكر : الأزمة الاقتصادية يمكن أن تكون أسوأ من الكساد العظيم" أوردت الأسوشييتدبرس ، أن فولكر، رئيس المجلس الرئاسي للإنعاش الاقتصادي ، الرئيس السابق للاحتياطي الفيدرالي ، تحدث إلى زملاء له خلال خطاب في حفل غداء بمركز الرأسمالية والمجتمع في جامعة كولومبيا يوم الجمعة تاريخ 20 شباط 2009 في نيويورك ، وقد استضاف المؤتمر أعضاء في القطاع الخاص من أرجاء العالم ، للمشاركة بوجهات نظرهم حول الاقتصاد العالمي ، وأكد فولكر الافتقار إلى الفهم

²⁹[George Soros, The Crash of 2008 and What it Means: The New Paradigm for Financial Markets, New York, PublicAffairs, 2009, 41](#)

لعملية الانصهار المالي العالمي ، كما عبّر عن الصدمة لسرعة انتشارها عبر العالم حيث قال:

" لا أتذكر أي وقت ، ولا حتى الكساد العظيم ، هوت فيه الأشياء بمثل هذه السرعة"³⁰ ، وأضاف بأن تعطل أسواق مالية مطلقة السراح ، قد لطم تقريباً جميع التوقعات والتنبؤات "وشكك في" عودتنا إلى نوعية النظام المالي الذي كان لدينا قبل الأزمة".

وفي 21 شباط 2009 غطت رويترز خطاب جورج سوروس في مؤتمر جامعة كولومبيا نفسه تحت العنوان: "سوروس لا يرى قاعاً للانهييار المالي العالمي" ، ونُقل عن سوروس قوله : "لقد شهدنا انهيار النظام المالي ، لقد وضع على أجهزة الإنعاش ، ولا توجد علامة على أننا في أي مكان قرب قاع النهاية"

ويبدو أن معظم الخبراء بمن فيهم أولئك الذين ينتمون إلى المؤسسة ، يقرون – على الأقل – بأن الأمور لن تعود لسيرتها الأولى بعد هذه الأزمة المالية ، ذلك أنها جلبت إلى السطح جميع العلل ونقاط الضعف التي تواجه البلد ، والتي من بينها - إضافة للنظام نفسه - مواضيع خطيرة لا بدّ من التصدي لها مثل: المديونية الهائلة ، والعجوزات التجارية ، وكلفة الاتجار بالحروب ، ورأس المال اللازم لإعادة التزود بالمعدات لجميع عمليات الإنتاج والبنى التحتية لفترة ما بعد الاقتصاد البترولي، مع معالجة المواضيع البيئية التي لا يمكن إهمالها لفترة أطول . ومعالجة هذه المسائل بشكلٍ صحيح سيتم اعتراضه من قبل الناس انفسهم. الذين سببوا هذه المشاكل، وعلى رأسهم وول ستريت، والمؤسسات المالية ، والشركات متعددة الجنسية .

قبل خمسة اسابيع من محاضرتي في جامعة هارفارد / كلية كندي للسياسات الحكومية Harvard's Kennedy School of Government عبّر مايكل شيرتوف ، وزير الأمن الوطني لدى إدارة بوش الثانية ، وفي نفس المكان ، عن رأيه في حديثه المعنون " لماذا لا تعمل واشنطن " ، والذي ألقاه في 12 شباط

³⁰http://www.huffingtonpost.com/2009/02/20/paul-volcker-financial-cr_n_168772.html

2008 : إن العوائق أمام التغيير في واشنطن بنيوية أكثر منها حزبية " ،
وطبقاً للوزير شيرتوف فإن المعوقات أمام التغيير – وإلى حد كبير – هي
مصالح الأفراد والجماعات النافذة ، والتي تجعل من الصعب إحداث تغيير
دراماتيكي في واشنطن " بما يحبط متابعة المصلحة العامة " ³¹.

لماذا تلوم آلن غرينسبان لقوله في الكونغرس بعد الازمة الاخيرة سنة 2008
بأن هناك خطأ ما في نظريات اقتصادنا لكني لا اعرف ما هو ، فقد قال ذلك
قبل عشر سنوات سنة 1998:

" إن التقدم الهائل في علوم الكمبيوتر والاتصالات في السنوات الاخيرة قد
ساهم في امكانية اعادة توزيع المخاطر بواسطة طرق هندسة مالية خلاقة .
لو تم اضافة ادوات مالية جديدة الى الادوات القديمة فإنها تسمح بمحاصرة
المخاطرة بطريقة كبيرة تتحدى الفهم البشري لهذه الادوات " ³².

³¹http://www.dhs.gov/xnews/speeches/sp_1203020606566.shtm

³² Alan Greenspan, excerpts from a speech reprinted in the New York Times November 6.1998.

جاء في مقال الواشنطن بوست بعنوان: "عالم خفيّ ينمو دونما مراقبة" إلى أن :

"سلطة رابعة قد نشأت وهي مُغيّبة تماماً عن أعين الشعب الرقابية بستار من السرية الفائقة. لقد أصبحت كبيرة جداً ، وحدود مسؤولياتها ضبابية ... بحيث أن قادة الولايات المتحدة لا يمسون بزمامها .. وهي موجودة في كل مكان في أرجاء الولايات المتحدة."

كما جاء في التقرير:

" أن عالم (السريّ جداً) الذي خلّقه الحكومة ... أصبح من الكبر والسريّة بحيث أن أحداً لا يعرف كم تبلغ كلفته المالية ، كم عدد موظفيه، وما هي برامجه وكم عدد الأجهزة التي تقوم بالعمل نفسه ".

" تذكّر أن دستور الجمهورية الأمريكية أقرّ صراحة بحق امتلاك الإنسان كعبدٍ مملوك وكجزء من ادوات الانتاج لم يتم الغاؤه الا بعد التعديل الدستوري الثالث عشر ."

وليم جريدر (William Greider)
The Soul of Capitalism, P61

ارباب المال العالمي

الهيمنة الأمريكية
ضوابط الكم والسعر للعملات

اصحاب النفوذ
طبقة الواحد بالمائة

المؤسسة المالية
الشركات المتعولمة
منظمات النخبة
الاعلام
النظام الاحتياطي الفدرالي

واضعوا التشريعات
POLICY FORMULATORS

جماعات الضغط اللوبي
LOBBIES
الصفوة
THE CRONIES

الادارة الامريكية
الرئيس الاميركي
(يتم انتخابه بدعم مالي واعلامي من
القوى اعلاه)

تألف واشنطن WASHINGTON CONSENSUS	
1	وزير الخزانة
2	وزير التجارة
3	صندوق النقد الدولي
4	البنك الدولي
5	الهيئات المالية الاقليمية

اللجنة التنفيذية	
1	وزير الدفاع
2	رئيس مجلس الاستخبارات
3	وزير الخارجية
4	الاحلاف الاقليمية مثل الناتو

اللجنة الاستشارية Consultative Committee	
1	مستشار الامن القومي
2	كبير موظفي البيت الابيض
3	رئيس مجلس الاحتياط الفدرالي
4	مجموع الدول السبع

النظام الرأسمالي المعلوماتي العالمي

هذا هو تصوّر الكاتب للمخطط التنظيمي الإداري للنظام العالمي الجديد(كما
ورد في كتاب نذر العولمة في صفحة 341)

الفصل الرابع عشر

السلطة الرابعة الخفية: حكومة عالمية سرّية ودول منقوصة السيادة

لو قلنا إن الولايات المتحدة قد أصبحت أكبر دولة بوليسية في العالم لقامت قائمة أنصارها ولم تقعد، لكن هذا ما أوحى به كبريات الجرائد الأمريكية "الواشنطن بوست" في تحقيق صحفي عبر ثلاث مقالات استغرق تحضيرها سنتان وعمل خلالها (20) من كبار صحافييها . كانت المقالة الاولى بتاريخ 2010/7/19 والتي جاء فيها:³³

- هناك (1271) مؤسسة حكومية تساعد (1931) شركة تخدمها ضمن أجهزة الاستخبارات ، والأمن الداخلي ومكافحة الارهاب .
- وهناك 854000 شخص ضمن هذه الاجهزة ممن يحملون تصاريح بالاطلاع على التقارير " سرّي جداً " وهذا العدد يزيد مرّة ونصف عن عدد سكان العاصمة واشنطن !

³³<http://projects.washingtonpost.com/top-secret-america/>

- هناك 33 مركزاً في واشنطن لوحدها مخصصة لآعمال المخابرات السرية جداً مساحة أبنيتها تعادل 17 مليون قدم مربع (حوالي 1.7 مليون متر مربع)

وصل هذا التحقيق الصحفي إلى أن "سلطة رابعة قد نشأت وهي مُغيبة تماماً عن أعين الشعب الرقابية بستر من السرية الفائقة ... لقد أصبحت كبيرة جداً ، وحدود مسؤولياتها ضبابية. بحيث أن قادة الولايات المتحدة لا يمسون بزمامها .. وهي موجودة في كل مكان في أرجاء الولايات المتحدة".

نحن لا نتكلم عن دولة في أواسط إفريقيا وإنما عن الولايات المتحدة الأمريكية. فهل الولايات المتحدة هي دولة بوليسية حقاً؟.

عنوان مقال الواشنطن بوست المشار إليه اعلاه كان بعنوان: "عالم خفي ينمو دونما مراقبة" جاء فيه أيضاً :

" أن عالم (السري جداً) الذي خلفته الحكومة ... أصبح من الكبر والسرية بحيث لا أحد يعرف كم كلفته المالية ، كم عدد موظفيه ، وما هي برامجه وكم عدد الأجهزة التي تقوم بالعمل نفسه ."

هذا هو بعض ما تم التوصل إليه بعد سنتين من التحقيقات من جريدة الواشنطن بوست والتي اكتشفت عن "ولايات متحدة أخرى فائقة السرية مخبئة عن الرأي العام ودونما رقابة".

هذه احصائيتي :

أذهلتنني أرقام دراسة الواشنطن بوست خصوصاً أعداد العاملين في أجهزة الأمن القومي : قمت بعمل دراسة سريعة لنسبة زملائي في الدراسة في كلية الدراسات العليا للإدارة لجامعة هارفارد ونسبة العاملين منهم في أجهزة الأمن القومي الأمريكية . كان عدد الزملاء مئة منهم ستين من الولايات المتحدة وأربعين من أرجاء العالم أكثرهم من أوروبا الغربية واليابان . ورجعت إلى ملفاتي وتحديثاتها نقلاً عن مجلة هارفارد ربع السنوية HBS

المرسلة الى خريجها . بالنسبة الى الاوربيين واليابانيين كان هناك واحد فقط هو JACQUES DUCING والذي انتقل من كونه مستشاراً علمياً للرئيس الفرنسي الى منصب نائب الامين العام لحلف الاطلسي (الناتو) للشؤون العلمية – أي نسبة غير الامريكين العاملين في مجال الامن القومي كانت 2.5 بالمئة . بفحص أسماء الزملاء الامريكين فوجدت أن 6 من 60 – أي عشرة بالمئة عملوا في أجهزة الامن القومي الامريكية المختلفة أي النسبة الامريكية اربعة اضعاف عن خارج الولايات المتحدة.

التالي اسماؤهم هم من الزملاء الامريكيين مع التنويه أنهم جميعاً الآن متقاعدين أو انتقلوا الى الرفيق الاعلى :

- جيرالد زيونيك Gerald Zionic - عمل مع وكالة الامن القومي NSA في مراكز و وظائف متقدمة في برمجيات الكمبيوتر والاقمار الصناعية ، ثم في البنتاغون مديراً للأنظمة في مكتب مساعد وزير الدفاع الامريكي ثم في وكالة مخابرات الدفاع DIA.
- لاري يرماك Larry Yermack - عمل مديراً لمشروع برنامج Transit لتوجيه اتصالات الاساطيل الامريكية ، ثم برنامج Astro لبث الاقمار الصناعية المباشر لوكالة الفضاء الامريكية NASA .
- جيمس ستانتون : James Stanton : عضو في الكونغرس ، عضو لجنة متابعة المخابرات .
- هوارد كروسر : Howard Krosser – مدير مشروع دبابات Abrams وأنظمة تسليح الدبابات – الجيش الامريكي .
- آن برادلي Ann Bradley : عملت بداية مع وكالة المخابرات المركزية CIA ثم انتقلت لوكالة الفضاء الامريكية ناسا كمديرة لشؤون الادارة وانظمة الاتصالات .
- الجنرال جوزيف كونولي General Joseph Connolly : نائب مدير ادارة المشتريات (وكالة التوريد الدفاعية) - البنتاغون (وزارة الدفاع)

من يملك الولايات المتحدة³⁴

عندما يملك 1% من مجموع اي امة ستة اضعاف ما يمتلكه 80% من تلك الامة فيسحتاج هؤلاء الـ 80% لماكنة اعلام تغسل دماغهم لتحمدهذه الجماهير الله على ما هي فيه من بلاء وعليها ان تؤمن بما قاله أحد كهنة نظامها جون مينرد كينز :

"علينا أن نتظاهر أمام أنفسنا وأمام الجميع بأن العدل خطأ وأن الخطأ عدل."

كما أنها بحاجة الى دولة بوليسية تُعَدّ على تلك الجماهير انفسها وتحافظ في آن واحد على ادعائها بأن نظامها هو ابو الديمقراطية التي يجب أن تعم نعمتها على العالميين ، والا فالويل والحروب لرافضي هذه النعمة وهذا النظام.

واحد بالمئة من الأمريكيين يمتلكون	السواد الأعظم من الأمريكيين يمتلكون
38.3% من الأسهم	80% يمتلكون 8.9% من الأسهم
42% من الثروة المالية	80% يمتلكون 7%
60.6% من السندات	90% يمتلكون 1.5%
62.4% من رأسمال المشاريع والأعمال	90% يمتلكون 6.7%

³⁴ Data compiled from:

<http://www2.ucsc.edu/whorulesamerica/power/wealth.html>

المجتمع الاستخباري الامريكي

يتكون هذا المجتمع من 16 وكالة حكومية للعمل داخل وخارج الولايات المتحدة من أعمال الاستخبارات والتجسس والعمليات السريّة. هذه قائمة بالوكالات واجهزة المخابرات الامريكية :

- وزارة الدفاع : ولها ثمانية أجهزة استخبارات وهي :

- وكالة الامن القومي NSA
- وكالة المخابرات للدفاع DIA
- وكالة تحليل الصور والمواقع NGA
- مكتب الاستطلاع الوطني NRO
- وكالة مخابرات سلاح الجو (AFISRA)
- وكالة استخبارات قيادة الجيش INSCOM
- وكالة استخبارات المارينز MCIA
- وكالة استخبارات البحرية ONI

- مكتب التجسس ومكافحة التجسس OIC – ويتبع وزارة الطاقة

- وكالة المخابرات المركزية (مستقلة) CIA

- دائرة الامن الوطني ولها هيئتان:

- مكتب المخابرات والتحليلات I&A
- مخابرات حرس السواحل CGI

- وزارة العدلية يتبعها جهازان :

- مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI
- ادارة مكافحة المخدرات DEA

- وزارة الخارجية

- مكتب المخابرات والتحليلات INR
-

- وزارة المالية

- مكتب الارهاب والمخابرات المالية

ابتزاز المخابرات للرؤساء وكبار الموظفين

في (الديموقراطية) الأمريكية قاد رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) إدجار هوفر ، سياسي واشنطن بمن فيهم رؤساء الجمهورية لاكثر من خمسين عاماً كالغنم . دعنا نعطي مثلاً لما ورد في تسجيل في البيت الأبيض بين الرئيس رتشارد نيكسون ووزير عدليته متشل .

الرئيس نيكسون : "لعدة أسباب يجب أن يستقيل (كان يتحدث عن هوفر).. يجب أن ينصرف ويكفينا شره .. أستطيع الآن .. وأشك في ذلك .. أن أتصل به على الهاتف وأتحدث إليه بشأن استقالته .. إن هناك بعض المشاكل .. فإذا استقال فيجب أن يكون قد استقال بمحض إرادته .. ولهذا ومن أجل هذا فنحن في مشكلة عويصة .. أعتقد أنه سيظل رابضاً على صدورنا إلى أن يبلغ المائة من عمره" .

وزير العدل : "أنه سيظل في منصبه إلى أن يدفن هناك .. في الخلود.." الرئيس نيكسون : "أعتقد أنه يتعين علينا أن نتحاشى الموقف الذي يجعله ينصرف مفجراً وراءه قنبلة كبيرة .. فربما يكون هذا الرجل قادراً على جر الجميع معه إذا سقط .. بمن فيهم .. أنا .. وستكون مشكلة عويصة" .

كان تقدير الرئيس ووزير عدليته للموقف صحيحاً؛ لأن رئيس جهاز FBI بقي في منصبه إلى أن رحل عن هذه الدنيا . وعندما سمع الرئيس نيكسون الأنباء قال : "يا إلهي .. يا إلهي هذا الفاسق العجوز .."

لقد تصور البعض بأن رؤساء الدول الأجنبية يخشون مؤسسة الأمن القومي الأميركية ، ولكن لم يخطر ببال أحد أن الرؤساء الأمريكيين أنفسهم ، ومنهم نيكسون Nixon وكذلك قادة آخرون كثر ، ومسؤولون كبار ومشروعون منتخبون ، كلهم أعربوا حرفياً عن تخوفهم من منظمة الأمن القومي الأميركية ، تلك المنظمة التي يفترض أنها معنية بالأمن لا بترويع القادة والرؤساء . أحد نواب هوفر اعترف قبل موته بأنه كان الموجه لصحيفة الواشنطن بوست في قضية " ووترغيت " التي اطاحت بالرئيس نكسون!

الرئيس الامريكي يبتز رئيس المحكمة العليا

لإعطاء مصداقية على لجنة تحقيق في اغتيال الرئيس كينيدي Kennedy ، طلب الرئيس الأمريكي جونسون من رئيس المحكمة العليا القاضي إيرل وارن (Earl Warren) رئاسة التحقيق ، لكنه رفض بشدة . وفجأة تغير موقف وارن ، وتعجبت الناس وتساءلت عن سبب هذا التغير المفاجئ.

حسب تسجيل صوتي بين الرئيس جونسون والسناتور ريتشارد رسل (Richard Russell) ، كما هو في مكتبة الرئيس جونسون ، وكما ورد في كتاب " عائلة الأسرار " ¹ كما يلي :

" رفض وارن طلبي لرئاسة اللجنة بشكل قطعي ...جاء لمكتبي مرتين وأخبرني ذلك. عندما أعلمته عن حادثة حصلت معه في مدينة نيو مكسيكو كان قد أطلعني عليها هوفر (مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي) .. عندها بدأ وارن يجهش في البكاء وقال لي ، لن أخذك – سأفعل أي شي تريده مني."

لا يتسع المجال هنا لبحث كل وكالات المخابرات الامريكية، ولكن يمكننا تسليط الضوء على اثنتين منها : وكالة الامن القومي – وهي الاكبر حجماً وميزانية ، وكذلك الاكثر اعتماداً على أعلى درجات التكنولوجيا التجسسية في الارض وفي السماء ، والثانية هي وكالة المخابرات المركزية الامريكية والتي أدارت الحرب الباردة ، وما تزال تدير الحروب والمؤامرات والسجون لمن تقرر الولايات المتحدة أنهم أعداؤها.

وكالة الامن القومي (NSA)

أنشئت سنة 1952 خلفاً لوكالة أمن القوات المسلحة ، ويقدر عدد العاملين فيها اليوم حوالي 40 ألف موظف ، الا أن الرقم ما زال سرّياً . وهي تابعة لوزارة الدفاع الامريكية وترتبط بكيفية وكالات الاستخبارات الاخرى عبر هيئة المخابرات الوطنية .

أوكلت الى هذه الوكالة مهمة متابعة وتجميع وفك رموز وترجمة وتحليل المعلومات والبيانات لاغراض التجسس ومكافحة التجسس بما في ذلك

اشخاص مستهدفين داخل الاراضي الامريكية . والوكالة مخولة بتحقيق اهدافها بواسطة عمليات تحت الارض بما في ذلك التجسس على المعلومات الالكترونية أو استعمال البرامج Software . كما عليها حماية وسائل اتصالات الحكومة الامريكية.

قام ريتشارد سنودين وهوشاب عمل مستشاراً مع احدى الشركات المتعاقدة مع الـ NSA بافصاحات عديدة سنة 2013 عن اعمال الـ NSA بالتجسس على المواطنين الامريكيين ورؤساء الدول الاجنبية . ومن افصاحاته ان الـ NSA تتجسس على المكالمات الهاتفية والبريد الالكتروني لأكثر من مليار إنسان على وجه الكرة الارضية . وتتجسس الوكالة ليس على امور الارهاب فقط وإنما على سياسات الدول الخارجية والاقتصادية والتجارية . كما أنه افصح عن وجود وحدة مختصة في NSA تقوم بتحديد الاهداف التي على وكالة المخابرات الامريكية تصنيفها جسدياً دونما محاكمة بواسطة طائرات بدون طيار .

كما أن الوكالة تجسست بشكل كبير على الاتحاد الاوروبي ، والامم المتحدة والعديد من الحكومات الصديقة والعدوة على السواء بما في ذلك شركاء الولايات المتحدة التجاريين في اوروبا وامريكا الجنوبية . كما ان الوكالة اخترقت شبكة اتصالات غوغل ، مايكروسوفت ، فيس بوك، ياهو ، يوتيوب، سكايب وكافة الشبكات الاخرى حيث تقوم بتجميع مئات ملايين العناوين والاتصالات سنوياً . وتقوم الـ NSA بتزويد مخابرات وزارة الدفاع والخارجية باسماء امريكيين مشتبه بهم بناء على اعمال متابعة مكالمات الهاتف والبريد الالكتروني لتقوم الوكالات المختصة بمتابعة الامر ، ثم تقوم تلك الوكالات بالبحث والتدقيق بارسال المعلومات الى مكتب التحقيقات- الفيدرالي الـ FBI كونه الجهة الوحيدة المفوضة بالتحقيق في امور المواطنين الامريكيين داخل الولايات المتحدة ، والتي لا ينكشف مصدر المعلومات الاساس القادم من الـ NSA. ومع أن الرئيس أوباما

ادعى أن كافة برامج الـ NSA تتم بمعرفة الكونغرس ، الا ان اعضاء لجنة مراقبة المخابرات في الكونغرس أعلنت أنها ليست على دراية بتلك البرامج وانها لا تعلم بالتفويض السري لـ NSA للقيام بأعمال التجسس الداخلية تلك ، الا ان المحكمة السرية المختصة بهذه الامور ، اي (FISC) قد اتهمت الـ NSA بمخالفة القوانين الاف المرات سنوياً ، ولا يتم استبعاد المكالمات الغرامية عن

آذان الـ NSA فهي التي أو عزت الى الرئيس كلينتون بأن يتوقف عن مكالماته الغرامية مع. لوينسكي بعدما تبين لها ان سفارة اجنبية (اسرائيل) تتجسس على تلك المكالمات . كذلك فإن الـ NSA هي التي ارسلت لمكتب التحقيقات الفيدرالي عن كشفها عن علاقة غرامية بين مدير وكالة المخابرات المركزية بتريوس وبين صحفية تقوم بكتابة مذكراته مما أدى الى استقالته.

بعض المعلومات الهامة عن الـ NSA

- حسب الواشنطن بوست " تجمع NSA يومياً وتخزن 1.7 مليار محادثة هاتفية ورسالة الكترونية يتم تصفيتها الى 70 قائمة بيانات ."
- "تراقب الـ NSA الحسابات البنكية ، كروت الائتمان و بواسطتها المشتريات ، برامج الرحلات والطيران ، المكالمات الهاتفية والبريد الالكتروني "حسب ما جاء في وول ستريت جورنال.
- تمتلك الـ NSA أكبر عدد من السوبر كمبيوتر في العالم وتوظف أكبر عدد من علماء الرياضيات في العالم .
- تتوسع الـ NSA بشكل كبير ففي ايار سنة 2013 تم الاحتفال بوضع حجر الاساس في فورت ميد للبناء رقم (2) لـ(مركز الحاسبات عالية الكفاءة) والذي يتوقع انجازه سنة 2016 . و البناء مساحته 18000م² . وهناك توسعة اخرى للمركز سنة 2030 ليصبح مسطح البناء 36000 م² .
- تقود الـ NSA التعاون الامني تحت الاتفاقية UKUSA بين مخابرات الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وكندا ، واستراليا ، ونيوزيلانده ، وتشارك هذه المخابرات في برنامج التجسس ايشيلون ..

كما بين الجدول أعلاه فإن وزارة الدفاع تمتلك ثمانية من اجهزة المخابرات الستة عشر فإن عدداً قليلاً جداً من المخولين بالاطلاع على برامج المخابرات تم تسميتهم (المستعملون الكبار) الذين يحق لهم معرفة برامج ومعلومات الاجهزة المختلفة لوزارة الدفاع . واثنان من هؤلاء قالوا إنه لا يوجد سبيل لأي شخص أن يجارى سيل المعلومات الاتية من تلك الاجهزة والبرامج . أما

أحد هؤلاء المستعملين الكبار من الذين قابلتهم الصحيفة فقال : " لن أعيش بما فيه الكفاية ليتم اطلاعي على كل شيء". أما المستعمل الكبير الآخر فوصف كيف تم تعريفه على البرامج حينما أصبح مستعملاً كبيراً فقال إنه تم اصطحابه الى غرفة صغيرة سوداء حيث تم اجلسه على طاولة صغيرة وتم اعلامه بعدم السماح له بأخذ أي ملاحظات . وبعد تعريفه ببرنامج وراء الآخر على اجهزة الكمبيوتر صرخ قائلاً : كفاية . أضاف ولم أتذكر منها شيئاً . ويقول المقال إن ميزانية المخابرات زادت أكثر من مرتين ونصف منذ أحداث سبتمبر 2001 وانها بحدود 75 مليار دولار سنوياً.

ونورد هنا بعض برامج الـ NSA:

مشروع ايشيلون :

أحد المشاريع المشتركة بقيادة NSA وبمشاركة الاجهزة الاستخبارية الاربعة لكندا، المملكة المتحدة، استراليا، ونيوزلندا. مع الـ NSA كقائدة لمشروع ايشيلون. وباختصار فهو مشروع اسس لنظام تجسس عالمي والذي يستطيع أن يلتقط ويحلل عملياً كل الاتصالات الهاتفية أو عن طريق الفاكس أو الايميل.

تم توزيع أدوار التجسس كالآتي

- NSA- تقوم بمركز القيادة بالاضافة الى اعمال التنصت على الامريكيتين
- GCHQ- البريطانية – تقوم بالتجسس على اوروبا افريقيا وروسيا (غربي جبل الأورال)
- DSD الاسترالية – تقوم بالتجسس على جنوب شرق آسيا وجنوب غرب المحيط الباسيفيكي ، ومناطق المحيط الهندي الغربية .
- GSCB النيوزلندية – تقوم بالتجسس على جنوب المحيط الباسيفيكي
- CSE الكندي – يتجسس على شمال روسيا ، وشمال اوروبا ، والاتصالات الأمريكية .

من مكونات ايشيلون مجموعة الاقمار التجسسية الصناعية العشرين المتخصصة بشفط المكالمات الهاتفية والفاكس داخل وبين الدول والقارات

ومهمة هذه الأقمار أساساً هو التجسس المدني ولكن أيضاً الدبلوماسي والاتصالات الحكومية .

يوجد (3) أقمار من طراز K11-11 مدارها يرتفع 200 ميل في السماء وهي مختصة بأعمال التصوير . وهناك قمران مدارهما بين 200-400 ميل ومختصان بشؤون الرادارات . وهناك ثلاث أقمار من طراز اوريون/ فورتكس مدارها على ارتفاع 300 ميل وذلك لشطف الاتصالات الهاتفية . وهناك قمران على ارتفاع (200-300 ميل) لشطف المكالمات الخلوية ، وهناك (3) أقمار على مدار 600 ميل لمراقبة المحيطات ، وهناك قمران على ارتفاع 220- لبت المعلومات وهناك 4 أقمار على الأقل للإنذار المبكر عن الصواريخ ، وهناك قمران على ارتفاع 500 ميل لأغراض التنبؤ الجوي ومتابعة التجارب النووية. هذا بالإضافة الى العديد من المحطات الأرضية وكذلك سفن الاستخبارات في كافة الأماكن الحساسة في اعالي البحار والمحيطات .

لعل جمع المعلومات بهذا الكم الهائل هو أمر مدهش ، ولكن لا يقل عنه جهداً ان كل هذه المعلومات تأتي الى المحطات الأرضية حيث تقوم الكمبيوترات العملاقة مثل السوبر كمبيوتر سلك ووث Silkworth والتي تتم برمجة فرز المكالمات أو الرسائل التي تحتوي على كلمات معينة تم برمجتها، وكذلك أجهزة معرفة صاحب المكالمة الهاتفية من صوته ومن ثم تحويل المكالمة الصوتية الى رسالة مكتوبة. وتقوم هذه الاجهزة بالعمل طوال اليوم وطوال السنة وهي تحلل ملايين الرسائل والمكالمات أو المراسلات كل ساعة . وتقوم الكمبيوترات هذه بتحرير أكثر المكالمات أو المراسلات عدا تلك التي احتوت على كلمات معينة كان برمجتها سلفاً . عندئذ يتم فرز هذه المكالمات. يتم فرز الرسائل / المكالمات التي يتم التحفظ عليها برقم من اربع ارقام يمثل مصدر الرسالة أو موضوعها ، فمثلاً 5535 يعني الاتصالات الدبلوماسية اليابانية ويتم طباعة الوقت ، واليوم / التاريخ على الرسائل التي تم فرزها وكذلك أي من اجهزة المخابرات الخمسة التي قامت بالتقاطها .

تقوم احدى الكمبيوترات العملاقة من نوع Platform بنقل هذه الرسائل / المكالمات الى المراكز المختصة وفي كل يوم يتم تحليل هذه البيانات من محللين مختصين وفك الرموز إن وجدت ، وترجمتها ويتم تقسيمها الى تقارير كاملة أو ملخص لها ، ويتم تصنيف المعلومات الى سرّي ، سرّي

جداً. يتم بعد ذلك توزيع بعض الرسائل الى المخابرات الشقيقة والصديقة حسب ما تراه NSA مناسباً.

التجسس على الامريكيين

مشروع شامروك SHAMORCK

سنة 1945 اي قبل ولادة NSA كانت سابقات مؤسسة الأمن القومي المخابراتية بداية هذا المشروع والذي يقضي أن تستلم اجهزة المخابرات القائمة آنذاك كافة البرقيات الصادرة من والواردة الى الولايات المتحدة . وكانت شركات البرق الامريكية تقدم صباح كل يوم شريطاً (مايكرو فيلم) عن كافة تلك البرقيات الى اجهزة المخابرات . وبعد انشاء الـ NSA أوكلت اليها هذه المهمة وبدأت تستلم اشربة مغناطيسية يتم تغذيتها على اكبر الكمبيوترات في ذلك الوقت وهي من نوع هارفست Harvest حيث كانت تتجسس على الاتصالات التي تحتوي على كلمات أو جملة مبرمجة مسبقاً لمعرفة محتوى تلك الرسائل ومرسليها وعناوينهم. وفي ذلك مخالفة صريحة للدستور الامريكي. ولقد شاركت الـ CIA و NSA لتأسيس شركة وهمية للقيام بهذه الاعمال مركزها مانهاتن ، نيويورك، والتي كانت تقوم بطباعة وتحليل 150,000 رسالة شهريا من محلي وكالة NSA. ولقد تم ايقاف المشروع بشكل مفاجئ سنة 1975 من قبل رئيس وكالة NSA عندما انكشف الامر وحقيقة مخالفته للدستور.

مشروع المنارة Project Minaret

انشئ هذا المشروع لمراقبة العديد من الشخصيات الامريكية الهامة والتي وضعت في قائمة المعارضين للنظام . من هؤلاء الممثلة الامريكية جين فوندا Jane Fonda والتي كانت معارضة لحرب فيتنام ، ومارتن لوثر كينغ القيادي من السود المطالبين بالمساواة ، مالكوم إكس الذي أسلم بعد زيارة السعودية وبدأ الدعوة لتصحيح مسار (جماعة الاسلام) كبيرة العدد، والتي لا تتبع الاسلام بحرفيته وغيرهم . كان ضمن لائحة المراقبة 5925 أجنبي و 1690 شخص أو منظمة امريكية ، وعمل المشروع بين 1967 و 1975 ، وحين انفضح امر المشروع بدأت لجنة الكونغرس عن المخابرات بالتحقيق

في الامر واستدعي رئيس جهاز NSA حيث اعترف أنه تم كتابة 3600 تقرير عن اميركيين تحت المراقبة . وقد تمّ الغاء المشروع بعد ذلك.

في حين كان الهدف من مشروع ايشيلون في بداياته في الستينات من القرن الـ20 التجسس على الاتصالات الدبلوماسية والعسكرية في الاتحاد السوفيتي بما فيها دول أوروبا الشرقية الا أنه تحول في نهاية القرن العشرين الى " نظام عالمي لالتقاط جميع الاتصالات الشخصية والتجارية " حسب ما جاء في ص 194 في تقرير البرلمان الاوروبي ((INI/2048/2001)). وأضاف تقرير البرلمان الاوروبي أنه بناء على ما توصلت اليه لجنة البرلمان فإن ايشيلون عادة تتجسس وتلتقط وتفحص وتدقق في كافة المكالمات الهاتفية ، والفاكس ، الايميل وأي وسائل اتصالات اخرى وذلك خصوصاً بواسطة شفت المعلومات من الوسائل الناقلة للاتصالات بما في ذلك بث اقمار الاتصالات الصناعية، مقاسم التلفزيونات ... الخ، وذلك بواسطة لاقطات ارضية في دول اتفاقية UKUSA الخمس وكذلك عبر طائرات التجسس وكذلك بواخر التجسس المتحركة في البحار والمحيطات . وقد تم استعمال المعلومات الناتجة عن تجسس ايشيلون في قضايا سياسية وعسكرية واجتماعية وتجارية نورد بعضاً منها:

في مجال التجسس السياسي:

- طلبت رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر من جهاز مخابرات كندا التجسس على ثلاثة من وزاراتها سنة 1983 وذلك لعدم شرعية التجسس على هؤلاء الثلاثة من قبل المخابرات البريطانية . وكندا هي احد الاعضاء الخمسة من مشروع ايشيلون.
- قام جهاز وكالة NSA بالتتصت على المكالمات الهاتفية للاميرة ديانا حتى موتها في حادثة سيارة في باريس . وتمتلك اليوم الـNSA 1056 صفحة من المعلومات السريّة جداً عن الاميرة ديانا لعدم امكانية نشرها لأن ذلك سوف يثير موجة عارمة من الغضب والاحتجاج . ويلحق ضرراً (بالامن القومي الامريكي)
- تجسست وكالة NSA على مكالمات وكافة الاتصالات لكوفي عنان السكرتير العام للأمم المتحدة . وكذلك على السكرتير الحالي بان كي مون.

- تجسست NSA على هواتف 37 رئيس دولة بمن فيهم المستشار الألمانية ميركل ورئيس البرازيل وهي تتجسس على الاصدقاء والأعداء على حد سواء بمن فيهم (وزير المالية التركي ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير، ورئيس وكالة الطاقة الدولية محمد البرادعي ، ونلسون مانديلا الزعيم الافريقي ... وغيرهم.

في مجال التجسس الصناعي

- تجسست الـ NSA لصالح شركة بوينغ على الاتصالات بين شركة إيرباص لصناعة الطائرات في صفقة مقدارها 6 مليارات دولار في صفقة مع احد شركات طيران دول عربية نفطية كبرى وقامت بتسريب معلومات عن أن شركة إيرباص الاوروبية عرضت رشاًوى على مسؤولين كبار في تلك الدولة النفطية ، مما حوّل الصفقة الى شركة بوينغ الامريكية.
- كذلك سرّبت الـ CIA معلومات لصالح صفقة بمقدار 1.3 مليار دولار للشركة الامريكية Raytheon ريثيون ضد الشركة الفرنسية ثومسون – ألكاتل بعد تسريب عن أعمال رشوة لمسؤولين في حكومة البرازيل .
- لمساعدة شركة السيارات الامريكية تجسست الـ CIA على الموظفين الكبار لشركتي تويوتا ونيسان لدعم الشركات الامريكية بالمعلومات لاستعمالها في الشؤون الفنية والتسويقية .
- دافع رئيس وكالة الاستخبارات الامريكية جيمس وولزي JAMES WOOLSEY عن تجسس وكالات الاستخبارات الامريكية ضد الشركات الصناعية الاوروبية وذلك في مقالة صحفية الـ اول ستريت بتاريخ 2000/3/17 قال فيها " نحن نتجسس عليكم (ايها الاوروبيون) لانكم تدفعون الرشاًوى".

وكالة المخابرات المركزية الامريكية CIA اوباما وحروب الظل

وافق البيت الأبيض على تكثيف عمليات الـ CIA في باكستان ، والصومال ، واليمن والقيام بأعمال تحت الارض من كينيا ضد الصومال . تشن المخابرات المركزية أداة الرئيس أوباما حرباً على حوالي 12 بلداً ابتداءً من صحارى شمال افريقيا ، وحتى جبال باكستان . زادت الولايات المتحدة من حربها الخفية هذه مستعملة الطائرات بدون طيار والفرق الخاصة داخل العاصمة الليبية طرابلس في شهر اكتوبر 2013 لاختطاف احد من تتهمهم بالارهاب.

كما جند البنتاغون شبكة من المقاولين من القطاع الخاص لجمع المعلومات عن مخابئ في باكستان . ومع ان هذه الحرب قد بدأها الرئيس جورج دبليو بوش الا ان الرئيس اوباما والذي اكتسب شهرته لمعارضة الحرب على العراق ، قد وسّع من هذه الحرب الخفية .

يقول جون برينان مستشار أوباما للحرب على الارهاب إن السياسة والشعب الامريكي قد عاف الحروب الطويلة كحرب العراق لكلفتها المادية والبشرية ولادكائها نار التطرف في العالم الاسلامي ، واستعاض عنها بحربٍ ستطول لعدة أجيال ضد القاعدة واتباعها.

تحت عنوان " الهجوم السري على الارهاب يتوسع في قارتين " كتبت النيويورك تايمز بتاريخ 2010/8/14 تقريراً عن حرب الطائرات بدون طيار غير المعلنة في قارتين وفي بلدان جميعها وبدون استثناء بلدان اسلامية.

يتم توجيه الطائرات بدون طيار (DRONES) من الأرض أو بواسطة برمجة اوتوماتيكية نحو الهدف ، ويتم استعمال هذا النوع من الطائرات من الجيش لعمليات التصوير والتجسس ، او من وكالة المخابرات المركزية الامريكية لقتل من يتم وصفهم بالاعداء دون محاكمة . ويتميز هذا النوع من الطائرات بعدم تعرض العنصر البشري للدولة المعتدية لآخطار ، كما ان هذه الطائرات يمكنها البقاء في الجو ساعات عديدة قد تصل الـ 85 ساعة في

بعض الأنواع . بالإضافة الى الصناعة الامريكية لهذه الطائرات فبريطانيا واسرائيل هما الاكثر تطوراً وتصنيعاً لها بعد الولايات المتحدة. تتعاون بريطانيا واسرائيل على بناء نوع من هذه الطائرات باسم واتش كيبر (Watch keeper) وهو جهد مشترك بين شركة EBIT الاسرائيلية ومركز (THALES) البريطاني . وقد اشترت بريطانيا 54 طائرة بمبلغ 860 مليون جنيه استرليني من هذا النوع يتم بناء العشرة الاولى منها في اسرائيل.

يتم وضع الطائرات هذه في مناطق القتال الا أن السيطرة عليها تتم من إحدى القواعد العسكرية للطيران في نيفادا في الولايات المتحدة حيث تحول الطائرة الى مراقبين جويين متواجدين داخل عربات خاصة بوجهونها وامامهم شاشة كبيرة . يتولى احدهما إقلاع الطائرة والثاني يقوم بتشغيل الكاميرا والحساسات والثالث يتصل مع جهة الاتصال الأرضية في المنطقة المستهدفة .

المبعوث الخاص للأمم المتحدة المختص بموضوع القتل دون محاكمة فيليب ألتسون عرّف ان استعمال هذه الطائرة هو عملية قتل مستهدف وليس قتل في ساحة القتال . ولقد طلب تقريراً من الولايات المتحدة أن تبين كيف بررت هذا النوع من القتل ضمن شرائع القانون الدولي، لكن الولايات المتحدة كانت ترفض هذا الطلب في كل مرة . حتى ان كيث شيرتليف (Shurtleff) وهو مدرس للأخلاق في قاعدة فورت جاكسون بولاية كارولينا الجنوبية اعرب عن قلقه "بانه حين تصبح الحرب سهلة وآمنة ، حيث يكون الجنود خارج مناطق القتال بعيدين عن مآسي الحروب يرون العدو كنبضات على الكمبيوتر لا كإنسان فهناك خطر حقيقي ان يفقدوا الواعز الذي يمكن ان تجعله مآسي الحروب الحقيقية كواعز ومحفز على الحذر".

في مثال لغارة طائرة بدون طيار في محافظة مأرب أعلن عن غارة ناجحة في 25 ايار 2010 حيث تم قتل عدد من اتباع القاعدة . لكنه سرعان ما تبين أن نائب محافظ مأرب كان بين القتلى حين كان يحاور اتباع القاعدة لاقتناعهم بالتخلي عن عملياتهم العنيفة . لم يجد الرئيس على عبد الله صالح آنذاك بدأ من الاعتراف بمسؤوليته عن قتل نائب المحافظ ودفع الدية لنوي القتيل مع ان الذي قام بالقتل لم يكن سلاح طيران اليمن وإنما سلاح طيران وكالة المخابرات المركزية بدون طيارين . اتصل الرئيس اوباما في اليوم الثاني بعلي عبد الله صالح يشكره على تعاونه في اليوم السابق . لكن الرئيس على

عبد الله صالح لم يوافق على العملية المشتركة تلك الا بعد أن اخبرته الـ CIA صدقاً أم افتراءً بأن هناك انتحاريين من القاعدة في طريقهم الى صنعاء، معلومات قدمها له شخصياً برينان وبترايوس قائد القوات المركزية آنذاك . لا تتم مثل هذه الهجمات بدون عواقب تقول النيويورك تايمز. فحادثة الاغتيال في مأرب قتلت مسؤولاً حكومياً هاماً مما اغضب الرئيس اليمني وحكومته كما ان زملاء قتلى القاعدة قاموا بتفجير خط انابيب البترول والتي تشارك فيه احدى الشركات الامريكية . كما ان الكثيرين يخشون تحول الـ CIA من وكالة استخبارات وتجسس الى مؤسسة شبه عسكرية .

إن هذا التحول الاستراتيجي لم يقتصر على وكالة المخابرات المركزية حيث أن البنتاغون ووكالات مخابراته قد قلدوا الـ CIA . لذلك فإنها على طول الشرق الاوسط وعرضه تقوم بأعمال تجسس وعمليات خاصة سرية كانت من اختصاص وكالات الاستخبارات المدنية فقط .

كان اول هجوم أمريكي في اليمن على قاعدة في الجنوب، قيل انها تتبع للقاعدة، تمّ أسر العديدين بواسطة هجوم ارضي من القوات اليمنية تزامن مع الغارة الامريكية .

تبين لاحقاً أن الهجوم كان بواسطة صواريخ كروز وكذلك بواسطة قصف مدفعي من إحدى السفن الحربية الامريكية من البحر . تم استعمال القنابل العنقودية الـ CLUSTER الممنوعة دولياً . وفي تحقيق قامت به لجنة من البرلمان اليمني تبين أن 41 فرداً من عائلتين مدنيتين بينهم اطفال ونساء قد قتلوا في تلك الغارة . كما قتل ثلاثة آخرون وجرح تسعة بعد أربعة ايام عندما داسوا على ذخيرة غير منفجرة من القنابل العنقودية الـ CLUSTER.

في شهر ايلول سنة 2009 أصدر قائد القيادة المركزية الامريكية المسؤول عن منطقة الشرق الاوسط و شمال افريقيا تعليمات سرية قامت النيويورك تايمز بنشر بعض تفاصيلها . ومع أن إدارة جورج دبليو بوش كانت قد وافقت على بعض تلك العمليات السرية الا ان تعليمات ايلول كانت لاعطاء تلك العمليات الصفة المنهجية والدائمة . أما هدف تلك العملية السرية فهو بناء شبكات قادرة على اختراق وتعطيل وهزيمة وتحطيم القاعدة والمنظمات المشابهة الاخرى وكذلك " لتهينة الاجواء " لأي هجوم من القوات المسلحة الامريكية أو المحلية ."

وهكذا فإنه حسب دراسة الخبيرين الاستراتيجيين اللذين ذكرناهما في مقدمة الكتاب فإن الولايات المتحدة ستبقى تورد لنا الحروب وتستورد منا النفط . أو كما قال مستشار الرئيس أوباما لشؤون الارهاب على ان الحروب ستستمر لاجيال بين الولايات المتحدة والثقافات او الحضارات التي تتناقض مثلها وأنها ستكون حرب اجيال .

قال الرئيس المكسيكي بيرفيرو دياز في مطلع القرن العشرين عندما اصبح تدخل الولايات المتحدة في شؤون بلاده لا يطاق :

"مسكنة هي المكسيك لبعدها عن الله وقربها من الولايات المتحدة "

أما وقد أصبحت الولايات المتحدة جارةً لنا بقواعدها العسكرية وطائراتها فوق رؤوسنا فهل لنا ان نقول نحن مساكين لبعدها عن الله وقربنا من الولايات المتحدة؟

تم تقسيم الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى الى المملكة العربية التي لم ترى النور والى بلدان تتبع قوميات أخرى . بعد ذلك تم تقسيم مشروع المملكة العربية الى دول سايكس بيكو . والان يتم تقسيم دول سايكس بيكو الى دويلات تقاتل بعضها بعضا سرا وعلانية . هكذا وصفت الانسايكولوبيديا اورينت³⁵ الدولة العثمانية :

"...دامت هذ الامبراطورية بين 1300 الى 1922 وامتدت في اوج عهدها لتشمل بلدان هذه الايام المتكونة من هنغاريا ، يوغوسلافيا، كرواتيا، البوسنة، البانيا ، مكدونيا، اليونان ، رومانيا ، مالدوفيا ، بلغاريا، جنوب اوكرانيا ، تركيا ، جورجيا ، ارمينيا ، العراق ، الكويت ، قبرص، سوريا ، لبنان،(اسرائيل) ، فلسطين ، الاردن ، شرق وغرب السعودية ، عُمان، البحرين ، شرق اليمن ، مصر ، شمال ليبيا ، تونس ، وشمال الجزائر . لم تكن الدولة العثمانية امبراطورية لان الاتراك لم يتميزوا في منافع الدولة اكثر من اي من الرعايا الاخرين خارج الاراضي التركية . ومع أن الدولة العثمانية كان لها اعداء كثيرين وهي في دور الاحتضار لكنها بقيت تقدم لمواطنيها منافع عدة طيلة حياتها. كانت هي دولة للمسلمين تدافع عنهم من اعتداء خارجي ، ولغير المسلمين قدمت حياة افضل واكثر أماناً من الدول المسيحية حتى القرن الثامن عشر . كما قدمت السلامة والطمأنينة لكل رعاياها دونما تفريق لاسباب دينية أو عرقية ."

لو صدقنا هذا القول علينا أن نصدق حينئذٍ مقولة لورنس العرب (إن التاريخ سلسلة من الاكاذيب التي تم تصديقها)

برأي المؤلف أن من الاسباب الرئيسية لضعف تلك الدولة في آخر ايامها كان عملية التتريك والابتعاد عن اللغة والثقافة العربية وكل ذلك بتشجيع من الخارج .

³⁵ ENCYCLOPAEDIA OF THE ORIENT – AVAILABLE ON WWW, I – CIAS , COM / C.O/.

" وفي النهاية فالامر هو ان نقرر المفاهيم التي نؤمن بان يعمل لها الاقتصاد ويخدمها. فهل الاولوية هي للنقود أم للحياة؟ هل الاقتصاد ليقدم القلة أم الجميع؟

إن نظامنا الاقتصادي الذي يقبضُ عليه شارع المال وول ستريت هو نظامٌ فعال و كفؤ في تحويل الثروة الحقيقية إلى سراب، ثروة مالية للأغنياء كي يصبحوا أكثر غنى . إنه طريق لانتحار جماعي . إن مستقبلنا ومستقبل أطفالنا يعتمد على تغيير مفاهيم ومؤسسات وول ستريت نحو اقتصاد جديد يهدف لتوفير معيشة راضية لكافة الناس وبطريقة متوازنة."

David C. Korten

P 3, Agenda for a New Economy

Berrett –Koehler Publishers

"أميركا وصلت حيث توقع كينز للرأسمالية أن تصل . فهناك الكثير من الموارد تكفي الجميع تحت أي مقياس معقول . لكن تحقيق هذا الكم من الموارد لا يبعث على الاحتفال لأنه ، وكما يعلم الجميع ، فهذه الوفرة تجدها في بيانات الاقتصاد لكنها غير موجودة في المجتمع حسب التقارير الحكومية سدس السكان (حوالي 17 %) ، ما زالوا يفتقدون حتى الحد الأدنى اللازم من طعام أو مأوى . كذلك وحسب البيانات الرسمية فخمس الأطفال الأمريكيين (أي 20%) يعيشون في حالة فقر."

وليم جريدر (William Greider)

The Soul of Capitalism, P16

الفصل الخامس عشر

نهاية التاريخ أم نهاية النظام هل نحن بحاجة لنظام عادل جديد؟

كتب الدكتور ديل أركر Dale Archer مقالين في مجلة فوربس Forbes الأمريكية المحافظة بعنوان: " فروقات الثروة: هل ستقود الى ثورة ؟" ومجلة فوربس ليست مجلة يسارية ولا ثورية بل محافظة تملكها احدى أغنى العائلات الأمريكية. جاء في المقال الاول بتاريخ 2013/9/4 :

" كل الكلام عن تفاوت الثروة في السنتين الاخيرتين يستحضر السؤال : هل ستقود فروقات الثروة هذه الى ثورة ؟... ان اغنى واحد بالمئة يمتلكون 40 بالمئة من ثروة الامة المقدرة بـ 54 تريليون دولار. هذا يترك فقط 7 بالمئة لثمانين بالمئة من المواطنين . ولنضعها بشكل آخر فإن اغنى 400 امريكي يمتلكون أكثر من ما يمتلكه 150 مليون امريكي أي أكثر من نصف سكان الولايات المتحدة ..."

ويضيف في مقاله الثاني بتاريخ 2013/9/11 : " يعيش 47 مليون أمريكي على اعانات الدولة للحصول على الاكل (Food Stamps) وحسب احصائيات وزارة الزراعة الاخيرة فإن 15 بالمئة من الشعب الأمريكي يمكن اعتبارهم غير واثقين من أين سيحصلون على وجبة غذائهم التالية ولدولة من مصاف الدول المتقدمة فهذا رقم مخيف."

يعتقد ديفيد سي كورتن David C. Korten وهو أستاذ سابق في جامعة هارفارد خدم في سلاح الطيران الأمريكي أثناء حرب فيتنام في هيئة أركان الطيران بمكتب وزير الدفاع أن الجواب نعم ، نحن بحاجة لنظام جديد . بعد عمل ما يزيد عن 35 عاماً خارج الولايات المتحدة ومتابعة نتائج عولمة الاقتصاد لصالح الولايات المتحدة واثاره السلبية على الدول النامية ، وبعد رجوعه للولايات المتحدة راعه ما شاهده فكتب في كتابه (عندما تحكم الشركات العالم):

" ومن موقعنا المميز في آسيا ، كنا نراقب بهلع بالغ كيف أدت نفس السياسات التي كانت الولايات المتحدة تنادي بها للعالم إلى خلق عالم ثالث ضمن حدودها وفي عقر دارها وذلك ما تكشف عنه الفجوة متزايدة الاتساع بين الغني والفقير ... فهذه مدينة نيويورك التي تعتبر مركزاً رئيساً للنفوذ الاقتصادي نجد في مختلف أرجائها كافة الملامح والصفات التي تجدها في مدن العالم الثالث العصرية ، بما في ذلك الجيوش الجرارة من المشردين والذين لا مأوى لهم ، وبجانب أنماط الحياة المترفة إلى حد التبذير لدى طبقة الأثرياء والمشاهير ، كما ترى ، حكومة عاجزة وعنفاً لا يميز بين أحد "

آخر كتبه كان " أجندة لاقتصاد جديد " توصل فيه إلى أن النظام الحالي للولايات المتحدة هو منتهى الصلاحية ويطالب (بالاستقلال عن وول ستريت) كتب في الصفحة (8):

" يعمل وول ستريت كتنظيم إجرامي في حبك المؤامرات والابتزاز والتي تكلف المجتمع اعباءً لا يمكن تحملها ، ويعمل بطريقة يمكن استبدالها بطرق أفضل . ليست الحاجة لتصلح وول ستريت وإنما لاستبداله بمؤسسات تهدف لخدمة المواطنين العاديين بطرق عادلة وأمينه..."

ويقول في ص 15 " لقد فشل نظامنا الاقتصادي بكافة المقاييس ، وكان الفشل مالياً ، وبيئياً، واجتماعياً، كما أن الازمة الاقتصادية الحالية تثبت بطريقة قاطعة أن هذا النظام غير قابل لان يصحح نفسه ..."

وأضاف في ص(16)

"إن اتفاق تريليونات الدولارات لاهياء نظام فاشل الى العمل الطبيعي هو تبديد طائش للوقت والموارد وهو اسوأ استخدام لموارد الدولة في التاريخ. الحل هو الاعتراف بفسل النظام والبدء بتصميم نظام جديد"...

هذه أراء أمريكي يعتبر ابن المؤسسة الامريكية الاكاديمية والامنية وهي لم تأت من فيلسوف مسلم يدعو الى نظام اقتصادي اسلامي أو من شيوعي يريد ارجاع الشيوعية من كتب التاريخ .

الرأسمالية تعمل على أسس زائفة

ما كتبه سوروس يحمل أهمية خاصة كونه شخصية مرموقة في مجتمع المال العالمي ، فهو معروف بانتهازه كل ضعفٍ أبداه النظام ، ومعروف بمضارباته ليس ضد المكسيك وجنوب شرق آسيا فقط ، وإنما ضد بنك إنجلترا أيضاً ، وقد أورد في مقدمة كتابه:

" كنت أوضح لماذا هو نظام الرأسمالية العالمي غير سليم وغير قابل للديمومة، وحتى إلى ما قبل الاضمحلال الروسي في آب 1998 ، لم أكن قد أدركت بعد أنه في الحقيقة يتفكك .. والنظام الرأسمالي العالمي يستند إلى الاعتقاد بأن الأسواق المالية ، إذا تركت لوسائلها الذاتية تنزع إلى التوازن ... وهذا الاعتقاد زائف وغير صحيح ، والأسواق المالية ذات طبيعة تنحو للمبالغات ، فإذا ما تمادى نهج متوالٍ من الازدهار والانتكاس إلى أبعد من نقطة معينة ، فإنها لن تعود للنقطة التي أتت منها، وبدلاً من التصرف كالبندول ، إن لأسواق المالية قد تصرفت حديثاً مثل كرة الهمدم تحطم اقتصاداً تلو الآخر." ³⁶ وفي شباط 2009 في اجتماعه في جامعة برنستون أشار إلى أنه – أي النظام الرأسمالي – يكافح معتمداً على أجهزة التنفس الاصطناعية في غرفة العناية المكثفة.

³⁶George Soros, *The Crisis of Global Capitalism: Open Society Endangered*, PublicAffairs, 1998, xi, xvi

قارن هذا بما قاله آلان جرينسبان للكونجرس في تشرين الأول 2008 من أن: " الانصهار أظهر خطأ في عصر كامل من التفكير الاقتصادي " .. وأقرّ جرينسبان في الاستجواب بأنه ارتكب " خطأ " في اعتقاده أن البنوك ، وهي تعمل لصالحها الخاص ، ستقوم بعمل ما يلزم لحماية مصالح المساهمين والمؤسسات.

رمزان من رموز النظام الرأسمالي ، أحدهما رئيس بنك مركزي لمدة ثمانية عشر عاماً ونصف ، والآخر ماليّ مخضرم وضليع يمكنه حتى منازلة بنك إنجلترا ، كلاهما قال الشيء نفسه : إن الرأسمالية المالية قد تفككت وإنها كانت تعمل على أسس من فرضيات زائفة .

في عموده الذي يظهر مرتين في الأسبوع في جريدة النيويورك تايمز ، وفي منتداه الحوار على الانترنت ، المسمى: ضمير ليبرالي ، ينتقد كروجمان الحائز على جائزة نوبل للاقتصاد أتباع أوباما لمحاولتهم تشغيل نظام مالي يعتبرونه يمشي وهو في حكم الميت. وفي محادثة له يرسم صورة لوزير الخزانة " تيم جيتنر ، ورسميين كبار آخرين ، على أنهم ، في النتيجة، أدوات وول ستريت ودعا كروجمان سياسة تيم جيتنر تجاه إنقاذ وول ستريت على أنها " نقود مقابل القمامة أي 'cash for trash'

ما بين التكفيريين والصهاينة المسلمين

يبدو أن الاسلامفوبيا لم تعد ظاهرة في الغرب فقط وإنما أصبحت تخص عدداً لا بأس به من المسلمين والعرب خصوصاً أولئك الذين يملكون اجساداً محلية (وبلغة العصر والكمبيوتر) (Hard Ware) وعقولهم (Soft ware) مبرمجة من خارج أوطانهم . ليس لدي هذا الرهاب الفكري/ الاسلامفوبيا فأنا ممن يتفقون مع الكاتب الأمريكي الكبير وليم جريدر بما جاء في كتابه (روح الرأسمالية صفحة 34):

"إن ردة الفعل لكل أمة على الرأسمالية تطورت من خلال ثقافتها وتجاربها التاريخية وكذلك من خلال اسس مَثلها وعقيدتها الدينية."

لعلّ ادعاء الفكر الاسلامي ممن ارادوا أن يبقوه في ثلاجة الزمن البعيد واساؤا نتيجة أفعالهم بما يتعارض مع كل الاديان السماوية قد ساهموا في خلق هذه الاسلامفوبيا، بالاضافة الى أن العالم عَرَفَ الصهاينة اليهود والصهاينة المسيحيين وكذلك ندّعي أن هناك الصهاينة المسلمون فاساؤا جميعاً الى انفسهم وهويتهم وثقافتهم ودينهم . أما قلت قولي هذا فلا مانع أن أبين من باب العلم بالشيء أنني لم أنتم في حياتي الى أي تنظيم سياسي علماني كان أم ديني وأنا ما سأقدمه هنا هو دراسة علمية قد يتفق معها القارئ وقد يختلف ، لكنها تبقى دراسة داخل احدى اعرق الجامعات الامريكية .

في ثمانينات القرن العشرين بدأت عملية إعادة التمحّص بكافة الفرضيات والاسس التي تقوم عليها الشركات في الولايات المتحدة تحت مسمى اعادة هندسة الشركة Re – Engineering . بحيث تتم دراسة الشركة أو الموضوع دونما قبول أو رفض اي من الفرضيات المسبقة. وهنا ادعوا الى استعمال هذا التفكير لمحاكاة أي بحث يتم النظر فيه.

حزب الشعب الامريكي و الفكر الاقتصادي الاسلامي

اما ان للاسلام نظام اقتصادي فهو امر يعترف به الكثيرون من الباحثين العالميين. فمثلاً أجرت منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية الاوروبية³⁷ دراسة عن النظام الاقتصادي في الاسلام وكيف يتميز عن الرأسمالية والشيوعية . وجاء في التقرير : "ان التعاليم الاسلامية تختلف عن الرأسمالية لمعارضتها تراكم الثروات الفاحش ، وتختلف عن الاشتراكية لانها تحافظ على حقوق التملك لوسائل الانتاج . ففي مجتمع حقيقي يتبع تعاليم الاسلام يجب ألا تتعارض مصالح طبقات المجتمع ، بل يجب ان تتعايش بالتواصل والتراحم عبر المشاركة المسؤولة الواعية . كما يجب مراعاة حقوق الفرد ولكن بطريقة عادلة تتوازن مع مصلحة المجتمع بأكمله"

³⁷ (Organization for Economic Co-operation and Development – OECD)

أن نظرة أولى على تعريف منظمة التعاون الاقتصادي الأوروبية للنظام الاقتصادي في الاسلام تكفي لنجده يتطابق مع ما يدعو اليه البروفيسور ديفيد سي كورتن.

كذلك قبل مئة سنة او تزيد عن كتابات كورتن قام الامريكيون بتأسيس حركة شعبية أكملوها بتأسيس حزب ثالث اسمه حزب الشعب قام بالتصدي لمظالم الرأسمالية المالية الأنجلوساكسونية وأصحابها من بارونات لصوص القرن التاسع عشر ، ولم يثق حزب الشعب بأيّ من الحزبين الموجودين ، وكان لديه رؤاه الخاصة ، المختلفة جداً ، لأميركا مختلفة جداً . وكانت طريقة جديدة ، وثورية من حيث نظرتها إلى الأشياء. وبعد انتخابات 1890 الوطنية، كان لدى حزب الشعب عشرة نواب ، وخمسة شيوخ في الكونجرس ، وتكرر المزيد من الانتصارات في 1894 ، وكانت شعارات الحزب الشعبي هي: " أموال الشعب"، " أراضي الشعب " ، " ثروات الشعب " ، " مواصلات الشعب " . وقدم الشعبيون ما هو أكثر من الشعارات، إذ قدموا حلولاً لإعادة هيكلة الاقتصاد كي يصبح في خدمة الشعب ، وليس في خدمة القلة من بارونات المال الذين كان النظام مصمماً لخدمتهم ؛ وما أشبه أمس باليوم ، حيث تحكم رجال المال والأعمال ، البارونات للصوص، وباشروا سيطرة فعالة على النظام الحزبي الأميركي شمالاً وجنوباً ، جمهوريين وديموقراطيين على حدّ سواء ، وجذب الحزبان بعيداً عن المسائل الاجتماعية والاقتصادية.

ولعل ما قاله إيغناطيوس دونيللي Ignatius Donnelly في مؤتمر حزب الشعب في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، يعبر عن مثال الرأسمالية الانكلوساكسونية الأمريكية أمس واليوم وغداً ، حينما قال:

"نعيش في زمن وصل إلى حافة الخراب الأخلاقي والسياسي والمادي. لقد أصبحت الشركات هي التي تهيمن على الانتخابات، والمشرعين والكونغرس، حتى وصل هذا الخراب الأخلاقي والسياسي إلى المحكمة العليا... أما الجرائد فهي إما ممولة منهم أو أنها مكتومة الصوت. كما أن الرأي العام قد تم إسكاته. وبينما يزدهر أصحاب الأعمال فإن بيوتنا مرهونة، وعمالنا معدمون، وتسرق الأراضي ليتم بناء ثروات خيالية غير مسبوقة في تاريخ العالم من أناس يحتقرون جمهوريتنا، ويعرضون الحرية

إلى الخطر. ومن رحم اللاعدالة الحكومية تولد طبقتان- المسحوقون وأصحاب الملايين".

فهل يا ترى أن أكثر ما كان يطالب به الشعبيون وحزبهم يتمشى مع تعريف منظمة التعاون الاقتصادي الأوروبية للنظام الاقتصادي في الإسلام؟

إن ما سنورده هنا عن الأحكام الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية الإسلامية، لا يختلف عليها أي من المذاهب الإسلامية، وهي موضع إجماع كل المذاهب كونها ضمن الإطار العام للمصدرين الرئيسيين للتشريع الإسلامي.

إن إذكاء الفرقة بين المذاهب الإسلامية ينتج عن رغبة الغرب في إضعاف كل المذاهب الإسلامية ما دامت إسلامية الجوهر، تحمل مبادئ تهدد إيدلوجيتهم الاقتصادية والاجتماعية فعلى الباحث المتجرد عن اهوائه أن يدرس كافة الخيارات . وبناء عليه نورد أنه دراسة وردت في مركز أبحاث إحدى الجامعات الأمريكية العريقة في أطروحة عن " النظرية السياسية، الإسلامية للعراقي محمد باقر الصدر" كتب صاحب الأطروحة تي. إم. عزيز وهو أحد الدارسين الزائرين بمركز دراسات الشرق الأدنى التابع لجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس (UCLA) عن المنظور الإسلامي في الاقتصاد السياسي ونورد ترجمة دقيقة دونما تعليق تاركين الأمر لكل قارئ أن يصل إلى قناعاته.

المنظور الإسلامي في الاقتصاد السياسي

"مع انهيار الشيوعية في أوروبا الشرقية وفي الاتحاد السوفيتي ، يقع العالم ثانية تحت سيطرة الممارسات والقوانين الرأسمالية .. ودون مشاهدة أية سبل بديلة للتنمية الاقتصادية سوى ترك " قوانين السوق " تلعب دورها في محلة السوق ؛ ولقد أصبحت يد السوق الخفية الآن مرئية أكثر من أي وقتٍ ، كعامل قرار وحسم في حيوات الأمم والأدبيين . وكنتيجة ، تصبح المصلحة الذاتية لأعضاء المجتمع هي القوة الدافعة للاقتصاد ، و يصبح قانون العرض والطلب هو الآلية المنظمة للاستغلاليين في المجتمع ، وحتى الاقتصاديين ، فيما كان يدعى بالكتلة الماركسية ، يشاركون في مثل هذا السلوك الاقتصادي ، كونه البديل الوحيد لعلاج أمراض اقتصادات أممهم".

وهذا ليس صحيحاً تماماً ، كما يقول الكثيرون من المفكرين والناشطين السياسيين الإسلاميين ، إذ يعتقدون أن الإسلام يزود الإنسانية بحلول لمشاكل نشأت عن نظم سياسية ، وقيم أخلاقية وضعية وغير كاملة من صنع الإنسان. وطبقاً لهؤلاء المفكرين والناشطين الإسلاميين ، فإن الإسلام إطار اجتماعي منزل من السماء ، يفترض فيه هداية الإنسانية إلى السلام والسكينة ، في كل مناحي الحياة ، في الطبيعة وما وراء الطبيعة . وواحد من هؤلاء المفكرين والناشطين كان محمد باقر الصدر ، وهو عراقي أعدم لأنه قاد حركة ثورية ضد نظام حكم البعث في العراق عام 1980 .

وسوف نلخص بإيجاز الرؤية السياسية الاجتماعية والاقتصادية للإسلام، كما يراها الصدر وكما لخصها تي إم عزيز في أطروحته لهذه الجامعة الأمريكية العربية .

دور الدولة الإسلامية

على نقيض الدولة في الرأسمالية الأمريكية المتعولمة فالدولة وحدها في الإسلام حق امتلاك الموارد الطبيعية ، ولذا فإنها تسيطر على جميع أوجه النشاط الاقتصادي ، وبناء عليه تتحكم الدولة في تدفق الثروة في المجتمع المسلم ، كما تحدد النسق الاقتصادي بطريقة تجسد هدف الدولة الإسلامية ، والذي هو تحقيق المنفعة للمجتمع بأكمله.

والدولة مسؤولة عن توفير الحد الأدنى من الاحتياجات للمجتمع كله ، فالتشرد والفقر في مجتمع وفرة ، هو أمر غير إسلامي أبداً ، وهو الأمر الملازم للرأسمالية ولا تستغني عنه ، ويتم تقسيم الموارد في الإسلام طبقاً للعمل والقدرة على الإنتاج ، ولكن أيضاً حسب الحاجة ، وهناك ثلاث فئات اقتصادية معروفة في المجتمع ، الأولى منها هي الفئة التي تملك القدرة الذهنية و/أو القدرة البدنية والمادية لأن تنتج أكثر من الاحتياجات ، وفئة أخرى هي التي بمقدورها أن تعمل بما يسد حاجتها ، وفئة ثالثة لا تملك لا القدرة الذهنية ولا البدنية لكي تعمل على نحو منتج . وعلى الحكومة الإسلامية توفير حاجات الفئتين الأخيرتين وسدها ، إذ إن مهمة الحكومة هي رعاية رفاه رعاياها ، وهي تمتلك الموارد الاقتصادية التي تمكنها من تنفيذ البرنامج الاجتماعي الذي يؤمن عيش المواطنين كافة بكرامة وكفاية.

ويمنع الإسلام الهدر ، ويعتبر أسلوب الحياة المترفة والباذخة هدراً ، ويوجه أنساق العمليات الإنتاجية لإنتاج السلع التي تشبع حاجات المجتمع كله ، وتحقيق مستوى معاشي عادل للمواطنين هو مهمة الحكومة ، ومهام الحكومة هي ضمان الازدهار والحبوكة لسائر الناس.

النظام الاقتصادي في الإسلام:

وكما بين الصدر في كتاباته ، فإن نظام الاقتصاد الإسلامي هو جزء من النظرية السياسية العامة للإسلام ، والتي صممت لتوفير نظام اجتماعي اقتصادي مترابط طبقاً للمبادئ الإسلامية ، وهذه النظم الاجتماعية الاقتصادية سوف تحتاج دولة إسلامية لتطبيقها ، والتي يجب أن تقوم ، بجهود المسلمين كافة. وفي الجوهر، فإن هذه الإيديولوجية الإسلامية بالذات، هي التي تسميها الرأسمالية الممثلة بالولايات المتحدة وحلفائها بمن فيهم عملاؤها من الدول الإسلامية والعلمانيون المسلمون ، تسميها الأصولية ، وتقوم بمحاربتها تحت مختلف اللافتات ، والتي تدعى أكثرها شهرة .. الحرب على الإرهاب .

ويوضح الصدر النظرية الاقتصادية في الإسلام :

يتكون الهيكل الاقتصادي للدولة الإسلامية من ملكية خاصة و ملكية عامة..ولأجل تبرير الملكية الخاصة والملكية العامة في الإسلام ، فإن على المرء أن يفهم الحقوق والالتزامات المترتبة للفرد وعليه ، وأن يفهم الدولة في الإسلام.

وطبقاً للصدر فإن سلوك الإنسان يصنف إلى ثلاثة أصناف من العلاقات: اجتماعية ، واقتصادية ودينية ، وهي تنشأ من علاقات الإنسان الرئيسية : مع البشر الآخرين ، ومع البيئة ، ومع الله.

وبما أن الناس ليسوا متساوين في قدراتهم البدنية والذهنية ، فمن الواضح أن يختلفوا في انتفاعهم بموارد البيئة ، وتبعاً لذلك ، كان بعض البشر راغباً في

ظلم الآخرين لإرضاء جشعه وغروره (وكلاهما مصدره حب الذات) ،
وحينذاك واجه المجتمع الإنساني الظلم على شكل استغلال اقتصادي.

وهذا الصراع بين السلم الاجتماعي وغريزة الفرد في تعظيم فائدته ، كانت موجودة طيلة التاريخ ، وهذا الصراع التاريخي ، كما يجادل الصدر – هو بين فئتين : أولئك الأفراد الذين يسيطرون على الموارد البيئية (اقتصادية واجتماعية) ويبدلون قسارى جهدهم لحماية مصالحهم ، وبقية المجتمع التي تجهد لتعيش بسلام وتعاون ، ويعتقد الماركسيون أن أصل المشكلة بدأ مع قلة من الناس يحكمون الموارد الاقتصادية ..والرأسماليون من الناحية الأخرى يعتقدون أن مثل هذا الصراع الاجتماعي هو نتيجة لمحدودية الموارد الطبيعية في البيئة ، والتي ليست كافية لإشباع حاجات جميع الناس ، ولهذا فإن الصراع الاجتماعي سيكون دائماً موجوداً ومنتشراً .. وعلى أية حال فإن الإسلام يخالف وجهتي النظر كليهما ويعتبر ، الموارد البيئية كافية لإشباع حاجات الناس.. ونقطة البدء هي توجيه الطبيعة البشرية : كيف يمكن لغريزة حب الذات أن توجه بالشكل الصحيح ؟ وما لم يظهر حلّ للتحكم في الرغائب البشرية ، وإزاحة إمكان استغلال الآخرين ، فسيبقى النظام الاجتماعي مرتكزاً إلى أسس مهزوزة.

ويحدد الصدر عناصر ثلاثة للحلّ الإسلامي :

1. إنهاء أشكال الظلم كافة التي تتبدى في التوزيع غير العادل للموارد الاقتصادية
2. تدريب و تهذيب " الطبيعة البشرية" لتحقيق السيطرة على غريزة حب الذات . واستغلال الموارد الاقتصادية لسدّ احتياجات الإنسانية بأجمعها .

النظرية الإسلامية في التوزيع :

إن نظاماً اجتماعياً إسلامياً عادلاً هو ذلك النظام الذي يتمتع فيه جميع المواطنون بمنافع ثروة الدولة، حيث الموارد الطبيعية ، والتي هي مصدر رئيسي للثروة ، مملوكة للدولة . وفيما تتمحور الرأسمالية حول رأس المال

بصفته العامل المسيطر في دورة الإنتاج ، نجد أن أهميته في النظرية الاقتصادية الإسلامية أقل بشكل كبير ، حيث تعتبر ثروة تم إنتاجها ، وليس مصدراً رئيسياً للإنتاج.

وتعرف "المصادر الطبيعية" على أنها الأرض ، والمواد الخام ، والمياه والموارد الأخرى مثل الأنواع الحية في الأرض والهواء والماء . والدولة هي المالك الوحيد للأرض وللموارد الطبيعية ، ولا يمكن نقل الملكية إلى فرد إلا عن طريق استثماره لعمله الشخصي ، وللمدى الذي يستمر فيه عمله ، وتنتهي الملكية حال توقف استغلاله لتلك الأرض أو المورد الطبيعي وانتفاعه بها ، كما ينبغي دفع ضريبة أملاك مقابل استعماله الأرض أو المورد الطبيعي ، ولأغراض التطوير يمكن تملك الماء ، ويمكن للأفراد تحصيل أسبقية على الآخرين لقطعة أرض أو لمصدر للمعادن يشغلونه ، وإذا استثمر فرد عمله في تطوير مصدر مائي جوفي فإنه يصبح ملكاً له ، أما الموارد الطبيعية الأخرى فهي ملكية عامة ، ولكن يمكن لها أن تصبح ملكية خاصة عبر عمل المرء الخاص .

المبدأ العام في هذا :

كل الثروة الطبيعية هي جزء من القطاع العام، ويحصل الأفراد على الحقوق الخاصة باستخدامها على أساس واحد فقط ، وهو العمل الموسوم بالتطوير (لهذه الموارد) بالعمل المباشر (للفرد بذاته) .

وهكذا لا يستطيع الأفراد استغلال عمل الأفراد الآخرين لتملك أراض واسعة، وصناعات كبيرة مثل النفط و الغاز ، المرتكزة إلى موارد الدولة الطبيعية والمملوكة لها.

توجيه الطبيعة البشرية : الجشع ليس جيداً

عكس تعاليم الأديان كافة ، دافع كهنة الرأسمالية عن مقولة إن " الجشع جيد" (Greed is Good) ، أما بالنسبة للإسلام فإن الجشع شر ، فالديانات قد جاءت لتهديب الحواف الحادة للطبيعة البشرية ، ومع الإقرار بأن حب الذات هو

غريزة ضرورية للبقاء ،إلا أن الأنانية المفرطة تجرح المجتمع ، كما أن التوزيع العادل للثروة، والقضاء على العلاقات الاقتصادية الظالمة في المجتمع الإسلامي ، هما المهمتان الرئيسيتان للنظام السياسي الإسلامي .

يقر الإسلام بأن العمل من أجل الربح الشخصي ، هو تجلّ لحب الذات الذي يدفع الإنسان للحفاظ على بقائه ، كما أنه أيضاً يزود الدافع للتعاطي مع المصاعب والتغلب على التحديات ، وهذه الغريزة إذا تركت مطلقة دون قيد من الأخلاق ، فإنها ستعبر عن نفسها بأشكال مختلفة من الظلم، وقد جاءت الديانات بما فيها الإسلام لضبط هذه الغرائز ، وعلى العكس من هذا في الرأسمالية ، فمثل هذه الغرائز لا ضابط لها . وكما كتب ليسترسي ثورو ، ليست الرأسمالية بأكثر من مناهج عمليات، لا تضع للإنسان قيوداً تخبره ما الذي يجب عليه عدم القيام به . وقد كتب ثورو أنه في الرأسمالية حتى الجريمة ليست سوى نشاط اقتصادي يمكن للمرء القيام به ، إذا كان المرء راغباً بدفع الثمن إذا قبض عليه.

"والدين" .. يعطي الإنسانية الحل الوحيد لهذه المعضلة الأساسية المتجذرة عميقاً في الطبيعة البشرية، ويتغلب الدين على مشكلة الطبيعة البشرية بتحديد العديد من مسارات التحكم في النفس ، والتي تنظم بشكل صحيح أو توجه غرائز الإنسان، صوب السلوك الاجتماعي المناسب ، وبكلمات أخرى ، فإنه سيضع حداً للتناقض بين مصالح المجتمع والمصلحة الخاصة .

ولا يعترف الإسلام ولا يقر أية قيم يرجعها مجتمع إلى امتلاك الثروة الاقتصادية، فالغنى والنجاح الاقتصادي للفرد ليست علامات وجاهة اجتماعية ، ويطالب الإسلام الفرد أن يعتبر الثروة عبئاً يرتب مسؤولية على كاهل الفرد الثري لخدمة نفسه والآخرين ، وهي ليست سوى وسيلة لتحقيق أهداف الإنسانية.

إن هذا المنطق هو ثوري ويتناقض تماماً مع منطق الاقتصاد المالي الرأسمالي وممارسات وول ستريت . وهذا السبب بعينه هو حقيقة الهجوم الكاسح على الثقافة الإسلامية تحت مسمى محاربة الارهاب لان مثل هذه المنهجية الاسلامية تعني انهيار النظام الرأسمالي بكليته بما فيه عولمته وثقافته وشوارع أمواله.

آخر القول... مشاكل بنيوية تحتم تغيير النظام نفسه

يقول الكاتب الأمريكي المعروف وليام غرايدر في كتابه "من الذي سيقول للناس":

"....ان الديمقراطية الاميركية تعاني من خلل أعمق بكثير مما يريد معظم الناس الاعتراف به . فخلف المظاهر الزائفة التي تبعث على الاطمئنان مثل مسابقات الانتخابات المنتظمة وغيرها ، فقد تم إفراغ الحكومة الذاتية من مفهومها الجوهري.. وعلى أعلى المستويات في الحكومة انتقلت سلطة صنع القرار من الاكثرية الى الاقلية ، تماماً كما يشك في ذلك الأفراد والمواطنون العاديون . وبدلاً من الرغبة الشعبية ، تستجيب الحكومة الآن لإملاءات الطبقة الصغيرة التي تستحوذ على السلطة، والتي تمثل مصالح المنشآت الاقتصادية الكبرى والثروة المتركة في أيدي النخبة والصفوة من الناس ذوي التأثير البالغ ..لقد تقلص الاختلاف والتباين المفيد والمعقد بين أفراد الأمة ليصبح سلعة بلهاء أطلق عليها "الرأي العام" الذي يمكن بسهولة التلاعب به أو إثارته بالشعارات او التصورات التي تطلقها وسائل الاعلام والدعاية".

لعل أول حقيقة يجب أن نواجهها أن واجب الاقتصاد هو خدمة المجتمع، لا أن ، يسخر المجتمع كله لخدمة النمو الاقتصادي، والذي 'يجبر' بكله وجهه إلى فئة الواحد بالمائة في النظام المالي المعلوماتي الحالي. ولقد تم الارتقاء بالنمو الاقتصادي ليصبح ديناً ما أنزل الله به من سلطان.

ولعل الحقيقة الثانية هي أن الاقتصاد لم يرتق إلى مرتبة العلوم، علماً بأن أرباب المال العالمي قد قدّموه وكأنه أبو العلوم، يضاهي في دقته قوانين نيوتن للحركة، وارتقوا بالاقتصاديين المتحالفين معهم ليكونوا أبواقهم ليبشروا بمبادئهم غير المقدسة باعتبارها غاية في القداسة، وأضحى مثل هؤلاء الاقتصاديين كهنة النظام.

والحقيقة الثالثة التي نود الإشارة إليها ان فصل عرى الاقتصاد عن الأخلاق والمجتمع والمثل، كما في النظام المعلوماتي، وكما وصفه البروفيسور ليستر ثورو من (MIT) بأنه نظام لا تحكمه مبادئ بل تحكمه المصالح، ولكل شيء ثمنه، يخلق غابة من المجتمع، ينتج عنه الإجرام، والتشرد والظلم الاجتماعي... وأن أي نظام اقتصادي يجب ان يكون قائماً على أساس العدل، لا كما قال كينز قبل سبعين سنة(علينا أن نتظاهر أمام أنفسنا وأمام الجميع بأن العدل خطأ وأن الخطأ عدل)، فلا عجب أن نصف المجتمع الأمريكي يعاني من امراض نفسية.

نقتبس هنا وصف أستاذ الاقتصاد وعميد سابق بكلية الإدارة في جامعة MIT (Lester C. Thurow) عن أيديولوجية وأخلاق الرأسمالية في كتابه "مستقبل الرأسمالية" بقوله: "من سوء الحظ أن أيا من الرأسمالية والديمقراطية ليست أيديولوجية قادرة على الدمج والتوحد، إذ أن كليهما أيديولوجية عملية تقول بأن الإنسان سيكون في وضع أفضل إذا اتبع الإجراءات التي توصي بها . ولا تقدم أي منهما أية أهداف عامة يمكن للجميع أن يتبنوها ويتم تطبيقها بشكل جماعي، وتتضمن كل منهما التأكيد على الفرد لا على المجموعة ... وفي أدق التعبيرات عن المبادئ والأخلاقيات الرأسمالية، تعتبر الجريمة نشاطاً اقتصادياً آخر يمكن مقارفته مقابل ثمن باهظ، إذا ما وقع صاحبه في قبضة رجال الأمن. وليس هناك من شيء يُمنع عن القيام به، ولا وجود للواجبات والالتزامات. ما هو موجود فقط هو عمليات السوق"

والحقيقة الرابعة هي ان النظام الاقتصادي لا يأتي معزولاً عن غيره من الأنظمة، فمفهوم الحياة وغرضها وهدفها تتحكم في النظام الاقتصادي نفسه، ولا يمكن لنا شراء النظام الاقتصادي الغربي دونما شراء المثل الغربية أيضاً.

حقق النظام الرأسمالي المعلوماتي انجازات علمية وتكنولوجية هائلة، صاحبها خواء روحي وانحطاط اخلاقي كبيران، كما حقق إنجازات مادية لشعوبه على جانبي الاطلسي والبالغة حوالي 10% من سكان الكرة الارضية، وذلك باستلاب مقدرات ال 90% من بقية سكانها الاخرين، وجاءت ادوات العولمة واقتصادها لتزيد من عملية الاستلاب تلك، واستلبت

فئة الواحد بالمائة من كل شعب من شعوبها مقدراته ثم استلبت خيرات ومقدرات البقية الباقية من الشعوب فأصبح العالم مضطرباً كالواقف على رأسه لا يقوى على مثل هذا الوضع ولا يمكن الاستمرار به . إن دور المال (النقود) في المجتمع الاسلامي مختلف ، فهو ليس سلعة لعمل المزيد من المال ، وإنما أداة ذات مهمة اجتماعية . وخلق النقود هو شغل الحكومة - مباشرة - تجاه الناس ، دون تدخل المرابين الوسطاء . والخزينة ستقوم بالإقراض إلى الاقتصاد المنتج كشريك في الأرباح والخسائر ، حيث مبدأ الفائدة - ببساطة - لا وجود له ، فتأمل ما الذي يمكن أن يفكر فيه سيتي جروب ، وجولدمان ساكس ، وبارونات المال حيال هذا!

هناك فروقات كبيرة وجدية بين الرأسمالية والفكر الاسلامي كما تبينه هذه الدراسة فالملك في الاسلام لله والحكومة نيابة عن الشعب هي التي تمتلك الموارد الطبيعية كالبتروول، والمنافع العامة كالمياه . في رأسمالية اقتصاد السوق تم فكفكة القوانين وتمّ تحديد دور الدولة لخدمة 1% من المجتمع على حساب الآخرين كما حدث في آخر أزمة اقتصادية حيث تم انقاذ البنوك والمصارف والشركات الكبرى وتمّ استملاك المنازل واخراج اصحابها (وحرقياً) الى الشارع !

إذا كان هذا هو الإسلام عقيدة 1,5 مليار من الناس ، عقيدة ربع سكان العالم ، والذين يكمن تحت أراضيهم 70 بالمائة من النفط محرك حضارة الغرب والرأسمالية فهذا هو الإرهاب بعينه بالنسبة لهم؛ لأن هذه المبادئ تنسف الرأسمالية المالية من اساسها، خصوصاً وأن عماد الرأسمالية ، الربا ، هو أحد المحرمات في الدين والاقتصاد الإسلامي . ماذا يتوقع يا ترى من وول ستريت وشركاته وأصحابه وادعيائهم في واشنطن والحالة هكذا ؟ وكحراس للرأسمالية العالمية، أرادت أميركا الحجر على هذه المبادئ بكليتها، بعيداً عن الحياة العامة ، أو حتى البحث والحديث فيها ، وافترضوا أن بمقدورهم عمل ذلك بشكل مناسب تحت لافتة العلمانية بداية والآن تحت لافتة مكافحة الارهاب.

يعتبر الربا العمود الفقري للنظام المصرفي وقلب الرأسمالية ، والذي من دونه فلن تكون هناك رأسمالية ، فالإسلام ضد الربا بقوة ، فالربا ليس غير قانوني فقط، وإنما هو - بالإضافة إلى ذلك - إثم عظيم ، وقد كان خطيئة

كبرى في كل الأديان ، إلى أن قام الإصلاح البروتستانتي ، ببطء ولكن بإصرار ، بجعله قانونياً، وأطلق بذلك عنان الرأسمالية المبنية على الربا . والإسلاميون بهذا المفهوم الذين يدافعون عن تطبيق هذه القيم الإسلامية إنما يعملون عن قصد او بدون قصد على تفويض الرأسمالية من أساساتها.

وإذا كان تقليص الدور الحكومي وما يسمى بالتححرر من روتين المعوقات الحكومية ، قد أودى بأميركا وأوصلها إلى حافة الدمار الاقتصادي ، فإن الإسلام يحتفظ بدور أساسي للحكومة ، كونه يفترض فيها حماية الجميع ، وليس القلة فقط!

وبعد 11 أيلول ، قال هنري كيسنجر في خطاب ألقاه في لندن ، إن قليلين هم الذين يدركون كم يختلف الإسلام عن الغرب . وتلك في الواقع عبارة صادقة، فمالكو سطوة المال في الرأسمالية العالمية يفهمون الفرق ، وكذلك شأن عملائهم في واشنطن والصفوات الحاكمة ، وهذا الفرق هو السبب الحقيقي للهجوم الذي تشنه الرأسمالية حالياً ضد الإسلام ، والذي تم تمويهه على نحو ملائم كحرب ضد الإرهاب .

يبدو ان الكثيرين في الشرق والغرب يتفقون على أن النظام الحالي به خلل كبير وأصبح ضرورياً تمحيصه مع كافة الخيارات الاخرى بموضوعية . كذلك نبين أن مسيحي العرب الذين اندمجوا مع الثقافة العربية مع اخوتهم المسلمين وحاربوا ضد الصليبيين معهم لهم حضارتهم والتي يعتبرها فقهاء الحضارة الغربية امثال صامويل هانتغتون وغيره انها هي والديانه الارثوذكسية المسيحية لا تتبع حضارتهم الغربية.

خارج السياق ... فلسطين إلى أين؟

لم يخلو اي كتاب من كتبي دونما ذكر شيء عن ما يسمى بالقضية المركزية للعرب والمسلمين أي القضية الفلسطينية . ولكي لا يكون هذا الكتاب استثناءً أكتب هذه الكلمات عن هذا الموضوع .

دافيد بن غوريون الصهيوني العتيد ، أحد الآباء المؤسسين للصهيونية وأول رئيس وزراء إسرائيلي يقول كما رُوي عنه في كتاب (The Lobby) للمؤلفين ميرشيمر – والت الاستاذين من جامعة شيكاغو وهارفارد على التوالي والصادر في آذار 2006:

"لو كنت قائداً عربياً (فلسطينياً) لما تصالحت أبداً مع إسرائيل ، وإنه لأمر طبيعي : لقد أخذنا بلادهم نحن من إسرائيل ، ولكن قبل ألفي سنة خلت ، وأية دلالة لهذا عندهم ؟ لقد كان هناك معاداة للسامية ، وكان النازيون ، وكان هتلر ، وأوشفيتز، ولكن هل كان ذلك خطوهم ؟ إنهم يرون " ، شيئاً واحداً فقط : لقد جننا هنا وسرقنا وطنهم . لماذا عليهم أن يقبلوا ذلك؟ لقد كان بن غوريون على صواب .

أما آرييل شارون فقال قولته الشهيرة " إما نحن وإما هم " كما قالها من قبله الاب الروحي لليكودية فلادامير جابوتنسكي قبل 90 سنة . وصدق شارون وجابوتنسكي .

بعد الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية كتبت سلطات الاحتلال على هويات من بقي من المواطنين كلمة (ساكن) تعريفاً لهوية المواطنين هناك . منذ البداية لم تعترف سلطات الاحتلال بأن مواطني الضفة ليسوا أكثر من سكان بلا حقوق مواطنة . هاجس التكاثر الفلسطيني والذي اسموه (قنبلة الارحام) كان وما زال هاجسهم الاكبر حيث ان عدد الفلسطينيين ما بين البحر والنهر زاد أو سيزيد عن السكان اليهود قبل سنة 2020 . اذن فهم لا يهدفون من اي مفاوضات سوى حل هذه المعضلة .

البعض اقترح حل الدولتين، والآخر حل الثلاث دول كما اقترحه جون بولتون Bolton، لكن المهم أن الكل وجد أن إيجاد الدولة الفلسطينية على الطريقة الإسرائيلية قد أصبح ملحاً . كتب جون بولتون:38

"دعنا نعترف بأن بناء سلطة وطنية على أنقاض منظمة التحرير الفلسطينية قد فشل، وأن مشروع الدولتين لم ينطلق. لقد قتلت حماس ذلك المشروع – ولربما الأرض المقدسة لا تتسع إلى بعثين . لذلك علينا البحث عن مشروع الدول الثلاث بحيث تعاد غزة إلى مصر ، والضفة الغربية إلى الأردن بطريقة أو أخرى. وحيث أن مصر والأردن مرتبطتان بمعاهدتي سلام مع إسرائيل، فإن إعادة غزة والضفة لتلك الدولتين يضمن السلام بطريقة اوتوماتيكية . أما قضية وضع قوات أو مراقبين دوليين فلن يكون كافياً ، فما نحتاجه هو دول تملك أجهزة أمنية. "

اذن فهدف أي مفاوضات هو حل هذه المشكلة الديموغرافية . وكما نرى في اقتراح صهيوني امريكي عتيد من المحافظين الجدد (وهو عادة لا يعبر عن صوته فقط) فما تهدف اليه المفاوضات الابدية مع اسرائيل هو حل المشكلة عن طريق كونفدرالية مع الاردن بطريقة أو بأخرى كما جاء في ما كتبه بولتون اعلاه .

هل هذه هي اجندة الولايات المتحدة اليوم ؟ اكثر الظن انها هي كذلك حيث ان المحافظين الجدد هم من يخططوا لسياسات الولايات المتحدة في منطقة الشرق الاوسط والعالم وإن غداً لناظره لقريب؟

فاوض من لا يملك تفويضاً من شعبه في مفاوضات عبثية لمدة عشرين سنة لاعطاء شرعية لمن لا يستحق، في نفس الوقت الذي كانت نخبة من كبار المؤرخين الاسرائيليين تعقد ندوة خاصة بتاريخ 2013/10/24 في قاعة تاسفتا TASVTA في تل اببيب عنوانها " هل ستبقى اسرائيل موجودة بعد 90 سنة؟؟"

38 January 5, 2009; Page A11, The Washington Post

قائمة المراجع

(The hidden Hand of American Politics

**(David E. Spiro - Cornell University Press; 1 edition
(September 9, 1999)**

The Soul of Capitalism

(William Greider - Simon & Schuster (September 2, 2004)

Democratic Promise: The Populist Movement in America

**(Lawrence Goodwyn - Oxford University Press, USA; First
Edition (October 28, 1976)**

Who Will Tell the People?

**(William Greider - Simon & Schuster; Reprint edition (June
1, 1993)**

Secrets of the Temple

**William Greider - Simon & Schuster; first Touchstone
Edition, 1989 edition (January 15, 1989)**

The Prize - An Epic Quest for Oil; Money & Power

**(Daniel Yergin - Free Press; Reissue edition (December 23,
2008)**

**The Quest: Energy, Security, and the Remaking of the Modern
World**

**(Daniel Yergin - Penguin Books; Upd Rev Re edition
(September 26, 2012)**

Ghost Wars

**(Steve Coll - Penguin Books; Reprint edition (December 28,
2004)**

One World Ready or Not:

**(William Greider - Simon & Schuster; 1st Touchstone
Edition (February 10, 1998)**

A People's History of the United States

**(Howard Zinn - Harper Perennial Modern Classics (August 2,
2005)**

**Body of Secrets: Anatomy of the Ultra-Secret National Security
Agency**

**(James Bamford - Anchor Books; 1st Anchor Bks Ed. Apr,
2002. 1st Pr edition (April 30, 2002))**

American Theocracy

**(Kevin Phillips - Penguin Books; Reprint edition (March 27,
2007)**

Gods of Money

(F. William Engdahl - edition.engdahl (May 3, 2010))
 The Globalization Gospel
 (Abdulhay Yahya Zalloum - Rex Book Store (1999))
 Agenda for a New Economy
 (David C Korten - Berrett-Koehler Publishers; Second
 Edition (August 1, 2010))
 The Future of Capitalism
 (Lester C. Thurow: Penguin Books USA, New York-1996)
 Land Of Desire
 (William Leach: Random House, New York-1993)
 When Corporations Rule the World
 (David C. Korten: Berrett - Koehler & Kumarian Press, San
 Francisco-1995)
 Who Will Tell the People?
 (William Greider: Simon & Schuster, New York-1993)
 Kissinger
 (Walter Isaacson: Simon & Schuster, New York 1996)
 J. Edgar Hoover
 (Curt Gentry: Penguin Books USA, New York-1992)
 Trilateralism:
 (Holly Sklar: South End Press, Boston-1980)
 The Secret Government
 (BILL Moyers: The Constitution in Crisis, Journal Graphics-
 1987)
 A History of God
 (Karen Armstrong-Ballantine Books, New York-1994)
 Muhammad
 (Karen Armstrong- Harper SanFrancisco-1992)
 Islam
 (Karen Armstrong- The Modern Library, New York-1992)
 A Century of War
 (F. William Engdahl-Dr. Bottiger Verlags, GmbH-1993)
 The Clash of Civilization
 (Samuel P. Huntington–Simon & Schuster, New York – 1997)
 The Crisis of Global Capitalism
 (George Soros – Public Affairs, New York – 1998)
 Imperial Brain Trust
 (Laurence Shoup & William Minter- Authors Choice Press
 (July 20, 2004))